مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثاني عشر - السنة السادسة. رجب ١٤٤٣هـ/ فبراير ٢٠٢٢م

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]



الجزء الأول

موضوعات العدد:

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثاني عشر - السنة السادسة. رجب ١٤٤٣هـ/ فبراير ٢٠٢٢م

الجزء الأول



حقوق الطبع محفوظة

مجلة تدبر

٤٨٠ ص ، ١٧×٢٤سم

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٥٨٨٣

بتاريخ: ١٤٣٨/٦/٢٤

ردمد: ١٦٥٨-٧٦٤٢

مجلة تدبر

سعر المجلة (٢٥) ريالًا سعوديًا أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥

للمراسلات والاشتراكات

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

المملكة العربية السعودية

ص.ب ٧١١٩

المدينة المنورة ٤١٤٦٢

info@tadabburmag.sa

+966 50 30 72 333

@tadabburmag

http://www.tadabburmag.sa

المواد العلمية المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكَّمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

المرجعية:

- مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥ .

الرؤية:

- أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرسالة:

- أن تكون وعاءً علميًّا محكَّمًا للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهداف:

- تشجيع البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- نشر البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- فتح آفاق جديدة للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.
- تحقيق التواصل العلمي بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.

مجالات النشر في المجلة

- أولاً: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم وتشمل:
  - التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.
  - تعليم تدبر القرآن الكريم.
  - الاستنباط من القرآن الكريم.
  - المقاصد القرآنية.
  - المناسبات القرآنية.
  - الإعجاز القرآني.
  - البلاغة القرآنية.
  - الموضوعات القرآنية.
- ثانيًا: تقارير الملتقيات والمؤتمرات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- ثالثًا: ملخصات الرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- رابعًا: ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

قواعد وشروط النشر

◆ أولًا: طبيعة المواد المنشورة:

تَهدف المجلة إلىٰ إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بُلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجالات تدبر القرآن الكريم؛ علىٰ أن تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أيٍّ مِن الفئات الآتية:

- البحوث الأصيلة.
- مُستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.
- تقارير المُلتقيات والمؤتمرات العلمية.

◆ ثانيًا: الإجراءات العلمية لتقديم البحث:

١- أن يكون في مجالات المجلة.

٢- كتابة مقدمة تحتوي علىٰ (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).

٣- تبيين الدراسات السابقة -إن وُجدت- وإضافته العلمية عليها.

٤- تقسيم البحث إلىٰ أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)؛ بحيث تكون مترابطة.

٥- يُكتب البحث بصياغة علمية مُتقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الأمانة العلمية والدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث؛ تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

ثالثًا: الإجراءات الفنية لتقديم البحث:

- لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٦٠) صفحة مقاس **(A4)** متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٠) صفحة.
- هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلىٰ، وأسفل، ويمين، ويَسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.
- يستخدم خط **(traditional arabic)** للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمُستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.
- يستخدم خط **(Times New Roman)** للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمُستخلص والجداول والأشكال.
- تُكتب الآيات القرآنية وَفْقَ المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بحجم (١٤) بلون عادي (غير مسوَّد).
- تُوضع حواشي كل صفحة أسفلها علىٰ حِدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلًّا، وتُضبط الحواشي آليًّا لا يدويًّا.
- تكتب بيانات البحث باللُّغَتَيْنِ (العربية والإنجليزية)، وتحتوي علىٰ: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية وأشهر أبحاثه).
- لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
- يُتبع كل مستخلص (عربي/ إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المُعَبِّرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

- سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة)؛ حسب المنهج العلمي المَعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).

أما الآية القرآنية: فيُشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء:٥٥].

رابعًا: كيفية توثيق المراجع:

يوثق الباحث المراجع في نهاية البحث حسب النظام التالي:

- إذا كان المرجع (كتابًا): («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى). فاسم المحقق -إن وُجِد-. فبيان الطبعة، فمدينة النشر: فاسْمُ النَّاشر، فسَنَةُ النَّشر).

مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسى؛ محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

- إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تُطبع): («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فنوع الرسالة (ماجستير/ دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسَّنَة).

مثال: «يعقوب بن شيبة السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية:

كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

- إذا كان المرجع (مقالًا من دورية): («عنوان المقال». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرىٰ. فاسم الدَّوْرِيَّة، فالمكان، فرقم المجلد، (رقم العدد)، فسَنَةُ النَّشر، فالصفحة من ص...- إلىٰ ص...).

مثال: «الإمام عَفَّان بن مُسْلِم الصَّفَّار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م (٣)، (١)، ١٤٣١هـ، ٣٥- ٨٥.

هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات إن لم يُوجد لها أيُّ بيان في بيانات المَرجع، وهي:

- بدون اسم الناشر: د. ن
- بدون رقم الطبعة: د. ط
- بدون تاريخ النشر: د. ت

- ترتيب المراجع ترتيبًا ألفبائيًّا.

خامسًا: بيان مسار البحث المقدم للمجلة:

١- إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة يُعَدُّ تعهدًا من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مُقَدَّم للنَّشر، ولن يُقَدَّمَ للنَّشر في جهة أخرىٰ حتىٰ تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

٢- لهيئة تحرير المجلة حقُّ الفحص الأَوَّلِي للبحث، وتقرير أَهْلِيَّتِه للتحكيم، أو رفضه.

٣- إطْلَاعُ الباحث علىٰ خلاصة تقارير المُحَكِّمين؛ ليُعَدِّل بحثه وَفْقَها، ويُبَيِّن رأيه فيما لا يَأخذ به من أقوالهم، وتَحسم الهيئةُ الخلافَ بينهما.

٤- في حال (قبول البحث للنَّشر) يتمُّ إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث للنَّشر)، وعند رفض البحث للنشر يتمُّ إرسال رسالة (اعتذار للباحث).

٥- للباحث -بعد نشر عمله في المجلة- أن ينشره مرة أخرىٰ بعد مُضِيِّ ستة أشهر من صدورها.

٦- إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة يُعَدُّ قبولًا من الباحث بـ(شروط النَّشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحقُّ في تحديد أَوْلَوِيَّات نَشر البحوث.

٧- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تُعَبِّر عن وجهة نَظر الباحثين فقط، ولا تُعَبِّر بالضرورة عن رأيِ المجلة.

٨- يمنح الباحث خمس مستلات من بحثه ونسختين من العدد الذي نشر فيه بحثه.

بفضل الله وتوفيقه حصلت مجلة تدبر على المرتبة الأولى على المستوى العربي لعام (٢٠٢١م) في معامل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي (أرسيف arcif) من بين (٧٩) مجلة في تصنيف الدراسات الإسلامية. وحصلت على المرتبة (٦٢ مكرر) من بين (٨٧٧) مجلة في معامل أرسيف.

المَوادُّ العِلْمِيَّة المنشورة في المجلة تُعَبِّر عن آراءِ أصحابها

المحتويات

مجلة تدبر





افتتاحية العدد

كلمة رئيس التحرير

الحمد لله الذي أنزل الكتاب نورًا وهدى للناس، وأمرهم بتعلمه وتدبره والعمل به والدعوة إليه.

والصَّلاة والسَّلام على النبي الأمي المصطفى، الذي علَّمه ربُّه فوعَى، واجتباه فهدى، وقام بأمر الله فذكّر وعلّم، ونصح وبلّغ، فترك أمته على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وكان لكتاب الله خير المتدبرين، وأنموذج العاملين المخلصين، وقدوة الناس أجمعين، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومَن سار على نهجه وسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيسر مجلة تدبر أن تختم عامها السادس بعدد حافل مكتنز بالأبحاث العلمية المحكمة، حيث جاء هذا العدد **(الثاني عشر)** في جزأين، وأكثر من **(٨٠٠)** صفحة، مشتملة على عشرة أبحاث متنوعة في مجالات تدبر القرآن الكريم، ومتنوعة الباحثين وبلدانهم ومراتبهم العلمية، مع تقريرين عن بعض الأعمال والجهود المتعلقة بالتدبر.

وإننا إذ نحمد الله تعالى على هذا الإنجاز، ونشكره على ذلك المستوى الذي وصلت إليه المجلة في مجال التصنيف المحلي والعالمي؛ فإننا نتقدم بالشكر لهيئة التحرير على ما تقدمه من جهد ومتابعة علمية وعملية في مختلف مراحل تحكيم البحوث ونشرها.

- والشكر موصول لكل المحكّمين الذين بذلوا جهودًا جليلة في قراءة الأبحاث وتدقيقها، والسعي لكمالها وخروجها بأفضل حال، مع الحرص التَّام على الارتقاء بمستوى الباحثين والنصح لهم، وإفادتهم، وفتح الآفاق لهم في قضايا البحث، وذلك وَفْق المعايير المعتبرة للتحكيم العلمي.

- والشكر للباحثين، الذين خَصُّوا المجلة بأبحاثهم، والذين تواصلوا بعد التحكيم مقدرين الجهد المبذول لهم، ومعترفين بإفادتهم مما أُسدي لهم من آراء، سواء من هيئة التحرير أم من المحكّمين.

- والشكر لكل مَن دعم المجلة، وأفاد منها، وتابع أعدادها، وسعى للتعريف بها ودعمها في مسيرتها العلمية.

نسأل الله أن يبارك في الجهود وينفع بها، ويجعلنا وإياكم جميعًا من أهل القرآن، ويرزقنا العلم به وحسن التدبر له والعمل بهديه.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

أخوكم

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي





أولاً: البُحُوث

مجلة تدبر





مَقاصِدُ الْبَلاءِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

«دِراسَة مَوْضُوعِيَّة»

د. بَايِ زِكُوبِ عَبْدُ العَالِي

الأستاذ المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية - ماليزيا

قدم للنشر في: ١٤٤١/٧/١٩

قبل للنشر في: ١٤٤١/١٢/٢٢

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- **حصل على درجة الماجستير** من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم القرآن والسُّنة، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.
- **حصل على درجة الدكتوراه** من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم القرآن والسُّنة، الجامعة الإسلاميَّة العالمية - ماليزيا.
- **النتاج العلمي:**

«دور توظيف تدبُّر القرآن الكريم في تعزيز أخلاق البحث العلمي من وجهة نظر محاضري كلية العلوم الإسلامية بجامعة المدينة العالمية ماليزيا»، (بحث محكَّم منشور)، «القلب بين القرآن الكريم والعلم الحديث»، (بحث محكَّم منشور)، «من خصائص الخطاب الإصلاحي في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس»، (بحث محكَّم منشور)، «وجوه الخطاب الإصلاحي في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس»، (بحث محكَّم منشور)، «مصطلح المال في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه في الشريعة الإسلامية»، (بحث محكَّم منشور)، «الطُّرق المنحرفة في التفسير وأثرها في تفريق الأُمَّة الإسلامية»، (بحث محكَّم منشور)، «هدايات تشريعيّة لأحكام الأطعمة في ظلال سورة المائدة: دراسة تفسيرية موضوعية»، (بحث محكَّم منشور) «مقوّمات تدبّر القرآن الكريم ومعوّقاته»، (بحث محكَّم منشور)، مصطلح العقل في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه: دراسة قرآنية مقاصدية (بحث محكَّم منشور) وغير ذلك.

- البريد الشبكي: bey.zekkoub@mediu.edu.my/ beyzekoub@yahoo.fr

المُستخلص

يُعنَىٰ هذا البحث بدراسة: (مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية)، وقد هدف إلىٰ بيان مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم، أو المبثوثة في ثنايا سياقاته؛ لِمَا له من أثر عقائديٍّ، وتربويٍّ، وأخلاقيٍّ، في حياة المسلم. موظِّفًا المنهج الاستقرائي التحليلي، ثم المنهج الاستنباطي. وقد توصَّل البحث إلىٰ أنَّ المقصد الرئيس من البلاء؛ استخراج ما عند المبتَلَىٰ من معاني العبوديَّة لله وحده، والتعرُّف علىٰ حاله في الطَّاعة والمعصية؛ بتحميله الضِّيق، والمشقَّة، والألم. كما توصَّل إلىٰ استنباط أهمِّ مقاصد البلاء من خلال القرآن الكريم، وتحليلها ودراستها، التي أوصلها الباحث إلىٰ اثني عشر مقصدًا قرآنيًّا؛ ليكون ذلك طريقًا هاديًا في الحفاظ علىٰ النِّعم وإربائها، وفي دفع ما يستجدُّ من أنواع المصائب ودرئها؛ ذلك أنَّ البلاء يُظهرُ حالَ المبتَلِين، ومدىٰ تطبيقهم للتَّكاليف والنَّواهي، وتتجلَّىٰ به نيَّاتهم في سرعة الاستجابة لله، وللرسول ﷺ، ويختلف ذلك من شخص لآخر، حسب قوة الإيمان في القلب، وحسب إدراك المعاني، والحِكم، للبلاء في الخير، والشَّرِّ.

الكلمات المفتاحية: مقاصد، البلاء والابتلاء، القرآن الكريم، الخير والشَّرُّ، المفسِّرون.

states of those in trouble as well as the extent of their compliance with religious obligations and prohibitions and their responsiveness to Allâh and the Prophet (may Allâh's blessings and peace be upon him). All of this varies from one person to another according to the strength of his faith, sensemaking and the rationales behind tribulations and trials.

Keywords: Rationales- tribulation and trial- the Noble Quran- good and evil-exegetes

The purposes of Allah’s Trials from a Quranic perspective: A Thematic Study

The Rationales behind Tribulations from a Quranic Perspective

(An Objective Study)

Prepared by:
Dr. Bey Zekkoub Abdelali
Associate Professor, the Department of Qur’an and its Sciences, the Faculty of Islamic Sciences at Al-Madinah International University, Malaysia

Abstract

This research examines the rationales behind tribulations from a Quranic perspective. It aims to shed light on the objectives of tribulations as reflected in the Noble Quran because of their doctrinal, educational, and moral impacts on the Muslim's life. It also employs the inductive analytical and the deductive approaches. The research found that the main rationale behind tribulation is to elicit the meanings of servitude to Allâh alone from the afflicted person's psyche and find out about the extent of his religiousness by burdening him with distress, hardship and agony. The research concluded the main rationales behind tribulation in accordance with the Noble Quran, analyzed and explored them, which reached twelve Quranic purposes according to the researcher. This is designed to be a guiding way of preserving and maximizing divine blessings and warding off new types of misfortunes. This is because tribulation shows the spiritual

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي كتب الرَّحمة علىٰ نفسه، وحرَّم الظلم علىٰ ذاته، وابتلىٰ عباده بالخير والشَّرِّ بمقتضىٰ رحمته وعدله، فمنهم من شكر الله علىٰ نِعَمه؛ فسخَّرها في مرضاته؛ فوفَّقهم لطاعته، وزادهم من خيره، ومنهم من جحد نِعمة الله عليه؛ فوظَّفها في سخطه؛ فخذلهم عن طاعته، وحرمهم من خيره، والصَّلاة والسَّلام الأتمَّان الأكملان علىٰ نبيِّنا محمد، أكثر من ابتُلِيَ؛ فشكر وصبر؛ ولذلك وصفه الله تعالىٰ في أشرف المقامات بالعبوديَّة: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء:١]، ورضي الله تعالىٰ عن آله الطيِّبين الطَّاهرين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، الذين قاموا بالدَّعوة إلىٰ الله، والجهاد في سبيله أحسن قيام: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]؛ فنالوا بذلك شرف الصُّحبة، والثَّناء، والرِّضىٰ من ربِّهم، ومَنِ اقتفىٰ أثره، ودان بدينه إلىٰ يوم الدِّين. أمَّا بعد؛

فقد أنزل الله القرآن الكريم؛ ليكون منهج حياة للنَّاس جميعًا، فأمرنا بتدبُّره؛ لفهم معانيه، واستنباط أحكامه، وكشف وجوه إعجازه، واستخراج سُننه، وسبر أغواره، والولوج في أعماق أسراره وحِكَمِه، فقال تعالىٰ ذكره: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ومن المعلوم أنَّ الله لَمَّا خلق هذا الكون جعل له سننًا يسير وَفقها؛ حتىٰ ينتظم أمر الخلق، وخرق هذه السُّنن يقود إلىٰ ظهور الفساد في برِّ الأرض وبحرها، ومن هذه السُّنن الإلهيَّة: سُنَّة البلاء بالخير والشَّرِّ المنصوص عليها في القرآن الكريم، وهي سُنَّة من سنن الله تعالىٰ في

الأوَّلين والآخرين، من الأنبياء والمرسلين، وأتباعهم، التي تجري باطِّراد في حياة البشر، يقول تعالىٰ ذكره: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، والمعنىٰ: «لن يغيِّر ذلك ولا يبدِّله؛ لأنَّه لا مردَّ لقضائه»(١)، وفي الصَّحيح عن عياض بن حِمار الْمُجَاشِعِيِّ أنَّ رسول الله ﷺ، روىٰ عن ربِّه ﷻ أنَّه قال: «إنَّما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»(٢).

بيد أنَّ إخلال بعض النَّاس بهذه السُّنَّة الكونيَّة؛ أدَّىٰ إلىٰ فقدان الرَّخاء في العيش، والصِّحَّة في البدن، وحلول الشَّظف في العيش، والاعتلال في البدن، ولا شكَّ أنَّ هذا ناتج عن قلَّة الوعي لدىٰ الناس بشأن مقاصد البلاء المذكورة في القرآن الكريم.

لذا، بات من الأهمِّية بمكان التعرُّف علىٰ مقاصد البلاء، وإدراك حِكَمِه؛ حتىٰ يحسن تعامل الناس معه، ولا يتأتَّىٰ لنا هذا إلَّا بعد تتبُّع مواضع ذكر البلاء، ونظائره في القرآن الكريم، ثم الاطِّلاع علىٰ أقوال المفسِّرين القدامىٰ والمعاصرين لتلك المواضع، وما يتعلَّق بها من سُنَّة رسول الله ﷺ؛ لأنَّها بمنزلة القرآن في التشريع، ثم تحليلها ودراستها؛ حتىٰ نهتدي في الأخير إلىٰ بعض مقاصد البلاء، التي قد تخفىٰ علىٰ بعض عباد الله، وتظهر لآخرين، ونحن إذ نقوم باستخراج هذه المقاصد، لا ندَّعي أنَّها تقتصر علىٰ ما ذكرناه في هذا البحث فحسب؛ ذلك لأنَّ هذه المقاصد لها ارتباط بواقع النَّاس، وبما أنَّ الواقع يتجدّد، فإنَّ المقاصد والحِكَم والغايات تتجدَّد معه، وقد يظهر لنا في هذا الزَّمان ما لم يظهر لغيرنا في الأزمنة الماضية، وقد يظهر للأجيال القادمة ما لا يظهر لنا في الوقت الحالي؛ لأنَّ القرآن الكريم له علاقة وطيدة

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥).

بواقع الناس، ومنه يقوم العلماء باستخراج هداياته، وأحكامه، وحِكَمِه، كلٌّ حسب توفيق الله له: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال إبراهيم النَّخعي رحمه الله: «الحكمة معرفة معاني الأشياء وفهمها»(١).

◆ مجالات النشر:

تصبُّ هذه الدِّراسة في مجال الاستنباط من القرآن الكريم، وقد تناوَلتُ فيها استخراج مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم؛ مستعينًا في ذلك بآراء العلماء المفسِّرين، أصيلها ومعاصرها، مع دراستها وتحليلها؛ لأجل الوصول إلىٰ أهمِّ مقاصد البلاء، التي من الممكن أن تكون طريقًا هاديًا في حسن التَّعامل مع البلاء في الخير والشَّرِّ.

◆ حدود الدِّراسة:

تدور الحدود الموضوعية لهذه الدِّراسة حولَ الآيات ذات الصّلة بمقاصد البلاء في القرآن الكريم، مع الرُّجوع في فَهْمها واستخراج مقاصدها إلىٰ كُتب تفسير القرآن الكريم، والأخْذ بعين الاعتبار بما أتانا به ﷺ في سنَّته؛ لأنَّه بمنزلة القرآن في التَّشريع.

◆ أهداف الدِّراسة:

١- التَّعريف بمقاصد البلاء في القرآن الكريم.

٢- استنباط أهمِّ مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم، أو المبثوثة في ثنايا سياقاته.

٣- بيان معاني مقاصد البلاء المستنبطة من القرآن الكريم، وذلك من وجهات نظر عدَّةٍ للمفسِّرين.

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (١/ ٣٧٣).

٤- لفت انتباه القرَّاء إلىٰ كيفيَّة التَّعامل مع البلاء في الخير والشَّرِّ بمشيئة الله تعالىٰ.

منهج الدِّراسة:

استخدمت الدِّراسة المنهجَ الاستقرائيَّ التحليليَّ؛ حيثُ يقومُ الباحث باستقراء الآيات التي تحدَّثت عن موضوع مقاصد البلاء في القرآن الكريم، ثمَّ باستقراء آراء العلماء المفسِّرين حولَ تلك الآيات، وما يتعلَّق بها من سُنَّة رسول الله ﷺ، ثمَّ تُحلَّل وتُصنَّف حسَب الخطَّة البحثيَّة للموضوع، كما استفادت الدِّراسة من المنهج الاستنباطيِّ في استخراج أهمِّ مقاصد البلاء بناءً علىٰ ما تمَّ استقراؤه.

الدِّراسات السَّابقة:

١- أجرىٰ الباحث محمد عبدالعزيز الرحالي (١٩٨٨) دراسة بعنوان «الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة مقدَّمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسُّنَّة، بجامعة أم القرىٰ، في المملكة العربية السُّعودية، هدفت إلىٰ الكشف عن معنىٰ الابتلاء في القرآن الكريم، وأنواعه وصوره، وموقف الإنسان منه، ومن أهم ما توصَّلت إليه هذه الدِّراسة: أنَّ الابتلاء يكون في ميدان الخير بالصَّبر علىٰ الطاعة، من حيث امتثال أمر الله واجتناب نهيه، وفي ميدان الشَّرِّ بالصَّبر علىٰ ما يلقىٰ الإنسان من مكاره ومصاعب، وأنَّ الابتلاء طريق لإظهار موقف المكلَّف من الأوامر والنَّواهي التي تعبَّدنا الله بها علىٰ وجه الاختيار، فكان الخلق للابتلاء وسيلة لإظهار نتيجة الخلق للعبادة؛ فكلٌّ من الخلق للابتلاء والخلق للعبادة لازم للآخر ومكمِّل له، وقد استخدمت الدِّراسة المنهج الاستقرائي التحليلي[1].

(١) الابتلاء في القرآن الكريم، لمحمد عبدالعزيز الرحالي، (ص ٤١٩) وما بعدها.

٢- وتناول الباحث محمد يوسف أحمد دوفش (١٩٨٨) دراسة بعنوان: «الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة ماجستير في التفسير من قسم أصول الدين، بالجامعة الأردنية، والبحث عبارة عن دراسة قرآنية لسنة البلاء، وقد هدفت إلىٰ تجلية هذه السنة وتحديد موقف الإنسان تجاهها، محاولةً الكشف عن مزايا الأسلوب القرآني في تناولها، ومعالِجة لبعض التصوُّرات الخاطئة العالقة في أذهان الناس، وقد ضمَّنها الباحث تمهيدًا، وأربعة فصول، وخاتمة، وخصص في الفصل الثاني مبحثًا مختصرًا عن حكم البلاء، أورد فيه الباحث الأهداف والغايات التي يحقِّقها الابتلاء، وقد توصَّلت الدراسة إلىٰ أهم ما ينبغي أن يتزوَّد به الإنسان لمواجهة البلاء، وتخفيف شدَّته، وقد استخدمت الدِّراسة المنهج الاستقرائي التحليلي(١).

٣- وأما الباحث رجب نصر موسىٰ الأنس (٢٠٠٧)، فقد أجرىٰ دراسةً بعنوان: «سُنة الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة مقدَّمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في أصول الدِّين، بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين، هدفت إلىٰ الكشف عن ظواهر المحن والابتلاء في القرآن الكريم، وضروبه، وموقف الإنسان منه، وقد توصَّلت الدِّراسة إلىٰ أهمية التشبُّث بالصَّبر وضرورته، والعقيدة مهما تكن الظُّروف والأحوال، موظَّفة المنهج الاستقرائي التحليلي(٢).

٤- بينما الباحث حمدي سلمان معمر (٢٠٠٩)، قد تناول دراسةً بعنوان: «التربية بالابتلاء: دراسة تربوية لآيات الابتلاء في القرآن الكريم»، وهو بحث نشرته مجلَّة جامعة الأقصىٰ، في غزَّة، فلسطين، هدفت إلىٰ بيان

(١) الابتلاء في القرآن الكريم، لمحمد يوسف أحمد دوفش، (ص ٣ و٣٣٧) وما بعدها.

(٢) سنة الابتلاء في القرآن الكريم، لرجب نصر موسىٰ الأنس، (ص ٣ وص١٧٦) وما بعدها.

الغرض من إصابة المسلمين بأنواع المصائب، مستخدمًا المنهج الفلسفي التحليليَّ، وخرج البحث بعدَّة نتائج، من أهمِّها: أنَّ الابتلاء سُنَّة دائمة لله في خلقه، وهو للمؤمنين تطهير، وللكافرين تذكير وعقاب[1].

التَّعليق على الدِّراسات السَّابقة:

تناولت الدِّراسة الحاليَّة تحديد أهم مقاصد البلاء واستنباطها من خلال القرآن الكريم؛ حيثُ قام الباحث باستقراء لفظتي البلاء والابتلاء في القرآن الكريم، وتتبع معانيهما دراسةً وتحليلًا في كتب التفسير، ثم باستنباط أهم مقاصد البلاء بناء علىٰ ما تم استقراؤه ودراسته، موظِّفًا المنهج الاستقرائي التَّحليليَّ، والمنهج الاستنباطيَّ، وهذا ما لم تفعله الدِّراسات السَّابقة، باستثناء تطرُّقها إلىٰ مفهوم البلاء في اللُّغة والاصطلاح، وبعض الحِكَم العامة للبلاء، واقتصارها علىٰ المنهج الاستقرائي والفلسفي التحليلي، وقد لوحظ أنَّ دراسة محمد يوسف أحمد دوفش (١٩٨٨)، ودراسة رجب نصر موسىٰ الأنس (٢٠٠٧)، مماثلة لرسالة محمد عبدالعزيز الرحالي (١٩٨٨) في بعض أجزاء موضوعاتها وتقسيماتها، إلَّا أنَّ دراسة محمد عبدالعزيز الرحالي (١٩٨٨)، اتَّسمت بالأصالة والعمق والمنهجية العلمية؛ ذلك ويلاحظ أنَّ الدِّراسة الحاليَّة تختلف عن الدِّراسات السَّابقة من حيث هدفها ومنهجها المستخدم، ومن حيث موضوعها وتقسيماتها، وطريقة تناولها لمقاصد البلاء القرآنية؛ حيث يتناول هذا البحث استخراج مقاصد البلاء في القرآن الكريم، من خلال نظرة تفسيريَّة موضوعيَّة، وهذا يؤكِّد أنَّ موضوع الدِّراسة الحاليَّة جدير بالتناول؛ لأنَّه يركِّز علىٰ مقاصد البلاء التفصيليَّة من خلال القرآن الكريم.

(١) التربية بالابتلاء: دراسة تربوية لآيات الابتلاء في القرآن الكريم، (ص ٩٤).

خطَّة البحث:

وتشتمل علىٰ مقدِّمة، ومبحثَيْن، ثم الخاتمة، هذا هو بيانها:

المقدِّمة: موضوع البحث، مجاله، حدوده، أهدافه، منهجه، الدِّراسات السَّابقة وخطة البحث.

المبحث الأوَّل: تعريف المقاصد القرآنية، وتعريف البلاء ومواطن وروده في القرآن الكريم.

المطلب الأوَّل: تعريف المقاصد القرآنية.

المطلب الثاني: تعريف البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الثَّالث: مفهوم مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الرَّابع: الألفاظ ذات الصِّلة بالبلاء في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: الفرق بين ابتلاء الرَّحمة وابتلاء العقوبة.

المطلب السَّادس: اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم.

المطلب السابع: رسومات بيانية تبيِّن الصيغ التصريفية لمادة «بلا» في القرآن الكريم.

المطلب الثامن: تحليل نتائج الرُّسومات البيانية.

المبحث الثاني: مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الأوَّل: البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده.

المطلب الثاني: البلاء بمقصد استخراج التوكل.

المطلب الثَّالث: البلاء بمقصد استخراج الدُّعاء.

المطلب الرَّابع: البلاء بمقصد استخراج الصَّبر.

المطلب الخامس: البلاء بمقصد استخراج الرِّضا.

المطلب السَّادس: البلاء بمقصد استخراج الشُّكر.

المطلب السَّابع: البلاء بمقصد استخراج التَّوبة.

المطلب الثَّامن: البلاء بمقصد الرَّحمة.

المطلب التَّاسع: البلاء بمقصد التَّمحيص.

المطلب العاشر: البلاء بمقصد الاستدراج.

المطلب الحادي عشر: البلاء بمقصد التَّخويف.

المطلب الثَّاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة.

ثم الخاتمة.

المبحث الأوَّل:

تعريف المقاصد القرآنية، وتعريف البلاء ومواطن وروده في القرآن الكريم

سيتطرَّق هذا المبحث إلىٰ تعريف المصطلحات الأساسية للبحث، والوقوف مع معاني البلاء والابتلاء في اللُّغة وفي اصطلاح المفسِّرين، ثم محاولة استخراج الفرق بينهما، وتتبع الألفاظ ذات الصلة بهما؛ ذلك وقد تم تتبُّع مفردتي البلاء والابتلاء في القرآن الكريم وتحديد مواطن ورودهما، ثم دارستهما وتحليلهما، ويتضمَّن هذا المبحث ثمانية مطالب، هي:

المطلب الأوَّل: تعريف المقاصد القرآنية.

المطلب الثاني: تعريف البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الثَّالث: مفهوم مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الرَّابع: الألفاظ ذات الصِّلة بالبلاء في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: الفرق بين ابتلاء الرَّحمة وابتلاء العقوبة.

المطلب السَّادس: اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم.

المطلب السَّابع: رسومات بيانية تبيِّن الصيغ التصريفية لمادة «بلا» في القرآن الكريم.

المطلب الثامن: تحليل نتائج الرُّسومات البيانية.

المطلب الأول:
تعريف المقاصد القرآنية

المقاصد في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي لمادَّة: قصد، يقصد، قصدًا، ومقصدًا، فهو قاصد، والمفعول مقصود، والقصد لغة هو: التوجه والاعتزام والنهوض والهدف، قال ابن جنّيّ: «أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب الاعتزام، والتَّوجُّه، والنُّهود، والنُّهوض نحو الشَّيء، علىٰ اعتدال كان ذلك أو جَوْر»(١)، ويأتي في اللُّغة لمعانٍ متنوِّعة، هي: استقامة الطَّريق، وطريق سهل، والعدل، والاعتماد والأَمُّ، وإتيان الشيء، والتوسُّط، والكسر، واللَّحم اليابس(٢)، وجاء في المعجم: «القصد: «الهدف»(٣)، وقد ورد لفظ القصد في ستَّة مواضع في القرآن الكريم، تحمل معاني: الاعتدال، والسهولة، والتبيين، والتواضع، كما سيأتي:

١. **التوسُّط** في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ﴾ [المائدة: ٦٦]. ويعني بـ: ﴿مُّقۡتَصِدَةٞۖ﴾؛ أي: «عادلة غير غالية، ولا مقصرة جافية»(٤)، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ﴾ [لقمان: ٣٢]. روي عن ابن زيد ﴿مُّقۡتَصِدٞۚ﴾ قال: «هو

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، للمرسي أبي الحسن (٦/ ١٨٧).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/ ٣٥٣-٣٥٦).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار (٣/ ١٨٢٠).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ٦٨).

المتوسط في العمل»[1]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. ويعني بـ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾؛ أي: «متوسط في الطَّاعات»[2].

٢. **السُّهولة** في قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة: ٤٢]. وقوله: ﴿قَاصِدًا﴾ فمعناه: «قريبًا سهلًا»[3].

٣. **التبيين** في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩]. وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ فإنه يعني: «تبيين الطريق المستقيم إليه بالحُجج والبراهين»[4].

٤. **التواضع** في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]. رُوي عن مجاهد ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ قال: «التواضع»[5]، وعن الماتريدي قال: «اقصد في المشي في الناس، ولا تمشِ متكبرًا مستخفًّا بهم؛ لتؤذيهم»[6].

وقد عُرِّفت المقاصد اصطلاحًا، مضافةً إلىٰ علم مقاصد القرآن الكريم، بأنها: «الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها»[7]، وهذا التعريف قريب من تعريفات علماء مقاصد الشريعة، وعرَّفها آخر بأنَّها:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٥١).

(٢) النكت والعيون، الماوردي (٤/ ٤٧٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٤/ ٢٧١).

(٤) معاني القرآن، للزجاج (٣/ ١٩٢).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ١٤٦).

(٦) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٨/ ٣٠٨).

(٧) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبدالسلام (٣/ ١٠).

«الكشف عن المعاني المعقولة، والغايات المتنوِّعة التي يدور حولها القرآن الكريم كليًّا أو جزئيًّا، مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصلحة العباد»[1]، ومن هنا يمكننا تعريف علم مقاصد القرآن الكريم بأنَّه: الغايات والأهداف التي أُنزل القرآن الكريم من أجلها؛ تحقيقًا لجلب مصالح العباد في المعاش والمعاد من جهة، وتحقيقًا لدرء مفاسد العباد في المعاش والمعاد من جهة أخرىٰ.

(١) نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم: رؤية تأسيسية، لوصفي عاشور (ص ٤٣).

المطلب الثاني:
تعريف البلاء في القرآن الكريم

البلاء مصدر الفعل الثلاثي علىٰ وزن فعل، وتصريفه: بَلَا، يبلو، ابْلُ، بلوًا وبلاءً، فهو بال، والمفعول مبلوٌّ، والابتلاء مصدر الفعل الثلاثي المزيد بحرفَيْن، أصله من بلا، فزيد فيه الألف في أوله، والتاء بين الفاء والعين علىٰ وزن افتعل، وتصريفه: ابتلىٰ، يبتلي، ابتلِ، ابتلاء، فهو مُبتلٍ، والمفعول مبتلًىٰ.

البلاء والابتلاء لغة هو: «التجربة»(١)، و«الامتحان والاختبار»(٢)، وفي اللِّسان: «البلاء: الاختبار، يكون بالخير والشَّرِّ، يقال: ابتليته بلاءً حسنًا وبلاءً سيِّئًا، والله تعالىٰ يُبْلي العبد بلاءً حسنًا ويُبْلِيه بلاء سيِّئًا، والمعروف أنَّ الابتلاء يكون في الخير والشَّرِّ معًا»(٣). وأمَّا اصطلاحًا فهو: «الاختبار بالخير والشرِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وهو مجاز مشهور حقيقته بلاء الثواب، وهو تخلُّقه، وترهُّله، ولَمَّا كان الاختبار يوجب الضَّجر، والتَّعب؛ سُمي بلاءً، كأنه يَخلُق النَّفس، ثم شاع في اختبار الشَّرِّ؛ لأنَّه أكثر إعناتًا للنَّفس، وأشهر استعماله إذا أطلق أن يكون للشَّرِّ، فإذا أرادوا به الخير احتاجوا إلىٰ قرينة أو تصريح، فيُطلق غالبًا علىٰ المصيبة التي تحلُّ بالعبد؛ لأنَّ بها يُختبر مقدار الصَّبر، والأناة»(٤). وأمَّا الابتلاء فهو: «استخراج ما عند المبتَلَىٰ، وتَعَرُّف

---

(١) كتاب العين، للفراهيدي (٨/ ٣٤٠).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٢٩٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٨٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٤٩٣).

حاله في الطَّاعة، والمعصية؛ بتحميله المشقَّة»[1]. ويبدو لي بعد عرض المعنىٰ اللُّغوي والاصطلاحي للبلاء والابتلاء، أنَّ البلاء أعمُّ من الابتلاء، والابتلاء فيه معنىٰ المشقَّة، والاختبار أكثر، فزيادة المبنىٰ تدلُّ علىٰ الزِّيادة في المعنىٰ، وهما يشتركان في أنهما يحملان معنىٰ الاختبار، وكلاهما يكون في الخير والشَّرِّ معًا من غير فرق بين فعليهما.

المطلب الثالث:

مفهوم مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم

مما سبق من تعريفات لمقاصد البلاء؛ يتبين لنا أنَّه يدور حول الكشف عن الغايات، واختبار أحوال النَّاس، وذلك في مجال القرآن الكريم.

ومن هنا يمكننا تعريف مقاصد البلاء في القرآن الكريم علىٰ أنَّها: الحِكَم التي يدور حولها اختبار أحوال الناس في تلقِّي التَّكاليف، وأنواع النِّعم، والنِّقم، من منظور القرآن الكريم.

(١) الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري (١/ ٢١٦).

المطلب الرابع:
الألفاظ ذات الصِّلة بالبلاء في القرآن الكريم

لقد أخبر الله في كتابه أنَّه يبتلي عباده تارةً بالخير، وتارةً بالشَّرِّ، فقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ومن أهمِّ الألفاظ ذات الصِّلة بالبلاء في الخير والشَّرِّ، كما سيأتي:

أوَّلًا: البلاء بالخير:

١- الإملاء:

تعود لفظة الإملاء إلىٰ جذرها اللُّغوي (مَلِيَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلِّي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «سبعًا»[(١)]، والإملاء في اللُّغة: «الإمهال، والتَّأخير، وإطالة العمر»[(٢)]، وقد جاء الإملاء بمعنىٰ البلاء بالتأخير، والتَّمتيع، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٨]، وعلَّق ابن عجيبة رحمه الله علىٰ الآية فقال: «والإملاء هو الإمهال مع إرادة المعاقبة»[(٣)]، ويتضمَّن الإملاء: «التمتيعَ بطيبات الدُّنيا وزينتِها»[(٤)]، مع استمرار الظَّالمين علىٰ ظلمهم؛ حتىٰ يزدادوا إثمًا بذلك التَّأخير، ونحو ذلك من الآيات التي دلَّت علىٰ هذا المعنىٰ.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٦٧٦).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ٢٩٠).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٣/ ٥٤٢).

(٤) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٢/ ١١٨).

٢- الحسنة:

تعود لفظة الحسنة إلىٰ جذرها اللُّغوي (حَسُنَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلِّي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وأربعًا وتسعين»(١)، ومعناها في اللُّغة: «النِّعمة»(٢)، وعن مجاهد رحمه الله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ [الأعراف: ٩٥]، قال: «الحسنة: الخير»(٣). وقد جاءت الحسنة بمعنىٰ البلاء بالخيرات، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ أي: «العافية والرَّخاء»(٤)، وكما في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النِّساء: ٧٨]، ويعني بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾: «رخاء وظفر»(٥)، ونحو ذلك من الآيات.

٣- النِّعمة:

تعود لفظة النِّعمة إلىٰ جذرها اللُّغوي (نَعِمَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وأربعًا وأربعين»(٦)، ومعناها في اللُّغة: «التَّنعُّمُ وطِيبُ العَيش»(٧)، وقد جاءت النِّعمة بمعنىٰ البلاء بالنِّعم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣]، قال المفسِّرون: «وهذا الإنعام: سَعة الرزق، وكشف البلاء»(٨)، وكما في قوله بشأن فرعون: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٢٠٢-٢٠٥).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ١١٦).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٢/ ٥٧٤).

(٤) المصدر السابق (١٣/ ٤٧).

(٥) المصدر السابق (٨/ ٥٥٥).

(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٧٠٧-٧٠٩).

(٧) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٤٦).

(٨) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣/ ٤٩).

فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٧]، ويعني بالنِّعمة: «متعة، وعيشًا ليِّنًا»(١)، قال قتادة ﵀: «أخرجه الله [أي: فرعون] من جنَّاته، وعيونه، وزروعه؛ حتىٰ ورَّطه في البحر»(٢)، ونحو ذلك من الآيات.

٤ – الرَّحمة:

تعود لفظة الرَّحمة إلىٰ جذرها اللُّغوي (رَحِمَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ثلاثمائة وتسعًا وثلاثين»(٣)، ومعناها في اللُّغة: «الرَّأفة»(٤)، وعن ابن جرير ﵀: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [هود: ٩]؛ أي: «رخاء وسعةً في الرِّزق والعيش»(٥)، وقد جاءت الرَّحمة بهذا المعنىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا﴾ [الروم: ٣٦]، ويعني بـ: ﴿رَحْمَةً﴾: «خصب، ورخاء، وعافية في الأبدان، والأموال»(٦)، ونحو ذلك من الآيات.

ثانيًا: البلاء بالشَّرِّ:

١ – الفتنة:

تعود لفظة الفتنة إلىٰ جذرها اللُّغوي (فَتَنَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ستين»(٧)، ومعناها في اللُّغة: «الابتلاء، والامتحان،

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٤/ ١٧٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٢/ ٣٢).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٣٠٤-٣٠٩).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٤٦).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٢/ ٥٧٤).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ١٠٢).

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤١٩-٤٢٠).

والاختبار»[1]، وقد جاءت الفتنة بمعنىٰ البلاء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، عن مجاهد رحمه الله في قول الله: ﴿ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ قال: «يُبْتلَوْنَ في أنفسهم، وأموالهم»[2]، وكما في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [التغابن: ١٥]، عن قتادة رحمه الله، قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ يقول: «بلاء»[3]، ونحو ذلك من الآيات.

٢- البؤس:

تعود لفظة البؤس إلىٰ جذرها اللُّغوي (بَأَسَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ثلاثًا وسبعين»[4]، والبؤس في اللُّغة: «الشدَّة، والفقر، والبائس: المبتَلَىٰ»[5]، وقد جاء البؤس بمعنىٰ شدَّة الفقر والبلاء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وقوله: ﴿بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ معناه: «شدَّة الفقر، والضِّيق في المعيشة»[6]، وكما في قوله سبحانه: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، ومعنىٰ قوله: ﴿ٱلۡبَآئِسَ﴾ هو: «الذي به ضرُّ الجوع، والزَّمانة والحاجة»[7]، ونحو ذلك من الآيات.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣١٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٩/ ٧).

(٣) المرجع السابق (٢٣/ ٤٢٦).

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ١١٣-١١٤).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (٦/ ٢٠-٢١).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٣٥٤).

(٧) المرجع السابق (١٨/ ٦١١).

٣- الضُّرُّ:

تعود لفظة الضُّرِّ إلىٰ جذرها اللُّغوي (ضَرَرَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «أربعًا وسبعين»(١)، ومعناها في اللُّغة: «الهزال، وسوء الحال»(٢)، ويقول آخر: «الشدَّة، والبلاء»(٣)، وقد جاء الضُّرُّ بمعنىٰ الشدَّة والبلاء كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢] قال ابن قتيبة: «والضَّرَّاء: البلاء»(٤)، وقال ابن جرير: «والضَّرَّاء هي الأسقام، والعلل العارضة في الأجسام»(٥)، وكما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨]، عن قتادة رحمه الله في قول الله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ قال: «الوجع، والبلاء، والشدَّة»(٦)، ونحو ذلك من الآيات.

٤- المصيبة:

تعود لفظة المصيبة إلىٰ جذرها اللُّغوي (صَوَبَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «سبعًا وسبعين»(٧)، والمصيبة في اللُّغة: «الأمر المكروه ينزل بالإنسان»(٨)، وقد جاءت المصيبة بمعنىٰ الشدَّة والبلاء كما في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]،

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٥١١-٥١٢).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٢/ ٧٢٠).

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (١/ ٤٠٣).

(٤) غريب القرآن، لابن قتيبة (١/ ١٣٤).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٣٥٥).

(٦) المرجع السابق (٢١/ ٢٦٢).

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤١٥-٤١٦).

(٨) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٥٣٥).

وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ فمعناه: «بليَّة، وشدَّة»(١)، وكقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [الحديد: ٢٢]، والمصيبة في الأرض هي: «قحط المطر، وقلة النَّبات، ونقص الثِّمار، وغلاء الأسعار، وتتابع الجوع»(٢)، والمصيبة في الأنفس هي: «الأمراض، والفقر، وذهاب الأولاد، وإقامة الحدود عليها»(٣)، ونحو ذلك من الآيات.

٥- السُّوء:

تعود لفظة السُّوء إلىٰ جذرها اللُّغوي (سَوُءَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وسبعًا وستين»(٤)، والسُّوء في اللُّغة: «اسم للضُّرِّ، وسوء الحال»(٥)، وعن مجاهد رحمه الله: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ [الأعراف: ٩٥]، قال: «السَّيِّئة: الشَّرُّ»(٦). وقد جاء السُّوء بمعنىٰ الضرِّ والبلاء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: «الضرُّ، والفقر، والجوع»(٧)، وكقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، عن ابن جُرَيج رحمه الله، قوله: ﴿وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ قال: «الضرُّ»(٨)، كما وردت لفظة السُّوء في كثير

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (١/ ٩٦٦).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٩/ ٤٦٦).

(٣) المرجع السابق (٢٩/ ٤٦٦).

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٣٦٧-٣٧٠).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٩٨).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٢/ ٥٧٤).

(٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ٢٥٧).

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٩/ ٤٨٥).

من المواضع بمعنى السيِّئة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾ [آل عمران: ١٢٠]؛ أي: «مصيبة ومكروه»[(١)]، وكقوله أيضًا: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف: ١٣١] ؛ أي: «بلاء، وعقوبة»[(٢)]، وقوله: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، ويعني بـ ﴿سَيِّئَةٞ﴾: «شدَّة من جدب، وقحط، وبلاء في الأموال والأبدان»[(٣)]، ونحو ذلك من الآيات.

المطلب الخامس:

الفرق بين ابتلاء الرَّحمة وابتلاء العقوبة

لا شكَّ أنَّ البلاء يختلف بين كونه رحمةً للنَّاس، وكونه عقوبةً لهم.

فيكون رحمةً للنَّاس بثلاثة معانٍ:

فالأوَّل: الإنعام والإفضال، والمقصود أنَّ الله ﷻ يُنعم على جميع خلقه بنعمه الظَّاهرة والباطنة، قال تعالى على لسان رسوله سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠].

والثاني: التَّطهير والتكفير، والمقصود أنَّ الله ﷻ يطهِّر المسلمين خصوصًا بما كسبت أيديهم من الآثام والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠].

والثالث: التَّأخير والإمهال، والمقصود أنَّ الله ﷻ يمهل النَّاس عمومًا،

---

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (١/ ٩٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٤٧).

(٣) المرجع السابق (٢٠/ ١٠٢).

ولا يعجِّل لهم العقوبة علىٰ اقترافهم المعاصي، مِن كفر لأنعم الله، ومن فساد في برِّ الأرض وبحرها، ومن ظلم وطغيان؛ حتىٰ يتوبوا علىٰ ما صدر منهم من تفريط في جنب الله، وتقصير في الأعمال التي تُرضي الله ﷻ، يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر: ٤٥].

وقد يكون عقوبةً للنَّاس بثلاثة معانٍ:

فالأوَّل: الرَّدع، والمقصود أنَّ الله ﷻ شرع عقوبات رادعة مغلَّظة من حدود وقصاص وتعازير شرعيَّة علىٰ مرتكبي المعاصي، والجرائم والسَّاعين في الأرض فسادًا؛ لأجل ضبط سلوكاتهم، وردعهم عن اقتراف الجرائم، قال تعالىٰ -في حدِّ الزِّنىٰ تمثيلًا، لا حصرًا-: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

والثاني: الاستدراج والإملاء، والمقصود أنَّ الله ﷻ يُرغِد عيش العاصين من الكفَرة والفسقة والجهلة لمدَّة طويلة؛ حتىٰ يغترُّوا بما هم فيه، ويعتقدون أنَّهم علىٰ خير، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣].

والثالث: الأخذ، والتي تأتي بعد مرحلة الاستدراج والإملاء، والمقصود أنَّ الله ﷻ يوقع عقوبة الأخذ علىٰ الكافرين بأحكامه، والمستحلِّين لمحرَّماته، والصَّادِّين عن دينه، والمؤذين لأوليائه، والسَّاعين في الأرض ظلمًا، وطغيانًا، وفسقًا، وجهلًا، وفسادًا، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

المطلب السادس:
اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم

لقد ورد فعل «بلا» باشتقاقاته، وتصريفاته المختلفة في سبعة وثلاثين موضعًا، من خلال أربع وثلاثين آية من آي الذِّكر الحكيم، منها ستَّ عشرةَ آية مكِّية، وثمانيَ عشرةَ آية مدنيَّة، وذلك في مجموع أربع وعشرين سورة(١).

والصيغ التي ورد بها فعل «بلا» في القرآن الكريم هي: ابْتَلَىٰ (١)، بَلَاءٌ (٤)، بَلَاءً (١)، مُبْتَلِيكُمْ (١)، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ (٢)، لِيَبْتَلِيَكُمْ (١)، لِيَبْلُوَكُمْ (٤)، وَلِيَبْتَلِيَ (١)، لَيَبْلُوَنَّكُمُ (١)، لَتُبْلَوُنَّ (١)، وَابْتَلُوا (١)، لَمُبْتَلِينَ (١)، نَبْلُوهُمْ (١)، ابْتُلِيَ (١)، بَلَوْنَاهُمْ (٢)، نَبْتَلِيهِ (١)، وَلِيُبْلِيَ (١)، ابْتَلَاهُ (٢)، تَبْلُو (١)، يَبْلُوكُمُ (١)، لِنَبْلُوَهُمْ (١)، وَنَبْلُوكُمْ (١)، لِيَبْلُوَنِي (١)، الْبَلَاءُ (١)، لِيَبْلُوَ (١)، وَنَبْلُوَ (١)، بَلَوْنَا (١)، تُبْلَىٰ (١).

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٥/ ٣١١).

المطلب السابع: رسومات بيانية تبيِّن الصِّيغ التصريفية لمادة «بلا» في سور القرآن الكريم

الرَّسم البياني الأوَّل: يبيِّن عدد تكرار تصريفات فعل «بلا» في سور القرآن الكريم علىٰ حدة:

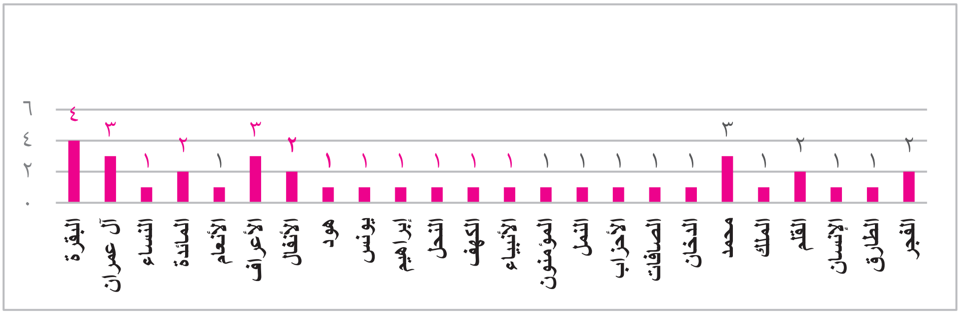
	صيغ التصريف	عدد الصيغ	التَّكرار	النسبة
١	اسم فاعل	لَمُبْتَلِينَ (١): ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠] مُبْتَلِيكُمْ (١): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩]	٢	٦٪
٢	الفعل المبني للمجهول	ابْتُلِيَ (١): ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ١١] تُبْلَى (١): ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩] لَتُبْلَوُنَّ (١): ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]	٣	٨٪
		ابْتَلَى (١): ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] بَلَوْنَاهُمْ (٢): ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ [القلم: ١٧]		

	صيغ التصريف	عدد الصيغ	التكرار	النسبة
٣	الفعل المبني للمعلوم	**ابْتَلَاهُ (٢)**: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الفجر: ١٥] ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] **بَلَوْنَا (١)**: ﴿كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧] **لَنبْلُوَنَّكُمْ (٢)**: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ﴾ [البقرة: ١٥٥] ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١] **ابْتَلُوا (١)**: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٦] **لِيَبْتَلِيَكُمْ (١)**: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٢] **لِيَبْلُوَكُمْ (٤)**: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: ٧] ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢] **وَلِيَبْتَلِيَ (١)**: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤]	٢٦	٪٧٠

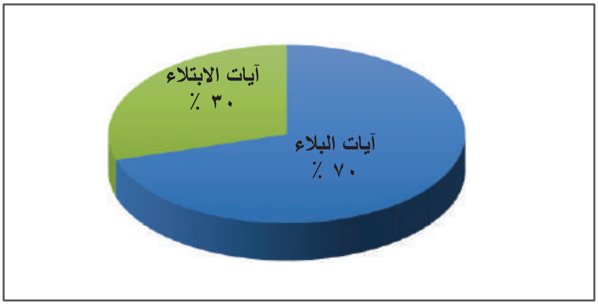
	صيغ التصريف	عدد الصيغ	التَّكرار	النسبة
		لَيَبْلُوَنَّكُمُ (١): ﴿لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾ [المائدة: ٩٤] نَبْلُوهُمْ (١): ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الأعراف: ١٦٣] نَبْتَلِيهِ (١): ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾ [الانسان: ٢] وَلِيُبْلِيَ (١): ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٧] لِيَبْلُوَنِي (١): ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ [النمل: ٤٠] لِيَبْلُو (١): ﴿وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ [محمد: ٤] وَنَبْلُو (١): ﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١]. لِنَبْلُوَهُمْ (١): ﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الكهف: ٧]. وَنَبْلُوكُمْ (١): ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء: ٣٥] يَبْلُوكُمُ (١): ﴿إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ [النحل: ٩٢]		

	صيغ التصريف	عدد الصيغ	التكرار	النسبة
		تبْلُوا (١): ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ﴾ [يونس: ٣٠]		
٤	الاسم	بَلَاءً (١): ﴿بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ [الأنفال: ١٧] بَلَاءٌ (٤): ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٦/ الأعراف: ١٤١/ إبراهيم: ٦] ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣] الْبَلَاءُ (١): ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦]	٦	١٦٪
	المجموع	٤ صيغ	٣٧ مرة	١٠٠٪

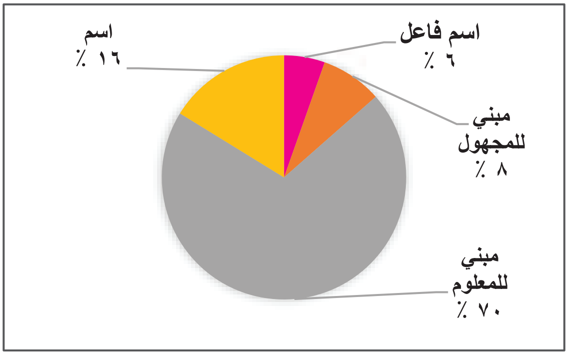
الرسم البياني الثاني: يبين نسبة تكرار صيغ التصريف لفعل «بلا» في القرآن الكريم



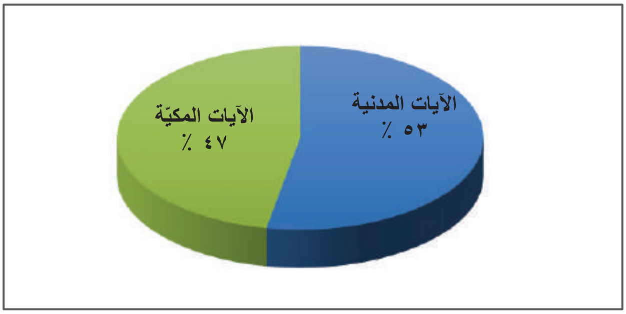
الرسم البياني الثالث: يبيِّن نسبة الآيات التي تحدَّثت عن البلاء والابتلاء



الرَّسم البياني الرابع: يوضِّح نسب الصيغ التصريفية التي ذكر بها فعل بلا في القرآن الكريم



الرّسم البياني الخامس: يوضِّح نسبة ذكر تصريفات فعل «بلا» في الآيات المكيَّة والمدنيَّة



المطلب الثامن:

تحليل نتائج الرُّسومات البيانية:

١. نستنتج أنَّ فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة، ذُكر في القرآن الكريم سبعًا وثلاثين مرة، منها إحدىٰ وعشرين مرة في النصف الأول، وستَّ عشرة مرة في النصف الثاني.

٢. نستنتج أنَّ فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة، ذكر في القرآن الكريم سبع وثلاثين مرَّة من خلال أربع صيغ، وهي: اسم الفاعل (٢)، المبني للمجهول (٣)، المبني للمعلوم (٢٦)، والاسم (٦).

٣. نستنتج تكرار فعل «بلا» بصيغه المختلفة في مختلف السور علىٰ النَّحو الآتي:

- ✓ **اسم فاعل**: تكرَّر ذكره مرتَيْن في سورتَيْن هما: البقرة، والمؤمنون، وهذا بنسبة مئوية قدِّرت بـ: ٦٪.
- ✓ **صيغة الفعل المبني للمجهول**: تكرَّر ذكرها ثلاث مرات في ثلاث سور قرآنية، هي: آل عمران، الأحزاب، والطلاق، وهذا بنسبة مئوية قدِّرت بـ: ٨٪.
- ✓ **صيغة الفعل المبني للمعلوم**: تكرَّر ذكرها ستًّا وعشرين مرة في ثمانيَ عشرةَ سور قرآنية، هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، هود، يونس، النحل، الكهف، الأنبياء، النمل، محمد، الملك، القلم، الإنسان، الفجر، وهذا بنسبة مئوية قدِّرت بـ: ٧٠٪.
- ✓ **صيغة الاسم**: تكرَّر ذكرها ست مرات في ست سور قرآنية، هي: البقرة، الأعراف، الأنفال، إبراهيم، الصافات، والدخان، وهذا بنسبة مئوية قدِّرت بـ: ١٦٪.

٤. نلاحظ أنَّ عدد السور التي ورد فيها فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة أربع وعشرون سورة، وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، يونس، هود، إبراهيم، النحل، الكهف، الأنبياء، المؤمنون، النمل، الأحزاب، الصافات، الدخان، محمد، الملك، القلم، الإنسان الطارق، الفجر.

٥. يلاحظ في مجموع السور التي ورد فيها فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة، سبع عشرة سورة مكية، وسبع سور مدنية، ، فالمكية: الأنعام، الأعراف، يونس، هود، إبراهيم، النحل، الكهف، الأنبياء، المؤمنون، النمل، الصافات، الدخان، الملك، القلم، الإنسان، الطارق والفجر، والمدنية هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، الأحزاب ومحمد ﷺ.

٦. يلاحظ أنَّ الآيات المدنيَّة التي ورد فيها لفظ «بلا» باشتقاقاته المختلفة بلغت نسبتها ٥٣ بالمائة، بينما المكيَّة بلغت نسبتها ٤٧ بالمائة.

٧. يلاحظ أنَّ نسبة الآيات التي تحدثت عن البلاء بلغت ٧٠ بالمائة، بينما نسبة الآيات التي تحدثت عن الابتلاء بلغت ٣٠ بالمائة، وهذا يؤيِّد ما تمَّ التوصُّل إليه سابقًا؛ أنَّ بين البلاء والابتلاء عمومًا وخصوصًا، فكل بلاء ابتلاء، وليس كلُّ ابتلاء بلاء.

٨. يلاحظ تكرار آيات البلاء والابتلاء في السور المدنية، وأنَّها عُنيت بالتكاليف والنهي والضِّيق، وهذا يؤيِّد قاعدة أنَّ القرآن المدني اهتمَّ اهتمامًا بارزًا بالعبادات، والتَّكاليف بما يُطاق، والحرص علىٰ تطهير القلوب من الأمراض القلبية، وميز خبيثها عن طيِّبها؛ لأجل تهيئتها في آخر المطاف إلىٰ حمل أعباء رسالة الإسلام، والدَّعوة إلىٰ الله ﷻ، والجهاد في سبيله.

٩. ويلاحظ تكرار آيات البلاء والابتلاء في السور المكية، وأنَّها عُنيت بتبليغ

الدعوة، والاتعاظ بقصص الأولين، ويوم الحساب، والمصائب، والنعم، والوفاء بالعهد، وعدم الغدر، وهذا يؤيد قاعدة أنَّ القرآن المكي اهتم اهتمامًا بارزًا بتزكية النفوس، ودعوتها إلىٰ الإيمان بالله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره، والالتزام بالعهود، والمواثيق، وعدم نقضها.

١٠. يستفاد من خلال ورود تصريفات «بلا» في الآيات المكية والمدنية؛ ضرورة الشُّكر علىٰ المسارِّ، والصَّبر علىٰ المضارِّ، وتحمُّل التكاليف والنواهي.

١١. ونلاحظ أن مصدر «البلاء» باشتقاقاته المختلفة ضُمِّن في ثمانية عشر محورًا رئيسًا في القرآن، هي:

- اختبار الله تعالىٰ إبراهيم عليه السلام بتكليفه ذبح ولده إسماعيل، فسارع إلىٰ ذلك ممتثلًا لأمر الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦].
- اختبار الله تعالىٰ سليمان عليه السلام بإحضار العرش إليه؛ ليرىٰ منه أيشكر أم أيكفر، وما كان منه إلَّا أن اعترف بفضل ربه عليه وشكر نِعَمه، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].
- اختبار الله تعالىٰ عباده بالمال والقوة والجاه وجودة النفوس والأذهان وغير ذلك؛ ليرىٰ المحسن من المسيء، وضدَّه، قال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ [الأنعام: ١٦٥].
- اختبار الله تعالىٰ عباده بالمصائب تارةً، وبالنِّعَم أُخرىٰ؛ لينظر من يشكر، ومن يكفر، ومن يصبر، ومن يقنط، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].
- اختبار الله تعالىٰ عباده بإيجاد الموت والحياة؛ ليرىٰ منهم أيهم أكثر استعدادًا

للموت، وأسرع إلىٰ طاعة ربه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

- اختبار الله تعالىٰ كل نفس مؤمنة أو كافرة في موقف الحساب يوم القيامة علىٰ ما عملت من خير أو شر، وترىٰ الجزاء المناسب عن كل عمل؛ ليقضىٰ الله بينهم بقضائه العادل، قال تعالىٰ: ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]، وقوله: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].
- اختبار الله تعالىٰ عباده عن طريق خلق السموات والأرض، وكسوتهما بالزينة، وترتيبه فيهما جميع ما يحتاجون إليه من أسباب المعاش؛ ليتميز المطيع من العاصي، فيثيب المطيعين، ويعاقب العاصين، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الكهف: ٧].
- اختبار الله تعالىٰ بني اسرائيل بنعمة الإنجاء من آل فرعون بعدما كانوا فيه من العذاب؛ لأجل استخراج الشُّكر علىٰ المسارِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٤٩]، [الأعراف: ١٤١]، [إبراهيم: ٦].
- اختبار الله تعالىٰ بني إسرائيل بظهور السَّمك في اليوم المحرم عليهم صيده؛ ليترتب الجزاء علىٰ عملهم بسبب فسقهم المستمر عن أمر ربهم، وتعديهم حدود شرعه، قال تعالىٰ: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

- اختبار الله تعالىٰ بني إسرائيل بالنِّعَم والنِّقَم؛ رجاء أن يرجع العصاة منهم إلىٰ طاعة ربهم، ويتركوا ما نُهوا عنه من المعاصي والسيئات حين يرون حسن حال الصالحين، وسوء حال من هم دون ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

- اختبار الله تعالىٰ بني إسرائيل بالحُجج والبراهين وخوارق العادات الدالة علىٰ صدق رسلهم؛ ليتميز الخبيث من الطيب، والكافر من المؤمن، قال تعالىٰ: ﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣].

- اختبار الله تعالىٰ عباده المؤمنين بنعمة النصر والغنيمة يوم بدر؛ لإظهار الشُّكر منهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧].

- اختبار الله تعالىٰ عباده المؤمنين بأمره إياهم بالوفاء والعهد، وألا يغدروا لكثرتهم، وقلة أعدائهم، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ [النحل: ٩٢].

- اختبار الله تعالىٰ عباده المسلمين بقليل من الضَّرَّاء؛ لأجل استخراج الصَّبر علىٰ المضارِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

- اختبار الله تعالىٰ عباده فيما آتاهم من الشرائع مختلفة؛ ليثيبهم علىٰ طاعته أو يعاقبهم علىٰ معصيته، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].

- اختبار الله تعالىٰ عباده المسلمين بإرسال شيء كثير من الصيد في الوقت

المحرم عليهم صيده، وهو وقت الإحرام والحلول في الحرم؛ ليعلم من يخافه في السِّر والجهر، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤].

- اختبار الله تعالىٰ عباده المسلمين بالأمر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشَّاقة؛ حتىٰ يتميز قويُّ الإيمان من ضعيفه، والصادق من المنافق، والمجاهد من المتخلف، قال تعالىٰ: وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

- اختبار الله تعالىٰ مشركي قريش بالقحط والجوع بعد جحودهم لنعمة الخير، وتكذيبهم لرسول ﷺ، كما اختبر من قبلهم أصحاب الجنة، بأن دمَّرها تدميرًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧].

١٢. ونلاحظ أيضا أن مصدر «الابتلاء» باشتقاقاته المختلفة ضُمِّن في تسعة محاور رئيسة في القرآن، هي:

- اختبار الله تعالىٰ إبراهيم عليه السلام بما كلفه به من الأوامر والنواهي، فقام بها كلها، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤].

- اختبار الله تعالىٰ جنود طالوت قبل ملاقاتهم جالوت وجنوده؛ حتىٰ يتميز من يصبر علىٰ الحرب ممن لا يصبر، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

- اختبار الله تعالىٰ المسلمين يوم أُحد بزيادة في عدد جرحاهم وشهدائهم

علىٰ عدد الجرحىٰ والقتلىٰ من المشركين؛ حتىٰ يتبيَّن الخبيث من الطيب، ويتميز قوي الإيمان من ضعيفه، والصابر من غيره، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٢-١٥٤].

- اختبار الله تعالىٰ المسلمين بنزول الأحزاب حول المدينة وهم محصورون في غاية الجهد والضيق؛ ليظهر المخلص من المنافق، والراسخ من المتزلزل، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

- اختبار الله تعالىٰ المسلمين بألوان المصائب؛ ليتميز الصادق من المنافق، والصابر من المضطرب، والثابت من الخائف، قال تعالىٰ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

- اختبار الله للأوصياء حول اليتامىٰ المقاربين للرشد بدفع شيء من أموالهم؛ حتىٰ يتبين بذلك رشدهم من سفههم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

- اختبار الله تعالىٰ نوحًا عليه السلام بتكذيب قومه وأذاهم إياه والمؤمنين معه؛ ليميز الله للناس الخبيث من الطيب، قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩-٣٠].

- اختبار الله الإنسان بالتكاليف، بعد إرشاده إلىٰ طريق الحق وتزويده بالعقل؛ للتفكر في آيات الله الدالة علىٰ وحدانيته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الانسان: ٢].

- اختبار الله تعالىٰ الإنسان بالسعة والضِّيق؛ ليستخرج منه الشُّكر والصَّبر، والكفر والجزع، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

المبحث الثاني:

مقاصد البلاء في القرآن الكريم

ليس من شكٍّ أنَّ البلاء بالخير والشَّرِّ الذي ينزل علىٰ النَّاس لا يخلو من مقاصد وغايات وحِكَم وأغراض، عَلِمَها من عَلِم، وجَهِلَها من جَهِل، فما علمناه سيأتي الحديث عنه في هذا المبحث، وأمَّا ما جهلناه فكثير جدًّا وَفقًا لاتِّساع معلومات الله ﷻ وحِكَمِه، وإنها غير متناهية، ولذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقد ضرب الله مثلًا علىٰ اتِّساع علمه وحكمته بأنَّه لو كُتِبَ علم الله بمداد البحر لاندثر البحر ولم يندثر علم الله، فقال تعالىٰ ذكره: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩] والمراد بكلمات ربي: «كلام الله، وعِلْمه، وحِكْمته»(١)، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان: ٢٧]. ويهدف هذا المبحث إلىٰ تبصير النَّاس بمقاصد البلاء الواردة في القرآن الكريم؛ حتىٰ يحسن تعاملهم مع هذه السُّنَّة الكونيَّة، وذلك باستحضار قول الله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ويتضمَّن هذا المبحث اثني عشر مطلبًا، هي:

المطلب الأوَّل: البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٥/ ٢٥١).

المطلب الثاني: البلاء بمقصد استخراج التوكُّل.

المطلب الثَّالث: البلاء بمقصد استخراج الدُّعاء.

المطلب الرَّابع: البلاء بمقصد استخراج الصَّبر.

المطلب الخامس: البلاء بمقصد استخراج الرِّضا.

المطلب السَّادس: البلاء بمقصد استخراج الشُّكر.

المطلب السَّابع: البلاء بمقصد استخراج التَّوبة.

المطلب الثَّامن: البلاء بمقصد الرَّحمة.

المطلب التَّاسع: البلاء بمقصد التَّمحيص.

المطلب العاشر: البلاء بمقصد الاستدراج.

المطلب الحادي عشر: البلاء بمقصد التَّخويف.

المطلب الثَّاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة.

المطلب الأوَّل:
البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده

وردت مادة «عبد» في مائتين وخمسة وسبعين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم، بصياغات واشتقاقات مختلفة(١).

«العبادة» مصدر الفعل الثلاثي: عَبَدَ، يَعبُد، عِبادةً، وعُبُوديَّةً، فهو عابِد، والمفعول مَعْبود، وفي معاني القرآن: «العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق مُعَبَّدٌ، إذا كان مذلَّلًا بكثرة الوطءِ، فمعنىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: نطيعُ الطَّاعة التي نخضع معها، وقوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ [المائدة: ٦٠]، أي: «أطاع الشَّيطان فيما سوَّل له وأغراه به»(٢)، وفي الصِّحاح: «وأصل العبودية الخضوع والذل، والتعبيد: التذليل، يقال: طريق مُعَبَّد، والبعير المعبد: المهنوء بالقطران المذلل، والتعبد: التنسك»(٣)، وجاء في اللِّسان أنَّ: «أصل العبوديَّة الخضوع والتذلُّل، فلان عابد، وهو الخاضع لربِّه المستسلم المُنقاد لأمره»(٤)، ومعنىٰ العبادة في اصطلاح المفسِّرين هي: «الخضوعُ لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة، والإقرار له بالربوبية، لا لغيره»(٥)، وعرَّفها آخر بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبُّه الله تعالىٰ ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»(٦)، ويقول غيره: هي:

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤٤١-٤٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٤٨)، (٢/ ١٨٧).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٢/ ٥٠٢-٥٠٣).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (٩/ ١٠-١٢).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ١٥٥ و٣٦٢).

(٦) العبودية، لابن تيمية (ص ٢٠).

«التعظيم لأمر الله والشَّفقة علىٰ خلق الله»[(١)]، ويقول آخر: هي: «إفراد الله بالعبادة، أي الاعتراف بوحدانيته»[(٢)]، هذا وإنَّ المعنىٰ الذي تدلُّ عليه العبادة في اللُّغة هو الطاعة، مع الخضوع، والتذلُّل، والانقياد، والاستسلام طوعًا، أو كرهًا، غير أنَّ العبادة في الاصطلاح لا تقتصر علىٰ هذه المعاني فحسب، وإنَّما تشتمل علىٰ معنىٰ الحبِّ أيضًا، فهي تتضمَّن غاية الذُّلِّ لله، وغاية المحبَّة له، وغاية الاتِّباع له، وغاية التديُّن له، وغاية الانقياد لشرعه، وغاية الخضوع لمشيئته، فيجب أن يكون الله أحبَّ إلىٰ العبد من كلِّ شيء، وأن تكون شريعة الله أحبَّ إلىٰ العبد من كلِّ الشَّرائع. لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العبادة المأمور بها تتضمَّن معنىٰ الذُّلِّ ومعنىٰ الحبِّ، فهي تتضمَّن غاية الذُّلِّ لله بغاية المحبَّة له، ومَن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحبَّ شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له، كما قد يحبُّ ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالىٰ، بل يجب أن يكون الله أحبَّ إلىٰ العبد من كلِّ شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كلِّ شيء، بل لا يستحقُّ المحبَّة والخضوع التَّامَّ إلا الله»[(٣)]، ومن هنا يمكننا تعريف العبادة علىٰ أنها: إفرادُ من بيده الأمر سبحانه بالطَّاعة، قولًا وفعلًا واعتقادًا، مع غاية الخضوع والمحبَّة له، ولا يُشرَكُ معه في الطَّاعة غيره؛ لأنَّ غيره ليس بيده الأمر، وامتثالُ جميع تكاليفه التشريعية من الأوامر، والنَّواهي، وإرضاؤه.

لقد بيَّن الله تعالىٰ المقصد الأسنىٰ من العبادة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وجملة قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ تعليل للأمر بـ ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾، والمعنىٰ: «لتتقوا سَخَطه وغضَبه أن يَحلَّ عليكم،

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٨/ ١٩٣).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٤/ ١٨٢).

(٣) العبودية، لابن تيمية (ص ٤٩).

وتكونُوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم»[(١)]، وهذا دليل علىٰ أنَّ ترك الخضوع لله بالطاعة والإقرار له بالوحدانية موجب للقوارع والجوائح والمصائب التي تصيب بعض بني البشر، ويؤيِّد هذا ما أخبر الله تعالىٰ به في مواضع من كتابه عن سُنته في الأمم المستنكفة عن طاعته والمكذبة برسله كيف أنه أبادهم بأنواع من المصائب، يقول تعالىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ أي: «وهم قوم لوط»[(٢)]، وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي: «وهم قوم ثمود، ومدين»[(٣)]، وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: «وهم قارون وأصحابه»[(٤)]، وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ أي: «قوم نوح وفرعون وقومه»[(٥)]، وقد دلَّت آيات كثيرة في القرآن الكريم علىٰ النتائج السيِّئة، والعواقب الوخيمة النَّاشئة عن الإعراض عن طاعة الله جل وعزَّ، أو الشَّكِّ فيها، أو الإشراك فيها، فمنها الإنذار بالصَّاعقة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ١٣-١٤]، ومنها الوعيد بالمعيشة الضيِّقة المليئة بالهموم، والغموم، والأحزان، وسوء العاقبة كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ٣٦٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٤/ ١٦٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ١٦٩).

(٤) المرجع السَّابق (٤/ ١٦٩).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ٣٧).

ومنها تهيئة القرناء من الشياطين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، ومنها الطَّبع، والختم، والوقر، والغشاوة، والأكنَّة المانعة من فهم ما ينفع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]، ومنها الخسران في الدُّنيا، والآخرة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وقوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ فمعناه: «صحَّة في جسمه وسعة في معيشته»(١)، وقوله: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾، فمعناه: «شرٌّ وبلاء في جسده وضيق في معيشته»(٢)، قال المفسرون: «نزلت في أعراب كانوا يقدمون علىٰ رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة، فإن صحَّ بها جسمه، ونتجت فرسه مُهرًا حسنًا، وولدت امرأته غلامًا، وكثر ماله وماشيته، رضي عنه واطمأنَّ، وقال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلَّا خيرًا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية، وأجهضت رِمَاكُهُ، وذهب ماله، وتأخَّرت عنه الصَّدقة، أتاه الشَّيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت علىٰ دينك هذا إلا شرًّا، فينقلب علىٰ دينه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾»(٣). والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًّا.

وأمَّا التَّائبون إلىٰ الله، والخاضعون لطاعته؛ فينجيهم بذلك من مصائب الدُّنيا،

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٤٣٠).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٣٠).

(٣) أسباب نزول القرآن، للواحدي (١/ ٣٠٧)، وأخرج معناه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] شك، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [الحج: ١١]، برقم (٤٧٤٢).

ويرفع عنهم شدائدها، كما أخبر تعالىٰ عن قوم يونس عليه السلام الذين آمنوا قبل نزول العذاب، فنفعهم إيمانهم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[يونس: ٩٨]، وقال ابن تيمية رحمه الله: «ومن تدبَّر أحوال العالم، وجد كلَّ صلاح في الأرض؛ فسببه توحيد الله، وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ، وكلَّ شرٍّ في العالم، وفتنة، وبلاء، وقحط، وتسليط عدوٍّ، وغير ذلك؛ فسببه مخالفة الرَّسول ﷺ، والدَّعوة إلىٰ غير الله»(١). ومن المواقف العمليَّة التي كان يستعين بها رسول الله ﷺ علىٰ مواجهة الأحداث المفاجئة، الإسراع إلىٰ عبادة الصَّلاة، فرُوي عن حذيفة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر، صلىٰ»(٢)، ورُوي أيضًا عن أبي الدَّرداء وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**ابن آدم، اركع لي أربع ركعات من أول النهار، أكفِكَ آخره**»(٣).

◆ ◆ ◆

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية (١٥/ ٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل برقم (١٣١٩)، كما أخرجه: أحمد في مسنده: أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ برقم (٢٣٢٩٧). وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (١٣١٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الوتر، باب ما جاء في صلاة الضحىٰ، كما أخرجه الطبراني في معجمه: باب الصاد، القاسم بن عبد الرحمن بن يزيد الشامي مولىٰ معاوية، عن أبي أمامة، برقم (٧٧٤٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم: (٤٧٥).

المطلب الثَّاني:
البلاء بمقصد استخراج التوكُّل

لقد ورد لفظ «التوكُّل» في سبعين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة(١).

«التوكُّل» مصدر الفعل الثلاثي وَكَلَ، ولكن زِيد فيه تاء في أوَّله، وضُعِّفَت عينُه في وسطه؛ ليصير علىٰ وزن تفعَّل، وهي صيغة الفعل الثلاثي المزيد بحرف: توكَّلَ، يتوكَّل، توكُّلًا، فهو متوكِّل، والمفعول مُتوكَّل عليه، وأصل التوكل في اللُّغة مركَّب من: «(وَكَلَ) الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدلُّ علىٰ إظهار العجز في الأمر والاعتماد علىٰ غيرك»(٢)، والتوكُّل في اصطلاح المفسِّرين هو: «التعويل علىٰ من يدبِّر أمره، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته، واعتقاد الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه»(٣). والحاصل أنَّ التوكُّل هو: عمل قلبيٌّ، يستشعر العبد من خلاله شدَّة حاجته إلىٰ الله في تدبير جميع أموره، وذلك بالاعتماد عليه وحده، وقد يصاحب هذا الافتقار القول باللِّسان (حسبنا الله ونعم الوكيل)، كما قد يصاحبه دعاء التوكُّل المعروف بصلاة الاستخارة.

إنَّ القرآن الكريم مملوء بالحديث عن موضوع التوكُّل، وحثِّ العباد علىٰ التحلِّي به، ومن مقاصد البلاء؛ هو إظهار المبتَلَىٰ عجزه في دفع البلاء الذي ألَمَّ به من جهة، ومن جهة ثانية إظهار المبتَلَىٰ اعتماده وحاجته وافتقاره إلىٰ الله تبارك وتعالى

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٧٢٦-٧٢٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٣٦).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ٨)، (٤/ ١٥١-١٥٢).

وحده لتدبير أمره، ومن جهة أخرىٰ الإخلاص في إسناد الأمور إلىٰ الله وحده لأنَّ تفويضها إلىٰ غير الله ليس من الهدىٰ، ولا يليق مع مقام التوحيد، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]، ومعنىٰ الوكيل هو: «من يتوكل عليه، فتفوَّض الأمور إليه، ليأتي بالخير، ويدفع الشر، وهذا لا يصح إلا لله وحده ﷻ، ولهذا حذَّر من اتخاذ وكيل دونه، لأنه لا نافع ولا ضارَّ، ولا كافي إلَّا هو وحده ﷻ، عليه توكَّلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل»[١].

كان من دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، والمعنىٰ: «وإذا سقم جسمي واعتلَّ، فهو يُبرئه ويعافيه»[٢]، ويلاحظ في الآية خُلُق الأدب في التخاطب مع الله؛ حيث إنَّ إبراهيم عليه السلام نسب المرض إلىٰ نفسه، ولم ينسبه إلىٰ ربِّه ﷻ، هذا ووجه الدلالة في الآية أنَّ الله يبتلي عباده بالمرض، والجراحة، والألم في الجسد؛ لأجل أن يتوكَّلوا عليه وحده في دفعها؛ لذا ينبغي للمريض أن يتوكَّل علىٰ الله خالق الأسباب، وألَّا يتعلَّق قلبه بالأسباب، كالمستشفيات والأطباء، والواجب أن يكون تعلُّق القلب بالذي أنزل الدَّاء والدَّواء، فالذي أنزل المرض قادر علىٰ أن يرفعه، لذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

هذا وإنَّ التوكُّل علىٰ الله تبارك أعلىٰ مقامات التوحيد؛ لِمَا فيه من بَوْء العبد بعجزه في مدافعة المضارِّ إلا بإذن الله تعالىٰ، قال سعيد بن جبير: «التوكُّل علىٰ الله جِماع الإيمان»[٣]، ولهذا عُدَّ التوكل عملاً قلبيًّا، فهو ليس بقول اللِّسان، ولا بعمل

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٣/ ١٢).
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٩/ ٣٦٣).
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ١٢).

الجوارح، كما عبَّر بذلك ابن القيم في المدارج[1]. ولا يكون التوكُّل كاملاً، إلاَّ بعد بذل الجهد المادِّي، والجهد المعنوي في دفع المضارِّ، أو تدبير الأمور، والجهد المادِّي يعبَّر عنه باتخاذ الأسباب الماديَّة، مثل طلب العلاج لمن ابتُلِي بالمرض، أو طلب الرزق لمن ابتُلِي بالفقر، وغير ذلك، أما الجهد المعنوي فيعبَّر عنه باتِّخاذ الأسباب المعنوية المكمِّلة للتوكُّل، مثل: الدُّعاء، والتضرُّع إلىٰ الله، وحسن الظنِّ به، والاستغاثة به، وصدق الافتقار، واللَّجء، والرَّغبة، والرَّهبة إليه، وغير ذلك.

ومن أجمل معاني التوكُّل علىٰ الله، والاستعانة به وحده وقت الشِّدَّة؛ موقف النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم في غزوة حمراء الأسد؛ حيث يخبرنا القرآن الكريم أن المشركين توعَّدوا النبي محمدًا ﷺ، وصحبه رضوان الله عليهم؛ بالقتل والأسر والأذىٰ، وخوَّفوهم بكثرة العدد، وشدَّة البطش، فلم يكترثوا لذلك، بل توكَّلوا علىٰ الله، واستعانوا به، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقد صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، «قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النَّار، وقالها محمد ﷺ» حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣][2]، وكذلك موقف النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم، في غزوة الأحزاب، حيث يصوِّر لنا القرآن الكريم تلك السَّاعات العصيبة التي عاشها المسلمون وقتذاك، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ١٠ – ١١]، وقوله: ﴿ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣]، برقم (٤٥٦٣).

﴿زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ فمعناه: «مُحِّصوا، وحُرِّكوا بالفتنة تحريكًا شديدًا، وابتُلوا وفُتِنوا»(١)، وفي هذا الجوِّ العصيب، يخبرنا الله تعالىٰ أنَّ المؤمنين الصَّادقين بوعد الله، وبنصر رسالته، توكَّلوا علىٰ الله حقَّ توكُّله، فبذلوا النّفس والنّفيس في سبيل نصرة الدِّين فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وعن ابن رومان قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ قال: «صبرًا علىٰ البلاء، وتسليمًا للقضاء، وتصديقًا بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله»(٢)، وقد صحَّ عن عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما قوله: دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب علىٰ المشركين، فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»(٣). ومن التَّطبيقات العمليَّة للتوكُّل ما سنَّه النبيُّ ﷺ لأمَّته في دعاء التوكُّل المعروف بصلاة الاستخارة، وهما ركعتان يصلِّيهما المسلم إذا احتار بين أمرَيْن أيَّهما يختار، داعيًا الله بدعاء مخصوص أن يوفِّقه إلىٰ خير الأمرين، وصلاة الاستخارة هي بمثابة التوكُّل العملي علىٰ الله، فعن جابر رضي الله عنه، قال: كان النَّبيُّ ﷺ يعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلِّها، كالسُّورة من القرآن: «إذا همَّ بالأمر فليركع ركعتَيْن ثم يقول: اللَّهمَّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنَّك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علَّام الغيوب، اللَّهمَّ إن كنت تعلم أنَّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجل

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ٢٢٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء علىٰ المشركين بالهزيمة والزلزلة، برقم (٢٩٣٣).

أمري وآجله- فاصرفه عنِّي واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به. ويسمِّي حاجته»(١). ومن وصايا رسول الله ﷺ في أدعية الصَّباح والمساء، ما رواه عثمان بن عبدالله بن مَوْهَب رحمه الله قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به: أن تقولي إذا أصبحت، وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين**»، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه(٢).

◆ ◆ ◆

المطلب الثَّالث:

البلاء بمقصد استخراج الدُّعاء

لقد ورد لفظ «الدُّعاء» في مائتين واثني عشر موضعًا من آي الذِّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة(٣).

و«الدُّعاء» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المعتلِّ النَّاقص: دعا، يَدعُو، ادْعُ، دُعَاءً، ودَعْوَةً، ودَعْوَىٰ، فهو داعٍ، والمفعول مَدْعُوٌّ، وأصل الدُّعاء في اللُّغة مركب من: «(دَعَوَ) الدَّال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تُميل الشيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاء»(٤)، وفي اللِّسان: «الدُّعاء:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة برقم (٦٣٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، وأما حديث رافع بن خديج، برقم (٢٠٠٠)، كما أخرجه الطبراني في معجمه: باب الخاء، من اسمه خالد، برقم (٤٤٤)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٢٧).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٢٥٧-٢٦٠).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٣٦).

الرَّغبة إلىٰ الله ﷻ، دعاه دعاء ودعوىٰ؛ ويقال: دعوت الله له بخير وعليه بشر، ومنه الحديث: «فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم»[1]، أي: تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم، ومعنىٰ الدُّعاء لله علىٰ ثلاثة أوجه: فضرب منها توحيده والثَّناء عليه، كقولك: يا الله، لا إله إلا أنت، وكقولك: ربَّنا لك الحمد، إذا قلته فقد دعوته بقولك ربَّنا، ثم أتيت بالثَّناء والتَّوحيد، ومثله قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؛ فهذا ضرب من الدُّعاء، والضَّرب الثاني مسألة الله العفو والرَّحمة وما يقرِّب منه تعالىٰ، كقولك: اللهمَّ اغفر لنا، والضَّرب الثالث مسألة الحظِّ من الدُّنيا، كقولك: اللَّهمَّ ارزقني مالًا وولدًا، وإنَّما سمِّي هذا جميعه دعاءً لأنَّ الإنسان يُصَدِّر في هذه الأشياء بقوله يا الله، يا ربِّ، يا رحمن؛ فلذلك سمِّي دعاءً»[2]، أمَّا الدُّعاء في اصطلاح المفسِّرين فهو: «النِّداء لطلب مهمٍّ، واستُعمل مجازًا في العبادة؛ لاشتمالها علىٰ الدُّعاء، والطَّلب بالقول، أو بلسان الحال، كما في الرُّكوع والسُّجود»[3]، ويرىٰ آخر أنَّ الدُّعاء: «يطلق علىٰ سؤال العبد من الله حاجته، وهو ظاهر معناه في اللُّغة، ويطلق علىٰ عبادة الله علىٰ طريق الكناية؛ لأنَّ العبادة لا تخلو من دعاء المعبود بنداء تعظيمه، والتضرُّع إليه، وهذا إطلاق أقلُّ

---

(١) الحديثه بطوله عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها؛ فرُبَّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن الدعوة تحيط من ورائهم**»، أخرجه الترمذي في سننه: أبواب العلم، باب ما جاء في الحث علىٰ تبليغ السماع، برقم (٢٦٥٨)، كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب المناسك، باب الخطبة، يوم النحر برقم (٣٠٥٦)، قال الألباني في صحيح وضعيف الترمذي: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٢٥٧-٢٦١).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٨٢).

شيوعًا من الأوَّل»[1]، مما سبق من تعريفات للدُّعاء في اللُّغة والاصطلاح يتبيَّن لنا أنَّه يدور حول النِّداء لطلب مُهمٍّ، وسؤال العبد من الله تعالىٰ حاجته.

ومن حالات الدُّعاء التي تَظهر علىٰ الدَّاعي في حال الدُّعاء، مُصَدَّرًا بعبارات الثَّناء علىٰ الله تعالىٰ:

- توحيد الله، والثَّناء عليه، كقولك: «اللهمَّ ربَّنا لك الحمد»[2] بعد الرَّفع من الرُّكوع.
- سؤال الله العفو، والرَّحمة، والرِّزق، وما يقرب منه تعالىٰ، كقولك: «اللَّهمَّ اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني وارزقني»[3] بين السَّجدتَيْن.
- التضرُّع إلىٰ الله، والاستغاثة به، وصدق الافتقار، واللَّجوء، والرَّغبة والرَّهبة إليه؛ عند النَّوازل العظام، وذلك علىٰ هيئة استقبال القبلة، ومدِّ اليدَيْن، ورفع الصوت؛ إظهارًا للمسكنة، والحاجة إلىٰ الله، كقول نبيِّ الله محمَّد ﷺ لَمَّا كان يوم بدر، مادًّا يديه، وصوته، مستقبل القبلة، حتىٰ سقط رداؤه عن منكبيه: «**اللَّهمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهمَّ آتِ ما وعدتني، اللَّهمَّ إنْ تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبَدْ في الأرض**»[4].
- تذكُّر الله، ومناجاته في جميع الأحوال، والهيئات، كدعاء رسول الله ﷺ يوم

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لرشيد رضا (٢٤/ ١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب: فضل اللهم ربنا لك الحمد، برقم (٧٩٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، برقم (١٧٦٣).

عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير»(١).

والحاصل أنَّ الدُّعاء هو: توجُّه العبد إلىٰ الله تعالىٰ بتوحيده، والثَّناء عليه بما هو أهله، وسؤاله العفو والرَّحمة، والاستعانة به في قضاء الحوائج، والتضرُّع إليه لكشف البلايا، والظَّفر علىٰ الأعداء، وتذكُّره في جميع الأحوال، بذكره ومناجاته، وقراءة القرآن الكريم، والفزع إلىٰ الصَّلاة.

والقرآن الكريم مملوء بالحديث عن أنواع الدُّعاء، ومن ذلك قوله تعالىٰ -آمرًا عباده بدعائه جهرًا وسرًّا وخوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه-: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، والتضرُّع: «إظهار التذلُّل بهيئة خاصَّة، ويطلق التضرَّع علىٰ الجهر بالدُّعاء؛ لأنَّ الجهر من هيئة التضرُّع، لأنَّه تذلُّل جهريٌّ»(٢)، وفي قوله: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ [الأعراف: ٥٦]، بيان لأغراض الدُّعاء، وأنَّه علىٰ نوعَيْن، هما: الخوف من غضب الله وعقابه، والطّمع في رضاه وثوابه، يقول ابن عاشور: «والدُّعاء لأجل الخوف نحو الدُّعاء بالمغفرة، والدُّعاء لأجل الطمَّع نحو الدُّعاء بالتَّوفيق وبالرَّحمة»(٣)، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال لأوليائه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وعن النُّعمان بن

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، لم يسم بابه، برقم (٣٥٨٥)، كما أخرجه مالك في موطَّئه: كتاب الصلاة، باب: ما جاء في الدعاء، برقم (٧٢٦). وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، برقم (٣٥٨٥).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٧١).

(٣) المرجع السَّابق، (٨/ ١٧٦).

بشير رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «الدُّعاء هو العبادة»، وقرأ الآية[1]، وقد ابتلىٰ الله تبارك وتعالى عددًا من أنبيائه ورسله؛ حتىٰ يستخرج منهم الدُّعاء، والتضرُّع والالتجاء إليه وحده في قضاء الحوائج، فهذا نبي الله نوح عليه السلام، نجده يتضرَّع إلىٰ ربه؛ طالبًا منه العون، والغلبة علىٰ قومه، بعد أن دعاهم زمنًا طويلًا إلىٰ التَّوحيد الخالص، مع صبره علىٰ إيذائهم وبطشهم، فقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾ [القمر: ١٠]، وقال عن مناجاة نبيِّ الله أيوب عليه السلام الذي اشتدَّ بلاؤه مدَّة طويلة؛ فتوسَّل إلىٰ الله بالشَّكوىٰ عن حاله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقد بيَّن الله تعالىٰ ما كان يردِّده يونس عليه السلام، لَمَّا ابتُلِي بالتقام الحوت له، فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وهذا نبي الله موسىٰ عليه السلام، نجده في وقت المحنة يلجأ إلىٰ ربِّه؛ طالبًا منه النُّصرة من جبروت فرعون، وشيعته، فقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ﴾ [الدُّخان: ٢٢]، وقد حكىٰ سبحانه عن أصحاب الكهف حين التجؤوا إلىٰ الكهف؛ فرارًا بدينهم، سائلين الله تعالىٰ أن يتغمَّدهم برحمته؛ ليؤمِّنهم من الأعداء: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ [الكهف: ١٠]. هذا ووجه الدِّلالة في الآيات؛ أنَّ الله يبتلي عباده بصنوف الابتلاءات والمصائب؛ ليظهر منهم التوجُّه إلىٰ الله وحده بالدُّعاء في قضاء حوائجهم، وكفايتهم شرور الأعداء، وشدَّة بطشهم. ولهذا فقد بيَّن الله تعالىٰ أنَّ الغاية من أخذ العباد بالبأساء والضرَّاء؛ حتىٰ يرجوه ويتضرعوا إليه بالدُّعاء فقال:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة البقرة، برقم (٢٩٦٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم: (٢٩٦٩). كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٣٨٢٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٨).

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام:٤٢]، قال ابن جرير رحمه الله: «فعلنا ذلك بهم ليتضرَّعوا إليَّ، ويخلصوا لي العبادة، ويُفْردوا رغبتهم إليَّ دون غيري، بالتذلُّل منهم لي بالطَّاعة، والاستكانة منهم إليَّ بالإنابة»(١)، كما بيَّن سبحانه، أنَّ بعض الناس يتضرعون إليه بالدُّعاء؛ ليكشف عنهم البلاء، ثم إذا رفع عنهم البلاء عادوا إلىٰ ما كانوا عليه من المعاصي، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [يونس:٢٢ - ٢٣]، ونظيره: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣ - ٥٤]، ونظيره: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣].

ويفهم من مجموع هذه الآيات أنَّ الغايات والحِكَم من أخذ الناس بالفقر والضِّيق في العيش، وبالأمراض والأسقام والآلام في البدن؛ لأجل استخراج الصَّبر لله وحده علىٰ المضارِّ، وإظهار غاية التوجُّه والافتقار إلىٰ الله تبارك وتعالى في تدبير الأمور، وقضاء الحوائج، وكشف الكربات، والاعتراف بقدرته وقهره وسلطانه، وأنَّه لا مدبِّر لأمر الله إلا هو سبحانه، وأنَّه لا أحد يستطيع أن يدفع هذا الشَّرَّ إلا الله؛ إذ لا مُعطِي لما منع، وأنَّ الغايات والحِكَم من التفضُّل علىٰ النَّاس بالغِنىٰ، وسَعة العيش، وبالصِّحَّة، والعافية، والقوَّة في البدن؛ لأجل استخراج الشُّكر لله وحده علىٰ المسارِّ، وإظهار توحيد الله بحمده والثَّناء عليه في تدبير الأمور، وتفريج الهموم والغموم، والاعتراف بنعمته ومنَّته وفضله، وأنَّه لا يستطيع أحد أن يردَّ هذا الخير إلا الله؛ إذ لا مانع لِمَا أعطىٰ، يقول ابن تيمية رحمه الله: «فمن تمام نعمة الله علىٰ عباده

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٣٥٥).

المؤمنين، أن ينزل بهم الشدَّة، والضُّرَّ، وما يُلجئهم إلىٰ توحيده؛ فيدعونه مخلصين له الدِّين، ويرجونه، ولا يرجون أحدًا سواه، وتتعلَّق قلوبهم به، لا بغيره؛ فيحصل لهم من التوكُّل عليه، والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان، وذوق طعمه، والبراءة من الشِّرك، ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف»[١].

ومن المواقف العملية المأثورة عن النَّبيِّ ﷺ لدفع البلاء فيما صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة. قال: «أما لو قلت، حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التَّامَّات مِن شَرِّ ما خلق، لم تضرَّك»[٢]، وفي رواية أخرىٰ عن خَولة بنت حكيم السُّلَمِيَّة، أنها سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إذا نزل أحدكم منزلًا، فليقل: أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شرِّ ما خلق، فإنَّه لا يضرُّه شيء حتىٰ يرتحل منه**»[٣]. ورُوِي عن أبان بن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كلِّ يوم ومساء كلَّ ليلة: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السَّماء، وهو السَّميع العليم ثلاث مرات، فيضرُّه شيء» وكان أَبَان، قد أصابه طَرَفُ فالج، فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أبان: «ما تنظر؟ أما إنَّ الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ؛ ليُمضيَ الله علَيَّ قَدَره»»[٤]، ومن

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية (٥/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم (٢٧٠٩).

(٣)المصدر السابق نفسه (٢٧٠٨).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسىٰ، برقم (٣٣٨٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٣٨٨). كما أخرجه ابن ماجه في سُننه: كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا =

الأذكار التي تقي من السُّوء وتدفع الضَّرر بإذن الله، ما رواه عبد الله بن خُبَيْبٍ عن أبيه، قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلِّي لنا، قال: فأدركته، فقال: «قل»، فلم أقل شيئًا، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئًا، قال: «قل»، فقلت: ما أقول؟ قال: «قل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتَيْن حين تمسي وتصبح ثلاث مرَّات، تكفيك من كلِّ شيء»(١). وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»(٢).

فالحاصل أنَّ الأدعية، والأذكار السَّابقة، تحفظ المسلم من الضُّرِّ، والأذىٰ، بجميع أنواعه، بإذن الله تعالىٰ، ولكن ليس علىٰ وجه اللُّزوم، فمَن أصابه من البلاء مع محافظته علىٰ هذه الأذكار؛ فذلك بقَدَر الله تعالىٰ، وله سبحانه الحِكمة البالغة في أمره وقَدَرِه.

= أمسىٰ، برقم (٣٨٦٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٨).

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، لم يسمِّ بابه، برقم (٣٥٧٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٥٧٥)، كما أخرجه عبد بن حميد في منتخبه: عبدالله بن خبيب، برقم (٤٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذِّكر والدُّعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، برقم (٢٧٣٠).

المطلب الرَّابع:
البلاء بمقصد استخراج الصَّبر

ورد لفظ «الصَّبر» في مائة وثلاثة مواضع من آي الذِّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة(١).

«الصَّبر» في اللُّغة: مصدر الفعل الثلاثي: صَبَرَ، يصبِرُ، صبرًا، فهو صابر، والمفعول مصبور، وأصل الصَّبر مركَّب من: «(صَبَرَ) الصاد والباء والراء أصول ثلاثة، الأول الحبس، والثاني أعالي الشيء، والثالث جنس من الحجارة، فالأول: الصَّبر، وهو الحبس، يقال: صبرت نفسي علىٰ ذلك الأمر، أي: حبستها، والمصبورة المحبوسة علىٰ الموت، ومن الباب: الصبير، هو الكفيل، وإنما سُمي بذلك؛ لأنه يصبر علىٰ الغُرم، يقال: صبرت نفسي به أَصْبُرُ صَبْرًا، إذا كفلت به، فأنا به صبير، وصبرت الإنسان، إذا حلَّفته بالله جهد القسم»(٢)، وجاء في اللِّسان: «صَبَرَه عن الشيء يَصْبِرُه صبرًا، حبسه؛ والصَّبر: نقيض الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرًا، فهو صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور، وصبرته أنا: حَبَسْتُه، والتصبُّر: تكلُّف الصَّبر؛ وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣]؛ معناه: وتواصوا بالصَّبر علىٰ طاعة الله، والصَّبر علىٰ الدُّخول في معاصيه، وقوله ﷻ: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]؛ أي: اصبروا واثبتوا علىٰ دينكم، وصابروا أي: صابروا أعداءكم في الجهاد، وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]؛ أي: بالثبات علىٰ ما أنتم عليه من الإيمان، وشهر الصَّبر: هو شهر رمضان، وأصل

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٣٩٩-٤٠١.
(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٢٩).

الصَّبر الحبس، وسمي الصوم صبرًا لِمَا فيه من حبس النَّفس عن الطَّعام والشَّراب والنِّكاح»[١]، وفي أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ: الصَّبور، وهو: «الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنىٰ الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصَّبور، كما يأمنها في صفة الحليم»[٢]، والصَّبر في اصطلاح المفسِّرين هو: «الإمساك في ضيق، وحبس النَّفس علىٰ ما يقتضيه العقل والشَّرع»[٣]، وعبَّر عنه آخر بأنَّه: «ثبات النَّفس، وتحمُّلها المشاقَّ والآلام ونحوها»[٤]. والحاصل أنَّ الصَّبر هو: تحمُّل المبتلَىٰ التكاليف التشريعية الشَّاقة من الأوامر والنواهي والضِّيق، أو الصَّبر علىٰ الدُّنيا.

لقد أخبر الله ﷻ عمَّا مَنَّ به علىٰ بني إسرائيل؛ إذ جعل منهم رؤساء في الخير، وقدوات يُقتدىٰ بهم؛ لأجل صبرهم علىٰ فعل المأمورات؛ وترك المنهيات، وإيقانهم بآيات الله، وتصديقهم بها، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدة: ٢٤]؛ وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ فمعناه: «صبرُهم علىٰ مشاقِّ الطَّاعات، ومُقاساة الشَّدائدِ في نُصرةِ الدِّينِ، أو صبرُهم عن الدُّنيا»[٥]، وفي الآية: «تعريض بالبشارة لأصحاب رسول الله ﷺ؛ بأنهم يكونون أئمَّة لدين الإسلام، وهداة للمسلمين، إذا صبروا علىٰ ما لحقهم في ذات الله من أذىٰ قومهم، وصبروا علىٰ مشاقِّ التَّكليف، ومعاداة أهلهم، وقومهم، وظلمهم إيَّاهم»[٦]،

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٤٣٨-٤٣٩).

(٢) المرجع السَّابق، (٤/ ٤٣٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٤٧٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٢٩٩).

(٥) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٧/ ٨٧).

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٧).

وقد دعا القرآن الكريم إلىٰ الثبات والصَّبر لوجه الله تعالىٰ فقال: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر:٧] بمعنىٰ: «اجعل صبرك علىٰ أذاهم لوجه ربِّك ﷻ»(١)، والآية: «تثبيت للنَّبي ﷺ علىٰ تحمُّل ما يلقاه من أذىٰ المشركين، وعلىٰ مشاقِّ الدَّعوة»(٢)، وقد أمر الله تعالىٰ عباده المؤمنين بالصَّبر علىٰ طاعة الله، ورسوله، فيما أمرا به من جهاد الأعداء، ثم نهاهم عن التَّنازع والاختلاف؛ لأنَّه يبعث علىٰ الفشل والجبن أمام الأعداء فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وفي الآية إيماء إلىٰ: «إعانة الله لمن صبر؛ امتثالًا لأمره، وهذا مُشاهَد في تصرَّفات الحياة كلِّها»(٣)، وقد أمر الله تعالىٰ بالمواظبة علىٰ العبادة، وشدَّة الصَّبر عليها فقال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥]، والاصطبار هو: «شدَّة الصَّبر علىٰ الأمر الشَّاقِّ»(٤)، وقوله: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ أي: «اثبت للعبادة، لأنَّ العبادة مراتب كثيرة، من مجاهدة النَّفس، وقد يغلب بعضها بعض النُّفوس؛ فتستطيع الصَّبر علىٰ بعض العبادات دون بعض»(٥)؛ لقد أقسم تعالىٰ بأنَّه مبتل عباده المسلمين في أموالهم، وأنفسهم، وسماع ما يكرهون من أهل الكتاب فيقول: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فحثَّهم سبحانه في الآية علىٰ ملازمة الصَّبر، والتقوىٰ عند مواجهة تحدِّيات البلاء، وأنَّ ذلك: ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي: «مما أمر

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٢٦٤).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٢٩٩).

(٣) المرجع السَّابق (١٠/ ٣٢).

(٤) المرجع السَّابق (١٦/ ١٤٢).

(٥) المرجع السَّابق (١٦/ ١٤٢).

[الله] به وبالغ فيه، والعزم في الأصل ثبات الرَّأي علىٰ الشَّيء نحو إمضائه»[1]، والآية دلالة واضحة علىٰ أنَّ من مقاصد البلاء؛ استخراج الصَّبر، وأنه لا يمكن للعباد أن يستمرُّوا علىٰ أداء الطَّاعات إذا لم يستعينوا بالصَّبر؛ لأنَّ الصَّبر حبس النَّفس عن الشَّكوىٰ، وثباتها، وتحمُّلها مشاقَّ الطاعات والدَّعوة إلىٰ الله والجهاد في سبيله، كما أقسم أيضًا بأنه سيبتلي عباده المسلمين بالأمر بالجهاد، ونحوه من التَّكاليف التَّشريعية الشَّاقَّة من الأوامر والنَّواهي؛ حتىٰ يستخرج منهم الصَّبر، ويظهر حالهم للنَّاس؛ فيتميَّز قوي الإيمان من ضعيفه، والصَّادق من المنافق، والمجاهد من المتخلِّف فقال: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١]، وحرف الغاية: ﴿حَتَّىٰ﴾ متعلِّق بقوله: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾، والمعنىٰ: «أنَّ الله تعالىٰ يبلو النَّاس؛ أي: يختبرهم بالتَّكاليف، كبذل الأنفس، والأموال في الجهاد؛ ليتميَّز بذلك صادقهم من كاذبهم، ومؤمنهم من كافرهم»[2]، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، وحسبك بفضيلة الصَّبر أن الله جعله سببًا للنَّجاح، والظَّفر علىٰ ما يبلو الله به عباده من أنواع الابتلاءات والمصائب، فقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١-٣]، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ فإنَّه يعني: «وتواصَوْا بالصَّبر عن المعاصي، وعلىٰ الطَّاعات، وعلىٰ ما يبلو الله به عباده»[3]؛ ويستشفُّ من هذه الآيات وما جاء موضَّحًا في آيات أُخَرَ؛ أنَّ الصَّبر شرط أساسي لتحقيق النَّصر علىٰ أنواع الابتلاءات والمصائب، ويؤيِّد هذا المعنىٰ ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «... **واعلم أنَّ النَّصر مع**

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٢/ ٥٣).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٧/ ٣٨٤).

(٣) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٤/ ٧٩٤).

الصَّبر...»[1]. ويلاحظ في الحديث أنَّ النبي ﷺ قرن بين النصر والصَّبر؛ للدِّلالة علىٰ أنَّه لا نصر علىٰ أنواع البلايا والمصائب إلا بالصَّبر؛ لأنه سبب في النَّجاح والانتصار، والحديث قاعدة ثابتة مطَّردة المعنىٰ، لا تتغيَّر ولا تتبدَّل؛ حيث يدركها العقلاء بعقولهم، والمجرِّبون بتجاربهم. ولقد قيل: «الشَّجاعة صبر ساعة»[2]، وقال زفر بن الحارث الكلابي، يعتذر عن انتصار أعدائهم عليهم:

«سقيناهم كأسًا سقونا بمثلها ... ولكنهم كانوا علىٰ الموت أصبرا»[3]

ويقول تعالىٰ -مخبرًا عن طاعة أصحاب طالوت الصَّادقين؛ لقتال جالوت وأصحابه الكافرين، مُعتبرين أنَّ النَّصر ليس من كثرة عَدد، ولا من عُدد، وإنَّما بالصَّبر علىٰ لأْواء الجهاد في سبيل الله، فقال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وكان من دعائهم في تلكم المعركة الحاسمة: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقد استفاضت السُّنَّة النبوية بالأحاديث التي تحثُّ علىٰ الصَّبر، وتأمر به، فمنها ما رواه صهيب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلَّا للمؤمن، إنْ أصابته سرَّاء شَكَر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء، صَبَر، فكان خيرًا له**»[4]، وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب رضي الله عنهما، برقم (٦٣٠٤)، كما أخرجه الطبراني في معجمه: باب العين، عبيد بن أبي مليكة، عن ابن عباس، برقم (١١٢٤٣)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٣٨٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٤٧٨).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (٢/ ٢٤٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩).

أتىٰ علىٰ امرأة تبكي علىٰ صبيٍّ لها، فقال لها: «اتقي الله واصبري»، فقالت: وما تُبالي بمصيبتي. فلما ذهب، قيل لها: إنَّه رسول الله ﷺ. فأخذها مثل الموت، فأتت بابه، فلم تجد علىٰ بابه بوَّابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك. فقال: «إنما الصَّبر عند أوَّل صدمة»، أو قال: «عند أوَّل الصدمة»[(١)]، ورَوىٰ عبدالله رضي الله عنه، أنه: لَمَّا كان يوم حُنين، آثر النبي ﷺ أُناسًا في القسمة، فأعطىٰ الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطىٰ عيينة مثل ذلك، وأعطىٰ أناسًا من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدل فيها، وما أُريد بها وجه الله. فقلت: والله لأُخبرنَّ النبي ﷺ. فأتيته، فأخبرته، فقال: «**فمَن يعدل إذا لم يعدلِ الله ورسوله، رحم الله موسىٰ، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**»[(٢)].

المطلب الخامس:

البلاء بمقصد استخراج الرِّضا

وردت مادة «رَضِيَ» في ثلاثة وسبعين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم، بصياغات، واشتقاقات مختلفة[(٣)].

و«الرِّضا» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي معتل الآخر: رَضيَ، يَرْضَىٰ، ارْضَ، رِضًا وإرضاء، فهو رَاضٍ، والمفعول مَرْضِيٌّ، ومادة (رضي): «الرَّاء والضاد والحرف المعتلّ أصل واحد يدلُّ علىٰ خلاف السُّخط»[(٤)]؛ وفي اللِّسان: «الرِّضا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب في الصَّبر علىٰ المصيبة عند أول الصدمة، برقم (٩٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، برقم (٣١٥٠).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٣٢١-٣٢٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٤٠٢).

ضدُّ السُّخط، وقوله ﷻ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ تأويله أنَّ الله تعالىٰ رضي عنهم أفعالهم، ورضوا عنه ما جازاهم به، وأرضاه: أعطاه ما يرضىٰ به، وترضَّاه: طلب رضاه، وارتضاه: رآه له أهلًا، وترضَّيته؛ أي: أرضيته بعد جهد، واسترضيته؛ فأرضاني، ورجل رِضًىٰ: قُنْعانٌ مَرضيٌّ»[1]، وفي اصطلاح المفسِّرين: «رضا العبد عن الله: ألَّا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد: أن يراه مؤتمرًا لأمره، ومنتهيًا عن نهيه»[2]. ويقول آخر: «وأصل الرِّضا أنَّه ضدُّ الغضب، فهو المحبَّة وأثرها من الإكرام والإحسان، فرضا الله مستعمَل في إكرامه وإحسانه مثل محبَّته في قوله: ﴿يُحِبُّهُمۡ﴾ [المائدة: ٥٤]، ورضا الخلق عن الله هو محبَّته وحصول ما أملوه منه بحيث لا يبقىٰ في نفوسهم متطلَّع»[3].

والحاصل أنَّ الرِّضا هو: التَّسليم الكلِّي؛ لِمَا قَسَمه الله تعالىٰ، وقَدَّره علىٰ عباده، من غير امتعاض من قسمته، ولا اعتراض علىٰ أقداره، والتَّسليم الكلِّي؛ لأحكامه الشَّرعيَّة، من غير شكٍّ في حِكَمها، ولا منازعة في أحكَامها، والانقياد الكلِّي لرسوله ﷺ، من غير تقدُّم علىٰ هَدْيه، ولا افتئات علىٰ سُنَّته.

لقد أخبر الله تعالىٰ عن عباده المؤمنين أنَّهم راضون كلَّ الرِّضا بما ساقت إليهم أقداره، من همٍّ، وغمٍّ، وحَزَن، وغيرها من مصائب الدُّنيا؛ لأنهم يعلمون أنَّه لا يصيبهم شيء من المصائب إلَّا وهو مقدَّر عند الله في كتاب، فقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، والآية تعليم للمسلمين بأن يرضَوْا بما قَدَّر الله لهم وقضاه؛ لأنَّ الرِّضا مزيل للبلاء، ومؤذن بالفرج، بينما السَّخط مطيل للبلاء، ومجلب للغُمَّة، وما تضمنته هذه الآية الكريمة

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٣٢٤).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٣٥٦).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ١١٩).

أوضحه الله تعالىٰ في غير هذا الموضع، كقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: ١١]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ يعني: «يهد قلبه لليقين؛ فيعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»(١)، وعن علقمة رحمه الله قال: «هو الرَّجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنَّها من عند الله؛ فيسلم لها ويرضىٰ»(٢)، والآيتان دلَّتا دلالة واضحة علىٰ أنَّ كلَّ ما أصاب النَّاس من مصائب في الأرض، كالقحط والجدب، وفي الأنفس، كالأمراض والأوصاب، إنَّما هو بقضاء الله وقدره، وإذا أيقن المبتَلَىٰ أنَّ البلاء من عند الله؛ فإنَّه سيرضىٰ حتمًا عن كلِّ شيء أصابه في حياته، لأنَّه يعلم أنَّ الغرض من جميع البلاء هو إظهار المبتَلَىٰ تسليمه التَّامَّ، ورضاه الكامل عن كلِّ شيء أصابه في حياته لوجه الله تعالىٰ.

هذا ويُستفاد من الآيَتَيْن أنَّ كلَّ ما يصاب به النَّاس من المصائب في الأرض، والأنفس، والأموال، واقع لا محالة، وأنها مقدَّرة قبل وقوعها، وأنَّ مِن بعض حِكَمها: استخراج الرِّضا، أو السَّخط علىٰ المصائب، وقد روىٰ سعد بن سنان رحمه الله، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرِّضا، ومن سخط فله السخط»(٣)، ولهذا فإنَّه ينبغي علىٰ المؤمنين الاستعداد لأقدار الله، حلوها ومرِّها، ومقابلتها بالرِّضا في الاعتقاد والقول والعمل، وإن كان خلافَ هواهم، فإنها مثبَتة في كتاب الله، ولهذا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٣/ ٤٢١).

(٢) المرجع السابق (٢٣/ ٤٢١).

(٣) أخرجه الترمذي في سُننه: أبواب الزهد، باب من اتقىٰ المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٩٦)، كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب الصَّبر علىٰ البلاء، يوم النحر، برقم (٤٠٣١)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، برقم (٢٣٩٦).

قال النبي ﷺ: «**إن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّرَ الله وما شاء فعل، فإنَّ «لو» تفتح عمل الشيطان**»(١)، وقد قال تعالىٰ ذكره: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقال: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩] يقول ابن عاشور رحمه الله: «إنَّ حكمة التَّكليف تعتمد المصالحَ ودرءَ المفاسد، ولا تعتمد ملاءمة الطَّبع ومنافرته؛ إذ يكره الطَّبع شيئًا وفيه نفعه، وقد يحبُّ شيئًا وفيه هلاكه، وذلك باعتبار العواقب والغايات... وشأن جمهور النَّاس الغفلة عن العاقبة والغاية، أو جهلهما، فكانت الشَّرائع وحملتها من العلماء والحكماء تحرِّض النَّاس علىٰ الأفعال، والتُّروك، باعتبار الغايات، والعواقب»(٢)؛ ذلك وقد بشَّر الله تعالىٰ عباده المؤمنين بالفوز العظيم؛ إذا استسلموا لجميع أقدار الله، وأحكامه الشَّرعية، من الأوامر والنواهي، فقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ فمعناه: «رضي الله عن هؤلاء الصَّادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه، من العمل بطاعته، واجتناب معاصيه»(٣)، وقوله: ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ فمعناه: «ورضوا هم عن الله تعالىٰ ذكره في وفائه لهم بما وعدهم علىٰ طاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاهم، من جزيل ثوابه»(٤).

وقد عاب الله تعالىٰ علىٰ المنافقين ضجرهم من تقسيم رسول الله ﷺ مصارف الزَّكاة وتوزيعها علىٰ مستحقِّيها بالعدل، فقال: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٢٦٦٤).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ٣٢١-٣٢٢).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٤) المرجع السابق (١١/ ٢٤٥).

﴿فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨] هذا وقد أرشد الله تعالىٰ المنافقين إلىٰ ما كان ينبغي أن يكونوا عليه فقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] وفي الآية: «إخبار بأنَّ الرِّضا بفعل الله؛ يوجب المزيد من الخير جزاء للرَّاضي علىٰ فعله»(١)، وأنَّ السَّخط بفعل الله؛ يوجب المزيد من الشرور والمصائب جزاء للسَّاخط علىٰ فعله. ويؤيِّد هذا ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وارْضَ بما قَسَم الله لك تكن أغنىٰ الناس»(٢). ومن مواقف رسول الله ﷺ في الرِّضا ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ علىٰ أبي سيف القَيْنِ، وكان ظِئْرًا(٣) لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبَّله، وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرِفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرىٰ، فقال ﷺ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يَرضَىٰ ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(٤)، ومن أعظم

---

(١) أحكام القرآن، للرازي (٤/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه: أبواب الزهد، باب من اتقىٰ المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٠٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٢٣٠٥). كما أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٨٠٩٦).

(٣) أي مرضعا، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظئر من ظأرت الناقة إذا عطفت علىٰ غير ولدها، فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك علىٰ زوجها لأنه يشاركها في تربيته غالبًا. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٣/ ١٧٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، برقم (١٣٠٣).

المواقف التي خلَّدها القرآن الكريم: حادثة الإفك، في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين؛ فصبرت على غمِّها؛ طلبًا لمرضاة الله تعالىٰ، وكذلك صبر رسول الله ﷺ والمؤمنون رضي الله عنهم علىٰ ما صبرت عليه؛ حتىٰ أنزل الله براءتها في عشر آيات تُتلىٰ علىٰ مسامع الناس إلىٰ يوم القيامة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾؛ أي: «لرجحان النَّفع والخير علىٰ جانب الشَّرِّ»(١)، ومعنىٰ كونه خيرًا لهم: «أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنه كان بلاء مبينًا ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية، كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ، وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به، فلم تمجه أذناه، وعِدَّة ألطاف للسامعين والتالين إلىٰ يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفىٰ علىٰ متأمليها»(٢)، هذا وإنَّ صبر أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وثباتها في هذه المحنة العظيمة -طلبًا لمرضاة الله تعالىٰ- لَدلالة واضحة علىٰ فضلها، وقد عبَّرت بنفسها عن هذا حين قالت: «والله ما كنت أظنُّ أنَّ الله منزل في شأني وَحيًا يُتلىٰ، وَلَشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلَّم الله فيَّ بأمر يُتلىٰ، ولكن كنت أرجو أن يرىٰ رسول الله ﷺ في النَّوم رؤيا يُبرِّئني الله بها»(٣).

وقد كان من دعائه ﷺ كما نقل عنه سماعًا عمَّار بن ياسر رضي الله عنه: «وأسألك الرِّضا بعد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ١٩٨).

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٣/ ٢١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [النور: ١٢] إلىٰ قوله: ﴿ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، برقم ٤٧٥٠، ج٦، ص ١٠١. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم (٢٧٧٠).

القضاء»[١]، وكان مِن ذكره ﷺ حين يسمع تشهد المؤذن كما في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا، غُفر له ذنبه»[٢].

◆ ◆ ◆

المطلب السَّادس:
البلاء بمقصد استخراج الشُّكر

جاء لفظ «الشُّكر» في خمسة وسبعين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم، بعدَّة صيغ، واشتقاقات[٣].

الشُّكر في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي: شَكَرَ، يشكر، اشْكُرْ، شكرًا، فهو شاكر، والمفعول مشكور، وأصل كلمة الشُّكر مركَّبة من: «الشين والكاف والراء، أصول أربعة متباينة، بعيدة القياس. فالأول: الشُّكر: الثَّناء علىٰ الإنسان بمعروف يُولِيكَهُ»[٤]، وفي اللِّسان: «الشُّكر: عرفان الإحسان ونشره، والشُّكر من الله: المجازاة والثَّناء الجميل، وشكره لعباده: مغفرته لهم. والشَّكور: من أبنية المبالغة.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، برقم (١٩٢٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (١٩٧١)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة، برقم (٣٨٦).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٣٨٥-٣٨٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٢٠٧).

وأما الشَّكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وَظَّفَ عليه من عبادته. وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، والشُّكر: مثل الحمد، إلا أنَّ الحمد أعمُّ منه، فإنَّك تحمد الإنسان علىٰ صفاته الجميلة وعلىٰ معروفه، ولا تشكره إلا علىٰ معروفه دون صفاته. والشُّكر: مقابلة النِّعمة بالقول والفعل والنيَّة، فيثني علىٰ المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه مُولِيها»[١]، إذن فالشُّكر لغة يدور حول الثَّناء؛ لذا يقول ابن منظور: «والشُّكر: الثَّناء علىٰ المحسن بما أَوْلاكَهُ من المعروف»[٢]، ومن أسماء الله الحسنىٰ الشَّكور، ومعناه: «هو الذي يُجازي بيسير الطَّاعات؛ كثير الدَّرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود»[٣]، وفي اصطلاح المفسِّرين: الشُّكر لله هو الاستخذاء لله، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه[٤]، والشُّكر للرَّجل هو الثَّناء عليه بأفعاله المحمودة[٥]، ويقول آخر: «الشُّكر تصوُّر النِّعمة وإظهارها، وهو ثلاثة أضرب: شكر القلب، وهو تصور النِّعمة، وشكر اللِّسان، وهو الثَّناء علىٰ المنعم، وشكر سائر الجوارح، وهو مكافأة النِّعمة بقدر استحقاقه»[٦]، ويقول غيره: «الشُّكر الاعتراف بحق المنعم، مع الثَّناء عليه»[٧]، ويرىٰ آخر أنَّ: «شكر العبد لله تعالىٰ ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحقِّ سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له، إلَّا

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٤٢٣-٤٢٤).

(٢) المرجع السَّابق (٤/ ٤٢٤).

(٣) المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ، للغزالي (١/ ١٠٥).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ١٣٥).

(٥) المرجع السابق (٤/ ٢١٣).

(٦) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٤٦١).

(٧) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ١٢٣).

أنَّ شكر العبد نطق باللِّسان، وإقرار بالقلب بإنعام الربِّ، مع الطَّاعات»[(١)]، وعرَّفه غيره بقوله: «شكر العبد لربِّه ينحصر معناه في استعماله جميع نعمه فيما يرضيه تعالىٰ، وأما شكر الرَّبِّ لعبده فهو أن يثيبه الثَّواب الجزيل من عمله القليل»[(٢)].

والحاصل أن الشكر يأتي بمعنيين، الأوّل: شكر العبد لربه؛ باعترافه بحق المنعم، والثناء عليه، والعمل بطاعته، والآخر: شكر الرّب لعبده؛ بإثابته؛ إذا اعترف العبد بالنعم، وأثنىٰ علىٰ باريها، وعمل بطاعته.

لقد أخبر تعالىٰ ذكره أنه في غنًىٰ عن تعذيب عباده إنْ هم تابوا إليه وأطاعوه في أمره ونهيه، وأنه إنما يعذبهم بذنوبهم ومخالفتهم أمره ونهيه فقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧]، يقول الزَّمخشري رحمه الله: «فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب»[(٣)]، قال قتادة رحمه الله: «إنَّ الله جلَّ ثناؤه لا يعذِّب شاكرًا ولا مؤمنًا»[(٤)]، هذا وفي الآية دلالة واضحة علىٰ أن الشُّكر لله طريق إلىٰ معرفة الله والإيمان به، وهو أمان -أي: الشُّكر لله- من نزول البلايا والمصائب، ولهذا أخبر تعالىٰ عن قوم لوط كيف أخذهم بالعذاب الشَّديد؛ بسبب مخالفتهم أمر الله، غير أهل لوط الذين شكروا الله فصدَّقوا لوطًا واتبعوه علىٰ دينه، فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٤- ٣٥]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ فمعناه: «كذلك نثيب من شكرنا علىٰ نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهىٰ إلىٰ أمرنا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢/ ١٧٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٧/ ٥٣٤).

(٣) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (١/ ٥٨٢).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩/ ٣٤٣).

ونجينا من جميع خلقنا»[(١)]. وقد امتنَّ الله تعالىٰ علىٰ بني اسرائيل بنعمة الإنجاء من آل فرعون بعدما كانوا فيه من العذاب، وذلك لأجل استخراج شكرهم علىٰ المسارِّ فقال: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [إبراهيم:٦]، وقد بين تعالىٰ أن الشُّكر يُربي النعم، والكفر يزيلها، إلا ما كان منها علىٰ وجه الاستدراج، فقال في شكر النعمة: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم:٧]، وضرب مثلًا بأهل القرىٰ الذين كفروا بأنعم الله التي أنعم بها عليهم، فقال في قرية مكَّة التي سكنها أهل الشِّرك بالله، والتي كانت آمنة: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]، وأخبر الله تعالىٰ عن قوم سبأ الذين أعرضوا عن شكر المنعم، فقال: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ۝١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ:١٥-١٧]، ووجه الدِّلالة من الآيات: «النَّحل» و«سبأ»؛ أنَّ الله ﷻ يبتلي عباده بالنِّعم والخيرات؛ لأجل استخراج شكرهم علىٰ المسارِّ، وأنَّهم إن لم يقابلوا بلاء الله الحسن بالشُّكر والطَّاعة؛ فإنَّ مآلهم مآل تلك القرىٰ التي هانت علىٰ الله غاية الهوان، وحلَّ عليها سَخَط الله، وغضبه، بعد جحود أهلها لكلِّ نعم الله وعدم شكره، وقد أمر الله تعالىٰ آل داود عليه السلام بعد امتنانه عليهم بأصناف من النِّعم، وألوان من المنن؛ بأن يشكروه حقَّ الشُّكر علىٰ نِعَمه التي سخرها لهم ما لم يسخر مثلها لغيرهم، فقال: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]،

---

(١) المرجع السَّابق (٢٢/ ٥٩٦).

والمعنىٰ: «اشكروا ربكم بطاعتكم إياه يا آل داود؛ علىٰ ما أنعم عليكم من النِّعم [في الدِّين والدُّنيا]»(١)، والآية دلالة واضحة علىٰ أنَّ شكر النعم بالحال والمقال؛ مؤذن بحفظ النِّعم، ورفع النِّقم، وقد كان آل داود قائمين بشكر الله قولًا وعملًا، ففي الصَّحيحين أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخبره: أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «أحبُّ الصَّلاة إلىٰ الله صلاة داود عليه السلام، وأحبُّ الصِّيام إلىٰ الله صيام داود، وكان ينام نصف اللَّيل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يومًا، ويفطر يومًا»(٢).

وقد ابتهل سليمان عليه السلام إلىٰ ربِّه؛ ليوفِّقه علىٰ شكر نعمه التي أنعمها عليه وعلىٰ والديه؛ لِمَا في الشُّكر من الثواب، ومن ازدياد النعم، ومن اندثار النِّقم فقال: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩]، كما استشعر سليمان عليه السلام فضل الله عليه بالنُّبوَّة، والملك، والعلم، وتسخير الجنِّ، والإنس، والطَّير له، وأنَّ ذلك بلاء من ربِّه عظيم؛ ليرىٰ منه أيشكر علىٰ نعمائه، أم أيكفر، فقال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠]. يقول النَّسفي رحمه الله في تعليقه علىٰ قول سليمان عليه السلام ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: «فالشُّكر قيد للنِّعمة الموجودة، وصيد للنِّعمة المفقودة»(٣). ويخبر تعالىٰ ذكره بأنه اختبر عباده بأن فاوت بينهم في الأرزاق، والقوَّة، والجاه، والأخلاق، وغير ذلك؛ ليستخرج منهم الشُّكر علىٰ المسارِّ والصَّبر علىٰ المضارِّ، فقال: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ٣٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب: من نام عند السحر، برقم (١١٣١)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصِّيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوَّت به حقًّا أو لم يفطر العيدَيْن والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم، برقم (١١٥٩).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٦٠٧).

﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقوله: ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ أي: «ليختبر الغنيَّ في غناه، ويسأله عن شكره، والفقير في فقره، ويسأله عن صبره»(١)، وقد اختبر الله عباده المؤمنين بنعمة النَّصر والغنيمة يوم بدر؛ لإظهار الشُّكر منهم؛ فيزدادوا شكرًا فقال: ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ [الأنفال: ١٧] ويعني بالبلاء الحسن: «النِّعمة الحسنة الجميلة»(٢).

ومن التطبيقات النَّبويَّة للشُّكر علىٰ النِّعمة الحسنة الجميلة ما صح عن عائشة ﵂: أنَّ نبي الله ﷺ كان يقوم من اللَّيل حتىٰ تتفطَّر قدماه، فقالت عائشة ﵂: لِـمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا»، فلما كثر لحمه صلَّىٰ جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع(٣)، ومن دعائه المأثور ﷺ في التعامل مع السَّرَّاء تارةً، والضَّرَّاء تارة أخرىٰ، ما روته أمُّنا عائشة ﵂ أنَّ: النَّبيَّ ﷺ كان إذا أتاه الأمر يسرُّه قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»، وإذا أتاه الأمر يكرهه، قال: «الحمد لله علىٰ كل حال»(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٣٨٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٤٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، برقم ٤٨٣٧، ج٦، ص ١٣٥.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، برقم (١٨٤٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين ، برقم (٣٨٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه برقم (٣٨٠٣).

المطلب السَّابع:
البلاء بمقصد استخراج التَّوبة

جاء لفظ «التَّوبة» في سبعة وثمانين موضعًا من آيات الذِّكر الحكيم، بعدَّة صيغ، واشتقاقات[(١)].

التَّوبة في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي: تابَ، يتوب، تُبْ، توبةً، فهو تائب، والمفعول مَتُوب، وأصل كلمة التَّوبة مركَّبة من: «التاء والواو والباء كلمة واحدة تدلُّ علىٰ الرُّجوع، يقال: تاب من ذنبه؛ أي رجع عنه، يتوب إلىٰ الله توبةً ومَتابًا، فهو تائب، والتَّوْب: التَّوبة، وهو العودة إلىٰ الله»[(٢)]، وفي اللِّسان: «أصل تاب: عاد إلىٰ الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه، أي: عاد عليه بالمغفرة، وقوله تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النُّور:٣١]، والتَّوبة: الرُّجوع من الذَّنب، وتاب الله عليه: وفَّقه لها، ورجل توَّاب: تائب إلىٰ الله، والله توَّاب: يتوب علىٰ عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه، واستتبت فلانًا: عرضت عليه التَّوبة مما اقترف؛ أي الرُّجوع والنَّدم علىٰ ما فَرَطَ منه، واستتابه: سأله أن يتوب»[(٣)]، وفي الحديث عن ابن مَعْقِل، وأبيه، عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**النَّدم توبةٌ**»[(٤)]، ومن

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤٥٥-٤٥٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٣٥٧).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٤٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه برقم (٤٢٥٢). كما أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبدالله بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه، برقم الحديث: (٤١٢٣)، وقال عنه محققو المسند: «صحيح، وهذا إسناد حسن».

أسماء الله الحسنىٰ التوّاب، ومعناه: «هو الذي يرجع إلىٰ تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرىٰ، بما يُظهر لهم من آياته، ويسوق إليهم من تنبيهاته، ويُطلعهم عليه من تخويفاته، وتحذيراته؛ حتىٰ إذا اطَّلعوا بتعريفه علىٰ غوائل الذُّنوب، استشعروا الخوف بتخويفه؛ فرجعوا إلىٰ التَّوبة؛ فرجع إليهم فضل الله تعالىٰ بالقبول»(١)، بينما التَّوبة في اصطلاح المفسِّرين هي: «ترك الذَّنب لقُبحه، والنَّدم علىٰ ما فرط منه، والعزيمة علىٰ ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة»(٢)، ويقول آخر: هي: «أن يكون العبد نادمًا علىٰ ما مضىٰ مجمعًا علىٰ ألا يعود إليه»(٣)، ويقول غيره: «العزم علىٰ عدم العود إلىٰ العصيان مع النَّدم علىٰ ما فرط منه فيما مضىٰ»(٤)، وقد أورد محمد بن كعب القرظي رحمه الله أنَّ التوبة تنعقد بتوافر أربعة أمور، وهي: «الاستغفار باللِّسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العَوْد بالجنان، ومهاجرة سَيِّئِ الإخوان»(٥). والحاصل أنّ التوبة هي: الرجوع إلىٰ طاعة الله تعالىٰ قلبًا، ولسانًا، وحالًا، وترك معاصيه؛ عاجلًا غير آجل.

لقد أخبر الله تعالىٰ أنَّه علَّم آدم عليه السلام كلمات التوبة؛ فتلقَّفها بالقبول، والعمل، والتَّسليم، فقال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]، وهذه الكلمات التي تلقَّاها آدم من ربِّه عز وجل مفسَّرة بقوله تعالىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ووجه الدِّلالة من الآية أنَّ المقصد من ابتلاء آدم وزوجه عليهما السلام بالأكل من الشجرة؛ هو استخراج التوبة منهما،

(١) المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ، للغزالي (١/ ١٣٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ١٦٩).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٤/ ٣١٦).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ٣٦٧).

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٩/ ٣٥٠).

وبيان أنَّ عداوة إبليس للناس جميعًا ممتدة جذورها في عمق التاريخ، من آدم عليه السلام، وقد قام آدم وزوجه بواجب التوبة تجاه ربهما؛ فأنعم الله عليهما بالرَّحمة والمغفرة، بينما أعرض إبليس عن التوبة إلىٰ الله؛ فسخط الله عليه، ولعنه، وطرده من رحمته.

هذا وقد بيَّن المولىٰ تبارك وتعالى في كتابه أنَّ من مقاصد البلاء استخراج التوبة من عباده فقال: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ويعني بالحسنات: «الرخاء في العيش، والخفض في الدُّنيا والدَّعة، والسَّعة في الرزق»[(١)]، ويعني بالسيِّئات: «الشِّدَّة في العيش، والشَّظف فيه، والمصائب والرَّزايا في الأموال»[(٢)]، وجملة قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تعليل لقوله تعالىٰ: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ والمعنىٰ: «ليرجعوا إلىٰ طاعة ربهم وينيبوا إليه، ويتوبوا من معاصيه»[(٣)]، ونظيره: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ يقول: «مصائب الدُّنيا، وأسقامها، وبلاؤها مما يبتلي الله بها العباد؛ حتىٰ يتوبوا»[(٤)]، وقد بيَّن الله تبارك وتعالى أن الغرض من ابتلاء عباده بظهور الفساد في برِّ الأرض وبحرها؛ استخراج التوبة، كما قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، قال أبو العالية رحمه الله: «من عَصىٰ الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأنَّ صلاح الأرض والسَّماء بالطَّاعة»[(٥)]، ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: «كي ينيبوا

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٢٠٨).

(٢) المرجع السَّابق (١٣/ ٢٠٩).

(٣) المرجع السَّابق (١٣/ ٢٠٩).

(٤) المرجع السَّابق (٢٠/ ١٨٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٢٠).

إلىٰ الحق، ويرجعوا إلىٰ التوبة، ويتركوا معاصي الله»(١)، ومن أروع النَّماذج التي تَروي لنا صورًا رائعة عن التوبة بعد البلاء، ما قَصَّه القرآن الكريم في حقِّ ثلاثة من صحابة رسول الله ﷺ، وهم: « كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع [رضوان الله عليهم جميعًا]، وكلُّهم من الأنصار»(٢)، الذين تخلَّفوا عن الخروج معه في غزوة تبوك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ يقول ابن جرير رحمه الله: «وأيقنوا بقلوبهم أنْ لا شيء لهم يلجؤون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء؛ بتخلفهم خِلافَ رسول الله ﷺ، ينجيهم من كربه، ولا مما يحذرون من عذاب الله، إلا الله، ثم رزقهم الإنابة إلىٰ طاعته، والرُّجوع إلىٰ ما يُرضيه عنهم، لينيبوا إليه، ويرجعوا إلىٰ طاعته والانتهاء إلىٰ أمره ونهيه»(٣)، في حين ذمَّ الله تعالىٰ المنافقين؛ لتخلُّفهم عن التَّوبة من المعاصي بقوله: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ فإنه يعني: «ثم هم مع البلاء الذي يحلُّ بهم من الله، والاختبار الذي يعرض لهم، لا ينيبون من نفاقهم، ولا يتوبون من كفرهم، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته؛ فيتعظوا بها، ولكنهم مصرُّون علىٰ نفاقهم»(٤)، هذا، والآيتان دلالة واضحة علىٰ أنَّ الله تعالىٰ يبتلي عباده بأنواع البلايا والمصائب؛ لأجل أن يستخرج منهم التوبة وقت

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ١٠٩).

(٢) المرجع السابق (١٤/ ٥٤٤).

(٣) المرجع السابق (١٤/ ٥٤٤).

(٤) المرجع السابق (١٤/ ٥٧٩).

البلاء، أو عدمها، فيميز التائب من المصرِّ، والطيِّب من الخبيث.

ومن الأدعية النَّبويَّة الجامعة لمعاني التَّوبة ما صحَّ عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ: «سيِّد الاستغفار أن تقول: اللَّهمَّ أنت ربِّي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علَيَّ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنَّه لا يغفر الذُّنوب إلا أنت»، قال: «ومن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنَّة، ومن قالها من اللَّيل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنَّة»(١).

◆ ◆ ◆

المطلب الثَّامن:
البلاء بمقصد الرَّحمة

لقد وردت مادة «رحم» في ثلاثمائة وتسعة وثلاثين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم، بصياغات، واشتقاقات مختلفة(٢).

و«الرَّحمة» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المتعدّي: رَحِم، يرحَم، ارْحَمْ، رحمة، فهو رَاحِم، والمفعول مَرحُوم، وأصل مادة (رحم) يدلُّ علىٰ: «الرِّقَّة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه، إذا رقَّ له وتعطَّف عليه، وَالرُّحْمُ وَالْمَرْحَمَةُ والرَّحمة بمعنىً»(٣)؛ وفي اللِّسان: «الرَّحمة: الرِّقَّة والتعطُّف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحَّمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا، والرَّحمة: المغفرة»(٤)،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدَّعوات، باب أفضل الاستغفار، برقم (٦٣٠٦).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٣٠٤-٣٠٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٤٩٨).

(٤) لسان العرب، ابن منظور (١٢/ ٢٣٠).

ومن أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ: الرَّحمن، والرَّحيم، وهما اسمان مشتقَّان من الرَّحمة علىٰ وجه المبالغة، والرَّحمن أشدُّ مبالغةً من الرَّحيم؛ لأنَّ «ربَّنا جلَّ ثناؤه رحمنُ جميع خلقه في الدُّنيا والآخرة، ورحيمُ المؤمنين خاصَّةً في الدُّنيا والآخرة، فأمَّا الذي عمَّ جميعَهم به في الدُّنيا من رحمته فكان رحمانًا لهم به، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤] ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [سورة النحل: ١٨]، في البَسْط في الرزق، وتسخير السَّحاب بالغَيْثِ، وإخراج النَّبات من الأرض، وصحَّة الأجسام والعقول، وسائر النِّعم التي لا تُحصىٰ، التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون، وأمَّا في الآخرة، فالذي عمَّ جميعهم به فيها من رحمته، فكان لهم رحمانًا، تسويته بين جميعهم جلَّ ذكرُه في عَدله وقضائه، فلا يظلم أحدًا منهم مِثْقال ذَرَّة، فذلك معنىٰ عمومه في الآخرة جميعَهم برحمته، وأمَّا ما خصَّ به المؤمنين في عاجل الدُّنيا من رحمته، الذي كان به رحيمًا لهم فيها، كما قال جلَّ ذكره: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣] بما لطف بهم من توفيقه إيَّاهم لطاعته، والإيمان به وبرسله، واتِّباع أمره واجتناب معاصيه، ممَّا خُذِل عنه من أشرك به، وكفر وخالف ما أمره به، وركب معاصيَه؛ وكان مع ذلك قد جعل جلَّ ثناؤه، ما أعدَّ في آجل الآخرة في جنَّاته من النَّعيم المقيم والفوز المبين، لِمَن آمن به، وصدَّق رسله، وعمل بطاعته، خالصًا، دون من أشرك وكفر به»(١)؛ أمَّا الرَّحمة في اصطلاح المفسِّرين فهي: «رقَّة تقتضي الإحسان إلىٰ المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرِّقَّة المجرَّدة، وتارة في الإحسان المجرَّد عن الرِّقَّة، وعلىٰ هذا رُوي أنَّ الرَّحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميِّين رقَّة وتعطُّف»(٢)، ويقول آخر: هي: «الرِّفق

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ١٢٨-١٢٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٣٤٧).

بالمرحوم، والإحسان إليه، ودفع الضرِّ عنه، وإعانته علىٰ المشاقِّ»[(١)]، والحاصل أنَّ الرَّحمة المقصودة في بحثنا تأتي بمعنيَيْن؛ الأول: الإفضال والإمهال، وهي التي يشترك فيها جميع الخلق في عاجل الدُّنيا، والآخر: التطهير والتَّوفيق، وهي التي تخصُّ المؤمنين، دون غيرهم في عاجل الدُّنيا.

لقد أوجب الله تعالىٰ علىٰ نفسه الكريمة تفضُّلًا منه، وتكرُّمًا؛ أن يرحم ويغفر؛ لمن تاب من عباده، وأصلح العمل، وأن يُمهل، ولا يعجِّل العقوبة؛ لِمَن لم يتب من عباده، فقال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وقوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ معناه: «قضىٰ أنَّه بعباده رحيم، لا يعجِّل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة، وهذا من الله -تعالىٰ ذِكره- استعطاف للمُعرضين عنه إلىٰ الإقبال إليه بالتوبة»[(٢)]، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال «**إنَّ الله تعالىٰ كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش، إنَّ رحمتي سبقت غضبي**»[(٣)]، وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ يقول: «جعل الله الرَّحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزءِ يتراحمُ الخلقُ، حتىٰ ترفعَ الفرسُ حافِرَها عن ولدها، خشية أن تصيبه»[(٤)]، والآيتان مع الحديثَيْن دلالة واضحة علىٰ أنَّ رحمة الله تسع جميع خلقه في عاجل

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٦٩).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٢٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، برقم (٧٤٢٢)١١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب: جعل الله الرحمة مائة جزء، برقم (٦٠٠٠).

دنياهم، بطريق الإفضال، والإنعام عليهم بالذَّات المقدَّسة، فيرحم أهل الكفر والظُّلم والطُّغيان بإمهالهم، واستعطاف قلوبهم؛ إلىٰ الإقبال إليه بالتَّوبة، والإنابة، مع إفراطهم في الكفر والظُّلم والطُّغيان ومحاربتهم الله ورسوله والمؤمنين، ويرحم أهل المعصية؛ بتوفيقهم للإنابة إليه، ومغفرة ذنوبهم، مع إفراطهم في هتك محارم الله، ويرحم أهل طاعته؛ بتثبيتهم علىٰ العمل الصَّالح، والاستقامة في الدِّين، كما أُمروا، مع تقصيرهم في العبادة.

ثم ذكر -تعالىٰ ذكره- دليلَ رحمته بجميع خلقه، مؤمنهم وكافرهم، وهو كونه تعالىٰ لو يعاقب النَّاس علىٰ ما اقترفوه من المعاصي والآثام؛ لعجَّل لهم العذاب في الدُّنيا، غير أنَّه سبحانه أمهلهم لوقت معلوم؛ حتىٰ يتوبوا من سوء أعمالهم فقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨]، وقوله: ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ فمعناه: «يؤخِّر العذاب عنهم»(١) و«يقبل توبتهم إذا تابوا»(٢).

لقد أوضح الله تعالىٰ في سورتَي الأعراف، وهود، ومواضع أخرىٰ؛ أنَّه أنجىٰ هودًا، وصالحًا، وشعيبًا، وسائر أنبيائه عليهم السلام، والذين آمنوا معهم، برحمة منه، وتفضُّل، وتكرُّم، من بطش الذين كفروا، فقال في هود عليه السلام، ومن آمن معه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]، وقال في صالح عليه السلام، ومن آمن معه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال في شعيب عليه السلام، ومن آمن معه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ

---

(١) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٥٢).

(٢) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٧/ ١٨٩).

ﵟٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَﵞ [هود: ٩٤]، ويستفاد من آيات الإنجاء، أنه من تمام رحمة الله بعباده عند اشتداد البلاء، أنه لا يسلِّط أعداءه علىٰ أوليائه؛ لأنَّهم إذا ظفروا؛ طغوا في البلاد؛ فأكثروا فيها الفساد، وأهلكوا الحرث والنسل.

وسنبرز الآن أهمَّ مقاصد الابتلاء بغرض الرَّحمة في النِّقاط الآتية:

١ - زيادة الثواب ومضاعفة الأجر؛ لقوله تعالىٰ: ﵟٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَﵞ [البقرة: ١٥٦-١٥٧]، ووجه الدِّلالة من الآية؛ أنَّ الله يبتلي عباده بصنوف المصائب، والابتلاءات في الأرض، وفي أنفسهم؛ لأنَّ أعمالنا وطاعاتنا لا تؤهلنا لنيل مغفرة الله ورضوانه، ولأجل هذا قضىٰ الله علينا برحمة منه، وتفضُّل، وتكرُّم، أن نمرض ونعتلَّ، ونصاب بأنواع المصائب، والبلايا؛ حتىٰ نستكمل جانب النَّقص فينا؛ إذ لو لم نُبتَلَ؛ لَمَا تلذَّذ مؤمن قطُّ بنعيم الجنَّة، وقد صح أن أبا هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يُدخِل أحدًا عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنَيَنَّ أحدكم الموت: إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب»(١).

وقد ورد في عن أم سلمة ﵂ أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ اللهم اؤجُرْني في مصيبتي، وَأَخْلِفْ لي خيرًا منها، إلا آجره الله من مصيبته، وأخلف له خيرًا منها» قالت: فلما تُوُفي أبو سلمة، قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ(٢)، روي في الصَّحيح من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ قال: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضىٰ، باب: تمني المريض الموت، برقم (٥٦٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم (٩١٨).

وهو يوعك وعكًا شديدًا، فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكًا شديدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل، إني أُوعك كما يوعك رجلان منكم» فقلت: ذلك أن لك أجرَيْن؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذًى، مرض فما سواه، إلا حط الله له سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها»(١). وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ، قال: «إنَّ عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرِّضا، ومن سخط فله السخط»(٢).

٢- تكفير السيِّئات، لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وفي الصَّحيح عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذًى ولا غم، حتىٰ الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**»(٣).

٣- إرادة الخير بالناس، لِمَا رواه محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة رضي الله عنه، أنه قال: سمعت سعيد بن يسار أبا الحباب، يقول: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من يُرِد الله به خيرًا يُصِب منه**»(٤)، وروىٰ الترمذي في سُننه عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضىٰ، باب: ما يقال للمريض، وما يجيب، برقم (٥٦٦١).

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه: أبواب الزهد، باب من اتقىٰ المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٩٦)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم: (٢٣٩٦). كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب الصَّبر علىٰ البلاء، يوم النحر، برقم (٤٠٣١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضىٰ، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضىٰ، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤٥).

في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتىٰ يوافي به يوم القيامة»[1].

٤- نيل أجر الشهيد لِمَن أُصيب بالأوباء والطَّواعين، لِمَا رُوي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني «أنه عذاب يبعثه الله علىٰ من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد»[2].

٥- رفع الدَّرجات للمبتَلَىٰ كما هو في حق الأنبياء عليهم السلام، وشواهد ذلك متعددة في القرآن الكريم، ومن ذلك نبي الله أيوب عليه السلام الذي ابتلاه الله بالمرض في جسده، فصبر واحتسب؛ حتىٰ فرَّج الله عنه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤١- ٤٤]، قال ابن كثير: «هذه تذكرة لِمَن ابتُلِي في جسده أو ماله أو ولده، فله أُسوة بنبي الله أيوب؛ حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب، حتىٰ فَرَّج الله عنه»[3]، وكما هو في حقِّ الجهاد في سبيل الله، الذي فيه أصناف من الأذىٰ والابتلاء، في الأموال بنقصها وهلاكها، وفي الأنفس بالقروح والآلام والقتل، قال تعالىٰ: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ

---

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه: أبواب الزهد، باب ما جاء في الصَّبر علىٰ البلاء، برقم (٢٣٩٦)، وقد صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٢٣٩٦). كما أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب العلم، برقم (٨٧٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الأنبياء، باب: حديث الغار، برقم (٣٤٧٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٢٢٤).

أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾ [محمد: ٤]، وقوله: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١].

٦- تطهير القلوب من الكبر والخيلاء، كما حدث يوم حنين، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

٧- الرَّدع عن القبائح، والآثام، والظُّلم، والطُّغيان، لذا أخبر الله تعالىٰ بأنه قادر علىٰ أن يذيق الجاحدين بألوهيته ألوان المصائب والابتلاءات، فلا يدفعه عنهم أحد، فقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ قال أبو السُّعود ﵀: «كي يفقَهوا ويقِفوا علىٰ جلية الأمر فيرجعوا عمَّا هُم عليهِ من المكابرة والعِناد»(١)، ووجه الدِّلالة من هذه الآية؛ أنَّ هذا التهديد للمشركين، هو رحمة من رحمات الله تعالىٰ عليهم؛ حتىٰ يصرفهم عمَّا هم فيه من الشرك، وعبادة الأوثان، والأهواء، إلىٰ ما هم مكلَّفون به من أنواع العبادة، كما يُستفاد من الآية الكريمة أنَّ الله تعالىٰ رحم هذه الأمة، وحفظها من الإهلاك العام، وعذاب الاستئصال، كحال الأمم السابقة، ودلَّ علىٰ هذا ما رواه جابر ﵁، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، قال: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: «**أعوذ بوجهك**» ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٣/ ١٤٦).

رسول الله ﷺ: «هذا أهون -أو: هذا أيسر-»(١).

٨- إظهار الإسلام علىٰ الدِّين كلِّه، وإقامة الحُجَّة علىٰ جميع الخلق ليميِّزوا بين الحقِّ والباطل، والكفر والضَّلال، والزيغ والإيمان، يقول تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ونظيره قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح: ٢٨]، يقول ابن عاشور: «وظهور الإسلام علىٰ الدِّين كلِّه حصل في العالم باتِّباع أهل الملل إيَّاه في سائر الأقطار، بالرَّغم علىٰ كراهية أقوامهم وعظماء مللهم ذلك، ومقاومتهم إيَّاه بكل حيلة، ومع ذلك فقد ظهر وعلا وبان فضله علىٰ الأديان التي جاورها، وسلامته من الخرافات والأوهام التي تعلَّقوا بها، وما صلحت بعض أمورهم إلَّا فيما حاكوه من أحوال المسلمين وأسباب نهوضهم، ولا يلزم من إظهاره علىٰ الأديان أن تنقرض تلك الأديان»(٢).

ذلك أنَّ إقامة الله حُجَّته علىٰ الكفَّار بإظهار الإسلام علىٰ الدِّين كلِّه، وبإرسال آياته الدَّالَّة عليه، لهو من تمام رحمة الله تعالىٰ المقتضية إمهال عباده، وعدم تعجيل العقوبة علىٰ كفرهم وفسقهم، وتذكيرهم بين الحين والآخر بأحقِّيَّة ملَّة الإسلام علىٰ الدِّين كلِّه، واستعطاف قلوبهم إلىٰ الإقبال إليه بالتَّوبة والإنابة، يقول تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]، ويقول: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ويقول:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب: باب قوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥] الآية، برقم (٤٦٢٨).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠/ ١٧٣-١٧٤).

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

إذَنْ فبناء علىٰ ما تقدَّم، يتبيَّن لنا أنَّ الإصابة بالابتلاء من تمام رحمة الله بعباده، وحبِّه لهم، وشفقته عليهم، حتىٰ يوقظهم من غفلتهم، فيقيم عليهم الحُجَّة، فيظهر لهم الحقَّ من الباطل، فيوفِّقهم للتوبة، فيربِّيهم علىٰ طاعته، فيكفِّر عنهم سيِّئاتهم، فيضاعف لهم حسناتهم، فيرفع درجاتهم، فيزيدهم من فضله، فيرضىٰ عنهم.

وقد تعلَّمنا من هَدْي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم عامَّة، وهَدْي النبيِّ ﷺ علىٰ وجه الخصوص؛ كثرة التعوُّذ من كلِّ أنواع البلاء والابتلاء، واللُّجوء إلىٰ الله ﷻ، مع كثرة التضرُّع إليه في حال الإصابة بالبلاء، والصَّبر والاحتساب علىٰ ذلك، مع الإيقان التَّامِّ أنَّه: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، واتخاذ الإصابة بالبلاء، فرصة للتقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ بفعل الخيرات، وترك المنكرات، والتكثير من أنواع الطَّاعات، والقربات، مع العناية الكاملة بغسل أدران النَّفس، والقلب، صباحًا ومساءً؛ حتىٰ نظفر عند الله بالسَّعادة الدُّنيويَّة، والأخرويَّة.

◆ ◆ ◆

المطلب التَّاسع:
البلاء بمقصد التَّمحيص

لقد ورد لفظ «التَّحميص» في موضعَيْن من آي الذِّكر الحكيم بصيغة الفعل المضارع[1].

و«التَّمحيص» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المضعَّف: محَّص يُمحِّص، تمحيصًا، فهو مُمحِّص، والمفعول مُمحَّص، أصل التَّمحيص في اللُّغة مركَّب من: «(محص) الميم والحاء والصاد أصل واحد صحيح يدلُّ علىٰ تخليص شيئًا وتنقيته. ومَحَصَهُ مَحْصًا: خلَّصه من كل عيب، [و] محَّص الله العبد من الذَّنب: طهَّره منه ونقَّاه، ومحَّصه، ومحَّصت الذَّهب بالنار: خلَّصته من الشَّوب»[2]، وفي اللِّسان: «ومحَّص الشَّيء يمحِّصه محصًا، ومحَّصه: خلَّصه من كلِّ عيب، والمحص في اللُّغة: التَّخليص والتَّنقية، وتمحيص الذُّنوب: تطهيرها، ومعنىٰ التَّمحيص النَّقص. يقال: محَّص الله عنك ذنوبك؛ أي نقصها، فسمَّىٰ الله ما أصاب المسلمين من بلاء تمحيصًا؛ لأنَّه ينقص به ذنوبهم، والتَّمحيص: الاختبار والابتلاء»[3]، أمَّا التمحيص في اصطلاح المفسِّرين فهو: «التَّطهير والتَّصفية»[4]، ويقول غيره: هو: «إزالة ما قد انفصل من الخير عن الشرِّ، وكان المقصود به ما ذكره الله تعالىٰ في قوله: ﴿لِيَمِيزَ

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٦٦٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٣٠٠).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٩٠).

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (١/ ٤٢٠).

ﱡٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِﱠ [الأنفال: ٣٧]»[١]، ويرىٰ آخر أنَّه: «تخليص الشيء مما يخالطه مما فيه عيب له، فهو كالتَّزكية»[٢]، وعبَّر عنه آخر بأنه: «محو للآثار وإزالة للأوضار»[٣]، إذَنْ مما سبق من تعريفات للتَّحميص لغةً واصطلاحًا؛ يتبيَّن لنا أن التَّمحيص هو عبارة عن اختبار قلوب النَّاس بتنقيتها من المعايب والمثالب؛ حتىٰ يتميَّز المؤمن من غيره في الدُّنيا والآخرة، أو يتطهَّر المؤمن من الذَّنب إن كان له ذنب، وإلا فهو رفع لدرجاته.

يقول ابن القيم رحمه الله: «وهذا التَّمحيص يكون في دار الدُّنيا بأربعة أشياء: بالتوبة، والاستغفار، وعمل الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وإن لم تفِ هذه الأربعة بتمحيصه وتخليصه، محص في البرزخ بثلاثة أشياء: بصلاة أهل الإيمان الجنازة عليه، وبفتنة القبر، وبما يهدي إخوانه المسلمون إليه من هدايا الأعمال، وجعل ثواب ذلك له، فإن لم تفِ هذه بالتَّمحيص، مُحِّص بين يدَيْ ربِّه في الموقف بأربعة أشياء: أهوال القيامة، وشدَّة الموقف، وشفاعة الشُّفعاء، وعفو الله عز وجل، فإن لم تفِ هذه الثلاثة بتمحيصه فلا بدَّ له من دخول الكير، رحمة في حقِّه؛ ليتخلَّص ويتمحَّص، ويتطهَّر في النَّار، ويكون مكثه فيها علىٰ حسب كثرة الخبث وقلَّته، فإذا خرج خبثه وصار خالصًا طيِّبًا، أُخرج من النَّار، وأُدخل الجنَّة»[٤].

لقد أخبر الله تعالىٰ في كتابه أنَّ سُنته جارية في امتحان النَّاس بضروب الفتن والمِحن فقال: ﱡأَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَﱠ [العنكبوت: ٢]، فتارة يكون الامتحان بشدائد التَّكليف؛ حتىٰ يطهِّر قلوب المؤمنين، ويخلِّصها من

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، للراغب (٣/ ٩٣٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/ ١٣٩).

(٣) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٢/ ٩١).

(٤) مدارج السالكين بين منازل ﱡإِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُﱠ، لابن قيم (١/ ١٦٣).

العيوب، أو يكرمها بالشَّهادة؛ لتنال الدَّرجات العُلا، يقول الله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، وقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معناه: «يكفِّر عنهم من ذنوبهم، إن كان لهم ذنوب، وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به»[(١)]، وبهذا المعنىٰ صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا نزلت ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**قاربوا، وسدِّدوا؛ ففي كلِّ ما يُصاب به المسلم كفَّارة، حتىٰ النَّكبة ينكبها، أو الشَّوكة يشاكها**»[(٢)]، وفيه أيضًا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ، دخل علىٰ أم السَّائب، أو أمِّ الْمُسَيِّبِ فقال: «ما لك يا أم السَّائب -أو: يا أم المسيِّب- تزفزفين؟» قالت: الحمَّىٰ، لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبِّي الحمَّىٰ؛ فإنها تُذهب خطايا بني آدم، كما يُذهب الكير خبث الحديد»[(٣)]، ونظير هذا قد ذُكر في السُّنة في غير موضع. وتارة يكون الامتحان بشدائد التَّكليف حتىٰ يميَّز الصَّادق في إيمانه من غيره، ويظهر أمره للنَّاس؛ لأجل أخذ الحذر والحيطة، ممن يدَّعي شيئًا ليس فيه، فيقول: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ أي: «وليميز الخبيث من الطيِّب، ويظهر أمر المؤمن والمنافق للنَّاس في الأقوال والأفعال»[(٤)]، وهذا تمامًا مثل ما حصل يوم أُحد عندما اشتدَّت الحرب بين المسلمين وكفَّار قريش، فكاد الانتصار

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك، حتىٰ الشوكة يشاكها، برقم (٢٥٧٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتىٰ الشوكة يُشاكها، برقم (٢٥٧٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٤٦).

وقتئذ يكون حليف المومنين، لولا معصية الرُّماة أمر رسول الله ﷺ، ومخالفتهم طاعته، فقال: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وقوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ فمعناه: «ليختبركم، فيتميَّز المنافق منكم من المخلص الصَّادق في إيمانه منكم»(١)، ورُوي أنَّ رأس النِّفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول انفصل وقتئذ بثلث الجيش، أو قريب منه، فعن مَعْمَر عن الزهري عن عروة في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] قوله: «حتىٰ إذا كان بالشَّوط من الْجَبَّانَةِ انخزل عبدالله بن أبيٍّ، ابن سلول بثلث الجيش، أو قريب من ثلث الجيش»(٢)، ويدخل في معنىٰ التمحيص تطهير قلوب المؤمنين الصَّادقين من الكِبر والخيلاء، كما حدث يوم حنين، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، وفي الآية دلالة علىٰ «أنَّ النصر بيده [أي: الله تعالىٰ] ومِن عنده، وأنه ليس بكثرة العدد وشدَّة البطش»(٣).

ومن خلال هذا التَّمحيص تتمايز العناصر المؤمنة الصَّالحة من العناصر السيِّئة، فيَظهر:

١- **الخبيث من الطيب**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ أي: «حتىٰ يفرِّق»(٤).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٧/ ٢٩٨).

(٢) أخرجه الصنعاني في مصنفه: كتاب المغازي، باب ما جاء في حفر زمزم، وقد دخل في الحج أول ما ذكر من عبدالمطلب، وقعة أحد، برقم (٩٧٣٥)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٣٧١).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٤/ ١٧٩).

(٤) المرجع السَّابق (١٣/ ٥٣٥).

٢- **الصادق من الكاذب**؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

٣- **الشَّاكر من الجاحد**؛ لقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

٤- **الصَّابر على مناجزة الأعداء من الفارِّ**؛ لقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

٥- **المؤمن من المنافق**؛ لقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

٦- **الخائف من الله بالغيب من الجريء**؛ لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

٧- **النَّاصر لدين الله من المتقاعس**؛ لقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد: ٢٥].

٨- **المُحسن من المُسيء**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم

أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾، [الكهف: ٧]، وقوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

٩- **المفسد من المصلح**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، والآية دلالة واضحة علىٰ أنَّ الله تعالىٰ ابتلىٰ الأوصياء بجواز مخالطة أموالهم مع أموال اليتامىٰ؛ ليظهر منهم المفسد من المصلح؛ لهذا رُوي عن ابن زيد في قول الله تعالىٰ ذكره: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ أنه قال: «الله يعلم حين تخلط مالك بماله: أتريد أن تصلح ماله، أو تفسده، فتأكله بغير حق»(١).

إذَنْ فالمقصد من ابتلاء التَّمحيص كما دلَّت الآيات؛ هو تنقية القلوب وتخليصها من العيوب، وتكفير السيِّئات؛ لأنَّ كلَّ ما يصاب به المسلم في الدُّنيا من المصائب والأحزان هو كفَّارة له، كما تقدَّم في الحديث(٢)، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ المقصد من ابتلاء التَّمحيص هو التَّفريق بين الصَّادق في إيمانه والكاذب فيه، وبين الشَّاكر لأنعُمِ الله والجاحد لها، وبين الصَّابر علىٰ أنواع البلايا، والجازع لها، وبين المخلص في عبادته والمنافق فيها، وبين الثَّابت في الدِّين والمضطرب فيه، وبين الناصر لدين الله والخاذل له، وبين الخائف من الله بالغيب والجريء، وبين المحسن في عمله والمسيء فيه، وبين المصلح في تعامله والمفسد فيه.

هذا وإنَّ المؤمن الصادق إذا أصابته المحنة؛ صبر واحتسب، وأحسن الظنَّ بالله؛ لأنه يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كُتب له، وأنَّ المِحن والإحن تربيه، وتنقيه، وتخلِّصه، وتهذِّبه، فتزيده إيمانًا وثباتًا، أما المنافق، أو الكافر، أو الفاسق، أو الجاهل،

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٤/ ٣٥٧).

(٢) ينظر: الابتلاء بمقصد الرَّحمة، هامش ٢، (ص ٥٢).

فإذا أصابه شرٌّ وبلاءٌ في جسده وضيق في معيشته؛ فزع واضطرب، وجزع وغضب، وأساء الظنَّ بالله تعالىٰ، يقول ابن القيم ﷺ: «إنَّ الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النُّفوس ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيِّبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح، وليمحِّص النُّفوس التي تصلح له، ويخلصها بكير الامتحان، كالذَّهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشِّه إلَّا بالامتحان؛ إذِ النَّفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظُّلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلىٰ السَّبك والتَّصفية، فإن خرج في هذه الدَّار وإلَّا ففي كير جهنَّم، فإذا هُذِّب العبد ونُقِّيَ أُذن له في دخول الجنَّة»(١).

المطلب العاشر:

البلاء بمقصد الاستدراج

لقد وردت لفظة «استدرج» في موضعين من القرآن الكريم(٢)، بصيغة الفعل المضارع المبدوء بسين الاستقبال، وفاعله «نحن»؛ للتعظيم.

«الاستدراج» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي (درج) المزيد بثلاثة أحرف: استدرج، يستدرج، استَدْرِج، استدراجًا، فهو مُستدرِج، والمفعول مُستدرَج، وأصل مادة (درج) يدلُّ علىٰ: «مُضيِّ الشَّيء، والمضيِّ في الشَّيء، من ذلك قولهم: درج الشيء، إذا مضىٰ لسبيله، ورجع فلان أدراجه، إذا رجع في الطَّريق الذي جاء منه، ودرج الصَّبي، إذا مشىٰ مشيته»(٣)؛ وفي اللِّسان: «استدرجه؛ أي أدناه منه علىٰ التَّدريج،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (٣/ ١٦-١٧).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٢٥٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ٧٧-٧٨).

فتدرَّج هو، وفي التنزيل العزيز: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]؛ قال بعضهم: معناه سنأخذهم قليلًا قليلًا ولا نباغتهم؛ وقيل: معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أنَّ الله تعالىٰ يفتح عليهم من النَّعيم ما يغتبطون به فيركنون إليه ويأنسون به، فلا يذكرون الموت، فيأخذهم علىٰ غِرَّتِهم أغفل ما كانوا، ورُوي عن أبي الهيثم: امتنع فلان من كذا وكذا حتىٰ أتاه فلان فاستدرجه؛ أي خَدَعَه حتىٰ حَمَلَه علىٰ أنْ دَرَجَ في ذلك، أبو سعيد: استدرجه كلامي؛ أي أقلقه حتىٰ تركه يدرج علىٰ الأرض؛ قال الأعشىٰ: لَيَستدرِجَنَّك القول حتىٰ تَهُزَّه... وتعلم أني منكم غير مُلْجَمِ»(١)، وفي اصطلاح المفسِّرين، الاستدراج: «أن تأتيه من حيث لا يعلم، ومِن حيث تُلَطِّف له حتىٰ تغترَّه»(٢)، ويقول آخر: «اغترارُ المستدرَج بلطف من استدرجه، حيث يرىٰ المستدرَج أن المستدرِج إليه محسنٌ، حتىٰ يورِّطه مكروهًا»(٣)، ويرىٰ أحدهم أنَّه عبارة عن: «الإمداد بالنِّعم وإنساء الشُّكر عليها، فإذا سكنوا وحجبوا عن المنعم أُخِذوا»(٤)، ويرىٰ آخر أنَّ الاستدراج: «هو الأخذ في حال الغفلة، من حيث أمِنَ الرَّجل بغتة»(٥)، ويرىٰ ابن عجيبة رحمه الله أنَّ الاستدراج ليس خاصًّا بالكفَّار، بل يكون في المؤمنين خواصِّهم وعوامِّهم، ثم نقل عن ابن عبَّاد رحمه الله قوله: «الخوف من الاستدراج بالنِّعم من صفة المؤمنين، وعدم الخوف منه مع الدَّوام علىٰ الإساءة من صفة الكافرين»(٦)، وبعد الوقوف علىٰ معنىٰ الاستدراج في اللُّغة والاصطلاح، نجد أنَّ الاستدراج لغةً يدور حول معنىٰ الاستدناء والتقريب، وحاصل معناه في الاصطلاح

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٦٨).

(٢) مجاز القرآن، لأبي عبيدة (١/ ٢٣٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٢٨٧).

(٤) تفسير التستري، للتُستري (١/ ٧٠).

(٥) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٥/ ١٠١).

(٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٢/ ٢٨٧).

هو: سوق الجاحدين، والماردين على المعاصي، شيئًا بعد شيء، ودرجة بعد درجة، إلىٰ ما يهلكهم، ويضاعف لهم العذاب، دون أن يعلموا ما يراد بهم، وذلك بالإفضال عليهم بازدياد النِّعمة، ورخاء العيش، والإمهال لهم بالإنساء في الأجل، والإطالة في العمر، مع إدامة الصِّحَّة؛ حتىٰ يزعموا أنَّه تكريم لهم من الله، وإيثار لهم علىٰ سائر المخلوقين؛ فيتمادوا في المعاصي؛ «ليبلغوا بمعصيتهم ربَّهم، المقدارَ الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب، ثم يقبضهم إليه»[١] في حال غفلة، أو فتور.

لقد ورد لفظ الاستدراج كما بيَّنَّا آنفًا في موضعَيْن في القرآن الكريم، الأول في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، والآخر في قوله: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥]، وقوله في الآيتَيْن: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ معناه: «سنستدنيهم قليلًا قليلًا إلىٰ ما يهلكهم ويضاعف عقابهم مِنْ حيث لا يعلمون ما يراد بهم، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغيِّ، فكلما جدَّد عليهم نِعمة ازدادوا بطرًا وجدَّدوا معصية، فيتدرَّجون في المعاصي بسبب ترادف النِّعم، ظانِّين أنَّ مواترة النِّعم أثرة من الله وتقريب، وإنما هي خذلان منه وتبعيد، فهو استدراج الله تعالىٰ، نعوذ بالله منه»[٢]، ويقول آخر: «أي: سنُمهِلهم بغرَّتهم، ونزيِّن لهم سوء أعمالهم؛ حتىٰ يحسب أنه في كفره محسن، فإذا بلغ الغاية التي كُتبت له، أُخذ بأعماله السَّيِّئة من حيث لا يعلم»[٣]، قال ابن قتيبة رحمه الله: «الاستدراج أن يأخذهم قليلًا قليلًا، ولا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٢٨٨).

(٢) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٢/ ١٨٢).

(٣) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي (٤/ ٢٦٥٣).

يباغتهم»[(١)]، وقال الضَّحَّاك ﷺ: «كلما جدَّدوا معصية جدَّدنا لهم نعمة»[(٢)]، وقال سفيان الثوري ﷺ: «نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشُّكر»[(٣)]، ولهذا قال عمر رضي الله عنه لَمَّا حُمل إليه كنوز كسرىٰ: «اللهمَّ إني أعوذ بك أن أكون مستدرجًا؛ فإني أسمعك تقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]»[(٤)].

وأمَّا قوله في الآيتَيْن: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ فمعناه: «أُمهِلهم، وأُطيل لهم مدة عمرهم؛ ليتمادوا في المعاصي، ولا أعاجلهم بالعقوبة علىٰ المعصية؛ ليقلعوا عنها بالتوبة والإنابة»[(٥)]. وما تضمنته هاتان الآيتان الكريمتان، قد أوضحه الله تعالىٰ في أكثر من موضع بأسماء أخرىٰ، وقد ذكر أهل التفسير أربعة أسماء للاستدراج، وهي: المكر، الكيد، الإملاء، الإهلاك»[(٦)]، كما ظهر لنا خمسة أخرىٰ، وهي: الإمهال، الخداع، الإمداد، الترك، الفتح، هذا هو بيانها:

١ – **المكر**: كقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، أي: «أن يستدرجهم بالنِّعم حتىٰ يأخذهم بغتة»[(٧)]، و﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾: «استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر، ولاستدراجه»[(٨)].

---

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (١/ ٤١١).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ٢٥٥).

(٣) المرجع السَّابق (٢/ ٢٥٥).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (١٥/ ٤١٨)، وقد أخرجه البيهقي في سننه: كتاب أبواب تفريق ما أخذ من أربعة أخماس الفيء غير الموجف عليه، باب الاختيار في التعجيل بقسمة مال الفيء إذا اجتمع، برقم (١٣٠٣٣).

(٥) المرجع السَّابق (١٥/ ٤١٨)،

(٦) المرجع السَّابق (٢١/ ٤٣٨).

(٧) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٢/ ٢٤١).

(٨) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٢/ ١٣٤).

٢- **الكيد**: كقوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥]، أي: «أمهلهم في بطرهم وغفلتهم إلىٰ حيث ازدادوا علىٰ نفوسهم العتوَّ والعناد الموجب لشدَّة العذاب»(١).

٣- **الإملاء**: كقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، أي: «نؤخر العذاب عنهم ليزدادوا إثمًا؛ أي جرأة علىٰ المعاصي»(٢)، وقوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

٤- **الإهلاك**: كقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠]، والمعنىٰ: «انظر بعين قلبك، وفكر بفهمك، فكذلك نفعل بمن كذبك فقتلهم الله بالسيف»(٣)، والآية فيها استدراج بالنِّعم لمن كذب بمحمد ﷺ بأن يأخذه الله فجأة، كإغداقه العطاء علىٰ فرعون وشيعته ثم إهلاكهم فجأة.

٥- **الإمهال**: كقوله: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧]، أي: «أخِّرهم، ولا تسأل الله تعجيل إهلاكهم»(٤).

٦- **الخداع**: كقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، أي: «بالاستدراج والإمهال الذي يزيدهم عذابًا»(٥).

٧- **الإمداد**: كقوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]،

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، للنخجواني (١/ ٢٧٥).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (١/ ٢٦٧).

(٣) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي (٨/ ٥٥٣٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٣٧٦).

(٥) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ٣٠).

وقوله: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾: «بمعنىٰ يزيدهم، علىٰ وجه الإملاء والترك لهم في عُتوِّهم وتمرُّدهم»(١)، ونظيره قوله: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١١ - ١٧]. وغيرها من الآيات.

٨- **التَّرك**: كقوله: ﴿وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، والمعنىٰ: «نذرُهم ونتركهم فيه، ونملي لهم ليزدادوا إثمًا إلىٰ إثمهم»(٢).

٩- **الفتح**: كقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، أي: «فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالىٰ وإملاء لهم، عياذًا بالله من مكره»(٣).

هذا وما ذكرناه في معنىٰ البلاء بالاستدراج والإملاء؛ أنَّ أهل الكفر والزَّيغ كلما ازدادوا تماديًا في الكفر والفسوق والعصيان، زادهم الله نعمة، ورغدًا في العيش، وإدامة الصِّحَّة؛ حتىٰ يظنُّوا أنَّ هذا من تقريب الله لهم، وكرامته، وإيثاره، فيصير ذلك الإنعام والإمهال سببًا لتماديهم في الانكفاء عن ذكر الله، واتِّباع السُّنَّة، والبعد عن الرجوع إلىٰ طاعة الله، والائتساء بنبيِّه، وهذه الحالة نشاهدها في كثير من الكفرة، وفي بعضٍ من فسقة المسلمين كالمبتدعة وغيرهم؛ حيث يُستدرجون في الطَّاعات، مع ثناء النَّاس عليهم؛ حتىٰ يحسبون أنهم علىٰ خير عظيم، وأنه من تكريم الله لهم، فلا يزالون علىٰ هذه الحالة؛ حتىٰ يأخذهم الله علىٰ غِرّة، أو فترة، إلَّا من تاب منهم، وأناب إلىٰ الله، وعمل صالحًا قبل الأخذ، وقد كان النبيُّ ﷺ يسأل الله الثبات علىٰ الطَّاعة والإعانة علىٰ شكرها والعصمة من الاستدراج بها، كما رُوي

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ٣٠٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ٣٠٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٢٥٦).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يدعو: «ربِّ أعني ولا تُعِن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويَسِّر هداي إليَّ، وانصرني علىٰ من بغىٰ عليَّ، اللهم اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك راهبًا، لك مطواعًا، إليك مخبتًا، أو منيبًا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي»[(١)]، والشَّاهد قوله: «وامكر لي ولا تمكر عليَّ» قال الطيبي: «المكر: الخداع، وهو من الله إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقيل: استدراج العبد بالطاعة فيتوهَّم أنها مقبولة وهي مردودة»[(٢)].

المطلب الحادي عشر:
البلاء بمقصد التَّخويف

وردت مادة «خوف» في مائة وأربعة وعشرين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة[(٣)].

و«التَّخويف» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المضعَّف: خوَّفَ، يخوِّف، تخويفًا، فهو مُخوِّف، والمفعول مُخوَّف، ومادة (خوف): «الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل علىٰ الذعر والفزع»[(٤)]؛ وفي اللِّسان: «الخوف: الفزع، خافه يخافه خوفًا

(١) أخرجه أبو داود في سننه: أبواب تفريع أبواب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا سلم، برقم (١٥١٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (١٥١٠)، كما أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، لم يسم بابه، برقم (٣٥٥١)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٥٥١).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للآبادي الصديقي (٤/ ٢٦٣).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٢٤٦-٢٤٨).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٩/ ٩٩-١٠٠).

وخيفة ومخافة، وخَوَّفَ الرجل إذا جعل فيه الخوف، وخَوَّفْتُه إذا جعلته بحالة يخافه الناس، والإخافة: التخويف»(١)، وفي اصطلاح المفسِّرين هو: «إدخال الفزع في قلب المخاطب؛ حثًّا علىٰ التَّحرُّز من ارتكاب محظور»(٢)، ويقول آخر: «بعث النفس علىٰ تحمُّل معاكسة هواها خيفة الوقوع في سوء العاقبة»(٣)، ويقول غيره: «هو ما تدل عليه من الرسالة المنذرة المخوفة من عذاب الله تعالىٰ»(٤)، مما سبق من تعريفات للتَّخويف في اللُّغة والاصطلاح يتبيَّن لنا أنه يدور حول الذُّعر والفزع، وإخافة النَّاس من الوقوع في الشُّرور والآثام. إذَنْ، فالتَّخويف هو: إفزاع النَّفس بأنواع المصائب والبلايا في الحياة الدُّنيا، وبسوء العاقبة يوم القيامة، في حال استمرارها علىٰ فعل المنهيات وترك المأمورات.

لقد خوَّف الله عباده في كتابه بإنزال الآيات عليهم تترىٰ، كالجوائح السَّماوية، وانتشار الأمراض الفتَّاكة، وغير ذلك؛ ليتَّعظوا، ويعتبروا فقال: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩]، قال قتادة ﷺ: «وإن الله يخوِّف الناس بما شاء من آية؛ لعلهم يعتبرون، أو يذكَّرون، أو يرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت علىٰ عهد ابن مسعود ﷺ فقال: يا أيها الناس، إنَّ ربَّكم يستعتبكم فأعتبوه»(٥)، وفي الحديث المتَّفق عليه عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنَّ الله تعالىٰ يخوِّف بها عباده**»(٦)، وعن

(١) لسان العرب، لابن منظور، (١٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٣٠٣).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٣/ ١٩١).

(٤) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٠٩).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٧/ ٤٧٨).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: أبواب الكسوف، باب قول النبي ﷺ: «يخوف الله عباده بالكسوف»، =

الحسن ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ قال: «الموت الذريع»[(١)]. والغرض من هذا التخويف الإلهي للبشرية جميعًا؛ حتىٰ تتَّعظ وتتذكَّر وترجع إلىٰ بارئها، فتؤمن به إيمانًا جازمًا لا يخالطه ريب، وتؤدِّي ما هي مكلَّفة به من حقوق الله في العبوديَّة، وتوحيده بالرُّبوبية، والألوهيَّة، والأسماء والصفات، ونفي الشريك عنه الذي هو أصل الدَّعوة الإسلامية ومحور رسالة جميع أنبيائه ورسله من لدن آدم عليه السلام، إلىٰ محمد ﷺ، فإنَّه تعالىٰ يكشف الضُّرَّ عمن تضرَّع إليه وتذلَّل وتمسكن، ولا يُخيِّب مقصود من توكَّل عليه وأظهر فقره وعجزه بين يديه.

كما حذَّر الله تعالىٰ الذين يخالفون أمره ويقعون فيما يغضبه -سواء أكان ذلك باطنًا أم ظاهرًا- من الإصابة بأنواع من المصائب والابتلاءات فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقوله: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ يقول الشوكاني: «والفتنة هنا: غير مقيدة بنوع من أنواع الفتن، وقيل: هي القتل، وقيل: الزلازل، وقيل: تسلُّط سلطان جائر عليهم، وقيل: الطَّبع علىٰ قلوبهم»[(٢)]، وقوله: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فمعناه: «أو يصيبهم في عاجل الدُّنيا عذاب من الله موجع، علىٰ صنيعهم ذلك، وخلافهم أمر رسول الله ﷺ»[(٣)]، وقد يكون من هذا القبيل ظهور الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافنا، وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا بقوله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف:١٣٤]،

= برقم (١٠٤٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة، برقم (٩١١).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٧/ ٤٧٨).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٦٨).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٩/ ٢٣١).

وقال سعيد بن جبير: «الرِّجز الطَّاعون»(١).

وحذَّر الله تعالىٰ عباده عقوبته في حال ركوبهم ما يغضبه، فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] والمعنىٰ: «ويخوِّفكم الله من نفسه أن تَرْكبوا معاصيه، أو توالوا أعداءه»(٢)، ذلك وقد سجَّل القرآن الكريم أنَّ عباده الذين لا يُتوقَّع إيمانهم، لا تنفع فيهم آياته، ومخوِّفاته، ولا تُجدي معهم، فقال: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]؛ أي: «لا تنجع فيهم الآيات، والأدلَّة، ولا النُّذر والمخوِّفات»(٣).

هذا وإنَّ الناس إذا اتَّعظوا بما خُوِّفوا به، وحُذِّروا منه، وأُنذروا به، دعاهم هذا إلىٰ النَّظر في أحوالهم؛ حتىٰ يتوصَّلوا إلىٰ التَّوحيد الخالص، والإنابة الصَّادقة، ولزوم الطاعة، وترك المنكر.

وقد كان من هَدْي نبيِّنا محمد ﷺ في التَّعامل مع المُخوِّفات الإلهيَّة ما صح عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أُرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أُرسلت به»، قالت: وإذا تَخَيَّلَتِ السماء، تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت، سُرِّيَ عنه، فعرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة: فسألته، فقال: «لعلَّه، يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ [الأحقاف: ٢٤]»(٤).

ولا يخفىٰ أنَّ السُّنَّة النَّبوية حذَّرت من الابتلاءات التي قد يسلِّطها الله علىٰ

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ٢٢٥٣).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٦/ ٣١٧).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١١/ ٢٩٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، برقم (٨٩٩).

عباده في حال إعراضهم عن طاعته، وركوبهم المعاصي، فقد رُوي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «**يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتُليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتىٰ يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم**»(١). وقد كان من هديه ﷺ التعوُّذ من الرَّوعات، فعن جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللَّهمَّ احفظني من بين يدَيَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومِن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»(٢). والشَّاهد قوله: «**اللَّهمَّ آمن روعاتي**»، قال ابن الأثير في النِّهاية: «هي جمع روعة، وهي المرَّة الواحدة من الرَّوع: الفزع»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: أبواب الفتن، باب العقوبات، برقم (٤٠١٩)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٤٠١٩)، كما أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الفتن والملاحم، أما حديث أبي عوانة، برقم (٨٦٢٣).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، برقم (١٩٠٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كما أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصَّحابة، عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، برقم (٤٧٨٥)، وقال عنه محقِّقو الإسناد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٢٧٧).

المطلب الثاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة

لقد وردت مادة «عقب» في ثمانين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة[(١)].

و«العقوبة» في اللُّغة مصدر الفعل الرباعي المزيد بحرف: عاقبَ، يعاقب، عِقابًا، ومُعاقبةً، وعقوبةً، فهو مُعاقِب، والمفعول مُعَاقَب، وأصل مادة (عقب) يدلُّ علىٰ: «تأخير شيْءٍ وإتيانه بعد غيره، كلُّ شيء يعقب شيئًا فهو عقيبه، وإنَّما سمِّيت عقوبةً لأنَّها تكون آخرًا وثاني الذَّنب»[(٢)]؛ أي: تأتىٰ بعد الذَّنب، وفي الفروق: «العقاب ينبئ عن استحقاق، وسُمِّي بذلك لأنَّ الفاعل يستحقُّه عُقَيْبَ فعله، وأصل العقاب التِّلو، وهو تأدية الأوَّل إلىٰ الثَّاني، يقال: عقب الثاني الأوَّل إذا تلاه، وعاقبت اللِّصَّ بالقطع الذي يتلو سرقته»[(٣)] وفي اللِّسان: «العقاب والمعاقبة أن تجزي الرَّجل بما فعل سوءًا؛ والاسم العقوبة، وعاقبه بذنبه معاقبةً وعقابًا: أخذه به، وتعقَّبت الرَّجل إذا أخذته بذنب كان منه»[(٤)]، وفي اصطلاح القرآن الكريم، العقوبة هي: ما يلقاه الإنسان في الدُّنيا من الأحزان، والمصائب، والعقوبات الشَّرعية، وما يلقاه في الآخرة من عذاب أليم؛ جزاءً عن سوء أفعاله.

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٤٦٧-٤٨٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٧٧-٧٨).

(٣) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (١/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٦١٩).

يخبرنا الله تعالىٰ أنه يعاقب الناس بالمصائب، والشَّدائد، والبلايا في الدُّنيا؛ مجازاة لهم عن سوء أعمالهم فقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] ومعنىٰ ﴿سُوٓءًا﴾: «ما يسوء من القبائح»(١)، ومعنىٰ ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾: «ما يلقاه الإنسان في الدنيا من الأحزان والمصائب جزاءً عن سيئاته»(٢)، ويقول أيضًا: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] وقوله: ﴿رِجْزًا﴾ فمعناه: «ما يعاف عنه، وكذلك الرِّجس، والمراد به الطَّاعون، رُوي أنَّه مات في ساعة: أربعة وعشرون ألفًا»(٣)، ويؤيِّد هذا ما رواه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الطَّاعون رجز، أو عذاب أُرسل علىٰ بني إسرائيل، أو علىٰ من كان قبلكم**»(٤)، هذا وإنَّ الإصابة بهذه الأمراض الفتَّاكة هي نوع من أنواع العقاب الذي كان يرسله الله علىٰ الأمم قبلنا، وإلىٰ الآن، وكانت سنن الله فيهم أن يمتِّعهم بمتاع الدُّنيا؛ حتىٰ يظنُّوا أنهم ما متِّعوا به من خير، إلَّا لعُلوِّ منزلتهم عند الله؛ فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم الله فجأة بأنواع العذاب وهم لا يشعرون. وقد صحَّ عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يملي للظَّالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]»(٥).

وقد دعا الله مشركي قريش إلىٰ التَّدبُّر في حال الأمم التي أهلكها بسبب كفرها وتكذيبها رسله، وأنه قادر علىٰ إهلاكهم، ثم إدخالهم نارًا خالدين فيها، إنْ هم استمرُّوا علىٰ شركهم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن

(١) النكت والعيون، الماوردي (١/ ٥٣١).
(٢) المرجع السَّابق (١/ ٥٣١).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١/ ٨٣).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، برقم (٢٢١٨).
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٣).

قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الروم: ٩-١٠]، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر: ٤٤]، وفي المفردات: «والعاقبة إطلاقها يختص بالثواب، وبالإضافة قد تُستعمل في العقوبة»(١)، وقد أوضح الله تعالىٰ في سورة الشُّعراء، ومواضع أخرىٰ، عاقبة الأمم الخالية بسبب ظلمها، كحكايته عن إغراق فرعون وقومه، وإكباب قوم إبراهيم وأبيه في الجحيم، وإهلاك قوم نوح بالإغراق، وإهلاك قوم هود، وهم قبيلة عاد، بريح صرصر، وأخذ قوم صالح وهم قبيلة ثمود بالصَّاعقة، وإهلاك قوم لوط بإقلاب الأرض عليهم، وإهلاك قوم شعيب وهم أصحاب الأيكة بالصَّيحة، وغيرها من الأمم التي انتقم الله منها بعذاب حسِّيٍّ، أو جسميٍّ؛ بسبب ظلمها وكفرها بأنعم الله، وأنَّ سُنَّته جلَّ وعزَّ ماضية في إلحاق العقوبة بالمتمرِّدين عن طاعته، والماردين في معصيته، وأنَّها تجري علىٰ جميع خلقه من لدن آدم إلىٰ قيام الساعة فقال: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وقد ينتقم الله تعالىٰ من العصاة بعذاب معنويٍّ، أو قلبيٍّ كما هو حال المنافقين، وهذا النوع من العذاب أشدُّ من سابقه، وقد كان رسول الله ﷺ كثير التعوُّذ منه، وأرشد أمَّته إلىٰ ذلك، ويتمثَّل هذا النَّوع من العذاب في الطَّبع، والختم، والوقر، والغشاوة، والأكنَّة، والطمس، المانعة من فهم ما ينفع، كما قال تعالىٰ في شأن المنافقين: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٥٧٥).

﴿مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]، وقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾؛ أي: «جعل نفاقًا عقب ذلك؛ أي إثره»[(١)]، وهذا يستلزم أنه: «أضلهم الله بفعلهم»[(٢)]، ويقول ابن عاشور رحمه الله: «جعل فعلهم ذلك؛ سببًا في بقاء النِّفاق في قلوبهم إلىٰ موتهم، وذلك جزاء تمرُّدهم علىٰ النِّفاق»[(٣)]؛ ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، وقوله: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ فمعناه: «مرَنُوا عليه ودَرِبوا به»[(٤)]، و«تمهَّروا فيه»[(٥)]، وأحسن ما وقفت عليهم قول من قال: «أخبر عنهم أنهم خِرِّيجُونَ في النِّفاق»[(٦)]، ومعنىٰ الخرِّيج في اللُّغة: «أدَّبه كما يُخَرِّجُ المعلم تلميذه، وفلان خَرِيجُ مال وخِرِّيجُه، بالتشديد، وهو فِعِّيلٌ بمعنىٰ مفعول، إذا درَّبه وعلَّمه، وقد خرَّجه في الأدب فتخرَّج»[(٧)]. هذا وإنَّ الآية دلالة واضحة علىٰ أنَّ كلَّ من أقام علىٰ الذَّنب، واستمرَّ عليه، وتمهَّر فيه، فلم يتب منه ويستغفر، ولم يقرَّ به، صار -أي: الذَّنب- صفة متأصِّلةً متجذِّرةً فيه إلىٰ درجة صَيْرِه خرِّيج ذنبه؛ أي: متخرِّجًا فيه، فيُخْتَمُ له به إلىٰ موته جزاء تمرُّسه فيه، فيكون بهذا الفعل قد جمع العاصي المتمادي علىٰ نفسه عذابَيْن: الأول في الدُّنيا بأنواع المصائب والمحن، والآخر في الأُخرىٰ بعذاب أليم، عياذًا بالله من الخذلان.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠/ ٢٧٢-٢٧٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٤٦٢).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠/ ٢٧٢-٢٧٣).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٤/ ٤٤٠).

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٢/ ٣٠٥).

(٦) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيَّان الأندلسي (٥/ ٤٩٦).

(٧) لسان العرب، لابن منظور، (٢/ ٢٥٠).

كما قد ينتقم الله من الفسقة بعذاب جسديٍّ، كما هو حال مرتكبي الجرائم، والسَّاعين في الأرض فسادًا، ويتمثَّل هذا في العقوبات الشَّرعيَّة من حدود وقصاص وتعازير شرعيَّة؛ لأنَّ «إقامة الحدود من المصائب التي تصيب الأنفس كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [الحديد: ٢٢]»[(١)]، قال ﷻ عن عقوبة الحرابة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، وقال عن عقوبة السَّرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقال عن عقوبة الصَّيد في حال الإحرام، أو في أرض الحرم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال عن عقوبة القتل العمد: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٩٣] ويُعنىٰ بالجزاء في الآيات: «معاملة العامل بما يعادل أعماله المجزي عليها في الخير والشر»[(٢)]، وقال عن عقوبة الزنا: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وقال عن عقوبة القذف: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، وغير ذلك من الجرائم الاجتماعية التي رتَّب عليها الشارع عقوبات مغلَّظة.

---

(١) بتصرُّف: مفاتيح الغيب، للرزاي (٢٩/ ٤٦٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٧٧).

وقد قرَّر الله تعالىٰ أنَّ ما يصيب النَّاس من أنواع المصائب، والمحن في أنفسهم، وأهليهم، وأموالهم، والعقوبات الشَّرعيَّة، وشيوع الأمراض النَّفسية، والبدنيَّة، والعقليَّة؛ فإنَّما يصيبهم ذلك عقوبة من الله لهم علىٰ ما اقترفوه من المعاصي، والآثام، والبعد عن شرع الله تعالىٰ، ومخالفتهم أمره، وارتكابهم نهيه فقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، ونظيره قوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]، أي: «من بلية ومصيبة فمن عندك، لأنَّك السَّبب فيها بما اكتسبت يداك»[(١)]، وقد عاتب الله تعالىٰ الصَّحابة رضي الله عنهم أجمعين علىٰ ما أصابهم يوم أحد من هزيمة، وقتل، وجرح، وأسر، فقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقوله ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾؛ أي: «أصابكم بمعصيتكم النبيَّ ﷺ»[(٢)].

هذا وقد اقتضت رحمة الله تبارك وتعالى أنَّ كلَّ ما يرتكبه الناس من كُفر لأنعم الله، ومن فساد في بَرِّ الأرض وبحرها، ومن ظلم، وطغيان، وغير ذلك من الذُّنوب الفَظيعة، التي لو عاقب اللهُ النَّاسَ عليها ما أبقىٰ أحدًا علىٰ ظهر الأرض، غير أنَّ الله حليم بعباده، فلا يعجِّل عليهم العقوبة، وإنَّما يمهلهم؛ حتىٰ يتوبوا، ويستدركوا في الدُّنيا ما فرَّطوا في جنب الله، يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [فاطر: ٤٥].

وقد كان من هديه ﷺ التعوُّذ بالله من العقوبة، فعن جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (١/ ٥٣٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٤٨٨).

هؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي: «اللَّهمَّ إنِّي أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللَّهمَّ احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي»(١). والشَّاهد قوله: «**وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي**»، قال ابن الأثير في النِّهاية: «**أي أُدهىٰ من حيث لا أشعر، يريد به الخسف**»(٢).

وكان من هديه ﷺ التعوُّذ وهو ساجد، من غضب الله، وسخطه، وعقوبته كما صحَّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي علىٰ بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللَّهمَّ أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك**»(٣).

(١) سبق تخريجه في مطلب الابتلاء بمقصد التخويف، هامش٣، (ص ٦٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٤٠٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٦).

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام علىٰ من لا نبيَّ بعده، أمَّا بعد؛

فبعد هذه الإشراقة علىٰ مقاصد البلاء التي تمَّ إبرازها من خلال هذه الدِّراسة الموضوعيَّة لآيات من الذِّكر الحكيم، نصل إلىٰ عدَّة نتائج وتوصيات، وهذا بيانها:

أوّلًا: أهمُّ النتائج

- يُعنىٰ بالمقاصد القرآنية: الغايات والأهداف التي أُنزل القرآن الكريم من أجلها؛ تحقيقًا لجلب مصالح العباد في المعاش والمعاد من جهة، وتحقيقًا لدرء مفاسد العباد في المعاش والمعاد من جهة أخرىٰ.
- يُعنىٰ بمقاصد البلاء في القرآن الكريم: الغايات والحكم التي يدور حولها اختبار أحوال الناس في تلقِّي التَّكاليف، وأنواع النِّعم، والنِّقم.
- يستنتج أنَّ بين البلاء والابتلاء عمومًا وخصوصًا، فالبلاء أعمُّ من الابتلاء، والابتلاء أخصُّ منه؛ إذ فيه زيادة مشقَّة وكلفة، وكلاهما يكون في الخير والشَّرِّ معًا، من غير فرق بين فعليهما.
- يستنتج أنَّ البلاء يظهر حال البشر، ومدىٰ تطبيقهم للتَّكاليف والنَّواهي، وتتجلَّىٰ به نيَّاتهم في سرعة الاستجابة لله، وللرسول ﷺ، ويختلف ذلك من شخص لآخر، حسب قوة الإيمان في القلب، وحسب إدراك المعاني والحكم للبلاء في الخير والشَّرِّ.
- يستنتج أنَّ المقصد الرَّئيس من البلاء؛ استخراج ما عند المبتَلَىٰ من معاني

العبوديَّة لله وحده، وتعرُّف حاله في الطَّاعة والمعصية؛ بتحميله الضِّيق، والمشقَّة، والألم.

- يستنتج أنَّ من مقاصد إصابة الإنسان بالبلاء؛ يكون:

١. لإفراد المبتَلَىٰ من بيده الأمر ﷻ بالطَّاعة قولًا، وفعلًا، واعتقادًا.

٢. لإظهار المبتَلَىٰ الحاجة إلىٰ الله وحده لتدبير أمره.

٣. لاعتراف المبتلىٰ بقدرة الله في قضاء حوائجه وكشف كرباته؛ بحيث يتوجَّه إليه وحده بالدُّعاء.

٤. لتحمُّل المبتَلَىٰ التكاليف التشريعية الشَّاقة من الأوامر والنواهي والضِّيق، والآلام.

٥. لإظهار المبتَلَىٰ تسليمه الكلِّي لقضاء الله، وأحكامه الشَّرعيَّة من غير شكٍّ في حِكَمها، ولا منازعة في أحكَامها.

٦. لإقرار المبتَلَىٰ بنعمة الله وهدايته، واستعمال جميع نِعَمه فيما يرضيه تعالىٰ.

٧. لرجوع المبتَلَىٰ إلىٰ طاعة الله ﷻ، والانتهاء عن المعاصي.

٨. لاعتراف المبتَلَىٰ أنَّ ما يصيبه من المصائب هو من تمام رحمة الله عليه؛ حتىٰ يستيقظ من غفلته.

٩. لتمحيص المبتَلَىٰ، وبيان حدِّ المفاصلة بينه وبين أهل الكفر، إن كان من أهل الإيمان.

١٠. لتنبيه المبتَلَىٰ أنَّ الله قد يمدُّ الفاسق بالنِّعم، وإنساء الشُّكر عليها؛ ليبلغ أقصىٰ مراتب العقوبة والعذاب.

١١. لتهديد المبتَلَىٰ بأنَّ الله يفزع الأنفس بأنواع المصائب في الحياة الدُّنيا، وبسوء العاقبة يوم القيامة في حال إصرارها علىٰ الذُّنوب.

١٢. لإنذار المبتلىٰ أنَّ ما يلقاه الإنسان في الدُّنيا من الأحزان، والمصائب، والعقوبات الشَّرعية، وما يلقاه في الآخرة من عذاب أليم؛ جزاء عن سوء أفعاله.

ثانيًا: أهمُّ التَّوصيات:

١. يوصي الباحثُ بعَقْد مؤتمرات علميَّة عن مقاصد البلاء في ضوء الوحيَيْن، وأثرها في حياة الفرد والمجتمع.

٢. يوصي الباحث بإدراج موضوع مقاصد البلاء ضمن مفردات أحد مقررات الثقافة الإسلامية علىٰ سبيل المثال.

٣. يوصي الباحث المجلَّات العلميَّة العالميَّة المحكَّمة بإفراد عدد خاص عن مقاصد البلاء في القرآن والسُّنَّة.

سائلين الله ﷻ أن يعرِّفنا مقاصد ابتلاءاتنا، وأن يعيننا علىٰ حسن التعامل معها، وأن يرفعنا بها درجات في دنيانا وأخرانا.

تمَّت الدِّراسة ولله الحمد والمِنَّة، اللَّهمَّ هذا الجهد، وعليك التُّكلان، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه. والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]

ثبت المصادر والمراجع

١- «أحكام القرآن». الرازي، أبو بكر، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

٢- «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم». العمادي محمد، أبو السعود، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٣- «أسباب نزول القرآن». الواحدي، أبو الحسن علي، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الدمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٩٩٢.

٤- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». الشنقيطي، محمد الأمين. (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.

٥- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل». البيضاوي، ناصر الدين، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٦- «البحر المحيط في التفسير». أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٧- «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد». ابن عجيبة، أبو العباس، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي، (د.ط)، د.ن، ١٤٢٩هـ.

٨- «تأويلات أهل السُّنة». الماتريدي، أبو منصور. تحقيق: مجدي باسلوم، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

٩- «التحرير والتنوير». ابن عاشور، الطَّاهر. (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٠- «تفسير التستري». التُستري، أبو محمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.

١١- «تفسير الراغب الأصفهاني». الراغب الأصفهانىٰ، أبو القاسم، تحقيق: عادل بن علي الشِّدِّي، (ط١)، الرياض: دار الوطن، ٢٠٠٣م.

١٢- «تفسير القرآن الحكيم». رشيد رضا، محمد. (د. ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٣- «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (ط٢)، لبنان: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

١٤- «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفىٰ، (ط١)، مصر: مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٩٤٦م.

١٥- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». الطبري، محمد بن جرير. (ط١)، الجيزة: دار الهجر، ٢٠٠١م.

١٦- «الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل». الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة. (ط٢)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٩٧٥م.

١٧- «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه». البخاري، محمد بن إسماعيل. (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

١٨- «الجامع لأحكام القرآن». القرطبي، أبو عبدالله. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢)، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.

١٩- «زاد المسير في علم التفسير». ابن الجوزي، أبو الفرج، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

٢٠- «زاد المعاد في هدي خير العباد». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ط٢٧)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.

٢١- «زهرة التفاسير». أبو زهرة، محمد بن أحمد، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الدمام: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

٢٢- «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها». الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين. (ط١)، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٥م.

٢٣- «سنن ابن ماجه». ابن ماجه، أبو عبدالله، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، (ط١)، بيروت: دار الرسالة، ٢٠٠٩م.

٢٤- «سنن أبي داود». أبو داود، سليمان بن الأشعث. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

٢٥- «السنن الكبرى». البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (ط٣)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

٢٦- «الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية». الجوهري، أبو نصر إسماعيل، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧.

٢٧- «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان». ابن حبان، أبو حاتم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط٢)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

٢٨- «العبودية». ابن تيمية، تقي الدين ، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م.

٢٩- «عون المعبود شرح سنن أبي داود». العظيم آبادي، الصديقي، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥).

٣٠- «غريب القرآن لابن قتيبة». ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله، تحقيق: سعيد اللحام، (د.ط)، د.ت.

٣١- «الفتاوى الكبرى». ابن تيمية، تقي الدين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

٣٢- «فتح الباري شرح صحيح البخاري«. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، (د.ط)، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩.

٣٣- «فتح القدير». الشوكاني، محمد بن علي، (ط١)، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.

٣٤- «الفروق اللغوية». العسكري، أبو هلال، (د.ط)، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ت.

٣٥- «الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية». النخجواني، نعمة الله بن محمود، (ط١)، مصر: دار ركابي للنشر، ١٩٩٩م.

٣٦- «قواعد الأحكام في مصالح الأنام». ابن عبدالسلام، عزُّ الدِّين، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ط، ١٩٩١.

٣٧- «كتاب العين». الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د.ط)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٣٨- «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل». الزمخشري، محمود بن عمر، (ط٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٣٩- «الكشف والبيان عن تفسير القرآن». الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: محمد بن عاشور، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م.

٤٠- «لباب التأويل في معاني التنزيل». الخازن، علاء الدين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٤١- «اللباب في علوم الكتاب». النعماني، أبو حفص سراج الدين، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٤٢- «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم. (ط٣)، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٤٣- «مجاز القرآن». معمر بن المثنىٰ، أبو عبيدة. تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، (ط٢)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٢م.

٤٤- «المحكم والمحيط الأعظم». المرسي، أبو الحسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠.

٤٥- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ط٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م.

٤٦- «مدارك التنزيل وحقائق التأويل». النسفي، أبو البركات، (ط١)، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨م.

٤٧- «المستدرك علىٰ الصحيحين». الحاكم، أبو عبدالله. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

٤٨- «مسند الإمام أحمد بن حنبل». أحمد، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، (ط١)، ٢٠٠١م.

٤٩- «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ». مسلم، أبو الحسن. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٥٠- «المصنف». الصنعاني، أبو بكر عبدالرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (ط٢)، كراتشي باكستان: المجلس العلمي، ١٩٨٣م.

٥١- «معالم التنزيل في تفسير القرآن». البغوي، أبو محمد الحسين، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٢- «معاني القرآن وإعرابه». الزجاج، أبو إسحاق. تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي. (ط١)، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م.

٥٣- «المعجم الكبير». الطبراني، سليمان بن أحمد. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، (ط٢)، الرياض: دار الصميعي، ١٩٩٤م.

٥٤- «معجم اللغة العربية المعاصرة». مختار، أحمد، (ط١)، بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٨م.

٥٥- «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم». عبدالباقي، محمد فؤاد، (د.ط)، مصر: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م.

٥٦- «معجم مقاييس اللغة». ابن فارس، أبو الحسين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.

٥٧- «مفاتيح الغيب». الرازي، أبو عبدالله. (ط٣)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٨- «مفردات في غريب القرآن». راغب الأصفهاني، أبو القاسم. (ط١)، بيروت: دار القلم، ١٩٩٢م.

٥٩- «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها». عاشور، وصفي أبو زيد، الهند: مجلة وحدة الأمة، العدد التاسع، ديسمبر ٢٠١٧.

٦٠- «المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ». الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، (ط١)، قبرص: الجفان والجابي، ١٩٨٧م.

٦١- «المنتخب من مسند عبد بن حميد». عبد بن حميد، أبو محمد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، (ط١)، القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٨م.

٦٢- «الموطأ». مالك، أنس بن مالك، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

٦٣- «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر». ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٤.

٦٤- «النكت والعيون». الماوردي، أبو الحسن. تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم.

(د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

٦٥- «النهاية في غريب الحديث والأثر». ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.

٦٦- «الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه». القيرواني، أبو محمد مكي، (ط١)، جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ٢٠٠٨م.

٦٧- «الوجوه والنظائر». العسكري، أبو هلال، تحقيق: محمد عثمان، (ط١)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٧م.

References and Sources

1. «***Ahkamu Al-Quran***». Al-Razi, Abu Bakr, investigated by: Mohammed Sadiq Al-Qamhawi, (no edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1405 AH.
2. «***Guidance of Sound Mind to the Merits of the Holy Quran***». Al-Emadi Mohammed, Abu Al-Saud, (no edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, (without publishing date).
3. «***Asbab Nozol Al-Quran***» Al-Wahidi, Abu Al-Hassan Ali, investigated by: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dammam: Dar Al-Islah, 2^{nd} Edition, 1992.
4. «***Adwau el-Bayan fi Edahu Al-Quran bil-Quran***». Al-Shanqiti, Mohammed Al-Amin. (No edition number), Beirut: Dar Al-Fikr, 1995 AD.
5. «***Anwaru Attanzil wa Asraru Altawil***». Al-Baydawi, Nasser Al-Din, investigated by: Mohammed Abdul Rahman Al-Mara'ashli, (1^{st} edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1418 AH.
6. «***Al-Bahru Al-Moheet fi Al-Tafseer***». Abu Hayyan Al-Andalusi, Mohammed bin Yusuf, investigated by: Sidqi Mohammed Jamil, (d. I), Beirut: Dar Al-Fikr, 1420 AH.
7. «***Al-bahrul-Madeed fi Tafseer Al-Quran Al-Majeed***». Ibn Ajiba, Abu al-Abbas, investigated by: Ahmed Abdullah al-Qurashi, (no edition number), no publisher name, 1429 AH.
8. «***Tawilat Ahlu Assunah***». Al-Matridi, Abu Mansour. investigated by: Majdi Basloum, (1^{st} edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2005 AD.
9. «***Al-Tahreer wa Al-tanweer***». Ibn Ashour, al-Taher. (No edition number), Tunisia: Tunisian Publishing House, 1984 AD.
10. «***Tafsir Al-Tastri***». Al-Tustari, Abu Mohammed, investigated by: Mohammed Basil Oyoun Al-Soud, (1^{st} edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1423 AH.

11. «*Tafsir Al-Ragheb Al-Asfahani*». Al-Raghib Al-Asfahani, Abu Al-Qasim, investigated by: Adel bin Ali Al-Shaddi, (1st edition), Riyadh: Dar Al-Watan, 2003 AD.
12. «*Tafseer Al-Quran Al-Hakeem*». Rashid Reda, Mohammed. (No edition number), Egypt: The Egyptian General Book Authority, 1990 AD.
13. «*Tafseer Al-Quran Al-Azeem”*. Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail. (2nd Edition), Lebanon: Dar Taiba for Publishing and Distribution, 1999 AD.
14. *“Tafsir Al-Maraghi”*. Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa, (1st edition), Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore, 1946 AD.
15. *“Jami’ al-Bayan an Taweil Ayat Al-Quran”* Al-Tabari, Mohammed bin Jarir. (1st ediyion), Giza: Dar Al-Hijrah, 2001 AD.
16. *“Al-Jameiu Al-Mukhtassar m’n Sunan Arrrasul (PBUH) wa Marifatu Assahih wal Maaloul wa ma Alihi Al-amal” Al-Tirmizi*, Mohammed bin Isa bin Surah. (2nd edition), Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore and Press Company, 1975 AD.
17. *“Al-Jamu Al-Musnad Assahihi Al-Mukhtasar m’n Omor Arrasul (PBUH)”.* Al-Bukhari, Mohammed bin Ismail. (2nd Edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2002 AD.
18. *“Al-Jamei Li-Ahkam Al-Quran*”. Al-Qurtubi, Abu Abdullah. investigated by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atfiesh, (2nd ed.), Cairo: Egyptian Book House, 1964 AD.
19. *“Zadul-Massir fi Elm Attafseer”.* Ibnul Jawzi, Abu al-Faraj, investigated by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, (1st edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1422 AH.
20. «*Zadu el-Maad fi Hadi Khairu el-Ebad”.* Ibn Qayyim al-Jawziyya, Mohammed ibn Abi Bakr, (27th edition), Beirut: Al-Risala Foundation, 1994 AD.
21. *“Zahratu a-T’tafaseer”* Abu Zahra, Mohammed bin Ahmed, investigated by: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dammam: Dar Al-Fikr Al-Arabi, d.T., d.T.
22. *“Series of Authentic Hadiths with Certain of their Jurisprudence and Benefits»*. Al-Albani, Abu Abd al-Rahman Mohammed Nasir al-Din. (1st Edition), Riyadh: Knowledge Bookstore, 1995 AD.
23. *“Sunan Ibn Majah”.* Ibn Majah, Abu Abdullah, investigated by: Shuaib Al-Arnaout et al, (1st Edition), Beirut: Dar Al-Resala, 2009 AD.

24. ***"Sunan Abi Dawood".*** Abu Dawood, Suleiman bin Al-Ashaat. (1st edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1990 AD.
25. ***"Al-Sunan Al-Kubra".*** Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein, investigated by: Mohammed Abdul-Qadir Atta, (3rd Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 2003 AD.
26. ***"As'sehah Tajul'lughah wa Sehah Alarabiah".*** Al-Gohari, Abu Nasr Ismail, investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalaein, 4th edition, 1987.
27. ***"Sahih Ibn Hibban, by Ibn Balban".*** Ibn Hibban, Abu Hatim, investigated by: Shuaib Al-Arnaout, (2nd Edition), Beirut: Al-Resala Foundation, 1993 AD.
28. ***"Al-Obodyyah."*** Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din, (1st Edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1987 AD.
29. ***"Awn al-Mabood Sharh Sunan Abi Dawood".*** Al-Azim Abadi, Al-Siddiqi, (2nd Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH.
30. "***Gharib Al-Qur'an li Ibn Qutayba***." Ibn Qutaiba, Abu Mohammed Abdullah, investigated by: Saeed Al-Lahham, (no edition number), without publishing date.
31. «***Al-Fatawa Al-Kobra".*** Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din, (1st Edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1987 AD.
32. «***Fatah Al-Qadeer***». Al-Shawkani, Mohammed bin Ali, (1st Edition), Beirut: Dar Al-Kalim Al-Tayyib, 1414 AH.
33. «***Al-Forouq Allughawiyyah***». Al-Askari, Abu Hilal, (No edition number), Cairo: House of Science and Culture for Publishing and Distribution, without publishing date.
34. ***"Al-fotouh Al_elahyyah wa al-Mafatih Al-Ghaybiyyah Al-Moddihah Lilkalim Al-Quraaniyah wal Al-Hikam Al-Forqaniyyah".*** Al-Nakhjawani, Nimatu'llah bin Mahmoud, (1st Edition), Egypt: Rakabi Publishing House, 1999 AD.
35. ***"Qawaidul-Ahkam fi Masaleh Al-Anam"***. Ibn Abd al-Salam, Izz al-Din, investigated by: Essam Ibn Abd al-Muhsin al-Humaidan, Cairo: Al-Azhar Colleges Library, d.T, 1991.
36. ***"Kitab Al-Ain".*** Al-Farahidi, Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed, investigated by: Mahdi Al-Makhzoumi, Ibrahim Al-Samarrai, (No edition num-

ber), Beirut: Al-Hilal Library and Library, without publishing date.

37. ***"Al-Ka'shafa a'n Haqiu e'Tanzeel wa Ayoun Al-Aqaweel fi Wojoh Al-Taweel".*** Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar, (3rd Edition), Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.
38. «***Al-Kashf wal Bayan a'n Tafseer al-Quran".*** Al-Thalabi, Abu Ishaq, investigated by: Mohammed bin Ashour, (1st edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 2002 AD.
39. ***"Lobab A'ttawil fi Maani At'tanzil"***. Al-Khazen, Aladdin, (1st Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH.
40. ***"Al-Lobab fi Oloum Al-Kitab",*** Al-Noamani, Abu Hafs Siraj Al-Din, investigated by: Adel Ahmed Abdel Mawgoed and Ali Mohammed Moawad, (1st edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1998 AD.
41. ***"Lisan Al-Arab".*** Ibn Manzur, Mohammed bin Makram. (3rd Edition), Beirut: Dar Sader, 1414 AH.
42. ***"Majazul Quran".*** Muammar bin Al-Muthanna, Abu Obeida. investigated by: Abdel Fattah Abu Ghadda, (2nd Edition), Cairo: Al-Khanji Library, 1962.
43. ***"Al-Mohkam wal Moheet al-Azam"*** Al-Mursi, Abu Al-Hassan, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1, 2000.
44. ***"Madaraj Assalikeen baina Manazil Iyyaka Nabodu wa Iyyaka Nastaeen".*** Ibn Qayyim al-Jawziyya, Mohammed ibn Abi Bakr, (third edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1996 AD.
45. «***Madarik Al-Tanzil wa Haqaiqu Al-Taweel".***Al-Nasafi, Abu Al-Barakat, (1st ed.), Beirut: Dar Al-Kalam Al-Tayyib, 1998 AD. No edition number
46. ***"Al-Mostadrak al-Assahihain".*** Al-Hakim, Abu Abdullah. (1st edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1990 AD.
47. ***" Musnad al-Imam Ahmad bin Hanbal***». Ahmed, Abu Abdullah Ahmed bin Mohammed bin Hanbal. investigated by: Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid, et al (1st edition), 2001 AD.
48. ***"Al-Mosnad Al-Sahihi Al-Mokhtasar Bi'Naql Al-Adl a'n Al-Adl ela Ar-rasoul (PBUH).*** Muslim, Abul-Hasan. investigated by: Mohammed Fouad Abdel-Baqi, (No edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Al-Arabi, without publishing date.

49. ***"Al-Mosannaf"***. Al-San'ani, Abu Bakr Abdul-Razzaq, investigated by: Habib Al-Rahman Al-Azami, (2nd edition), Karachi, Pakistan: The Academic Board, 1983 AD.
50. ***"Maalimu Tanzil fi Tafseer al-Quran"***. Al-Baghawi, Abu Mohammed Al-Hussein, investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, (1st edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1420 AH.
51. ***"Maani Al-Quran wa Eaboh".*** Al-Zaggag, Abu Is'haq. investigated by: Abdel-Jalil Abdo Shalaby. (1st edition), Beirut: Alam Al-Kutub, 1988 AD.
52. ***"Al-Mojamu Al-Kabeer".*** Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed. investigated by: Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi, (2nd Edition), Riyadh: Dar Al-Sumaei, 1994 AD.
53. ***"Mojam Al-Lughah al-Arabiyah Al-Moasirah".*** Mokhtar, Ahmed, (1st Edition), Beirut: Alam Al-Kutub, 2008.
54. ***"Al-Mojam Al-Mofahras Lalfaz Al-Quran Al-Kareem".*** Abdel-Baqi, Mohammed Fouad, (No edition number), Egypt: The Egyptian House of Books Press, 1945 AD.
55. ***"Mujam Maqaeis Al-Lughah".*** Ibn Faris, Abu Al-Hussein, investigated by: Abdel Salam Mohammed Haroun, (No edition number), Beirut: Dar Al-Fikr, 1979 AD.
56. ***"Mafatihu el-Ghaib".*** Al-Razi, Abu Abdullah. (3rd Edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Al-Arabi, 1420 AH.
57. ***"Mofradat fi Gharibul Quran".*** Ragheb Al-Asfahani, Abu Al-Qasim. (1st edition.), Beirut: Dar Al-Qalam, 1992 AD.
58. ***"The Objectives of Islamic Sharia and its Merits."*** Ashour, Wasfi Abu Zaid, India: The Nation Unity Magazine, Issue No. 9, December 2017.
59. ***"The Most High Purpose in Explaining the Meanings of Allah's Most Beautiful Names"***. Al-Ghazali, Abu Hamid Mohammed bin Mohammed Al-Tusi, investigated by: Bassam Abdel-Wahhab Al-Jabi, (1st Edition), Cyprus: Al-Jafan and Al-Jabi, 1987 AD.
60. ***"Al-Montakhab m'n Musnad Abd ibn Hamid».*** Abd bin Hamid, Abu Mohammed, investigated by: Subhi Al-Badri Al-Samarrai, Mahmoud Mohammed Khalil Al-Saidi, (1st edition), Cairo: Maktabat Al-Sunna, 1988 AD.

61. ***"Al-Muwatta". Malik, Anas bin Malik***, investigated by: Abdel Wahab Abdel Latif, (d.), Beirut: The Scientific Library, d.T.

62. ***"Nozhat Al-Oyoun Al-Nawazir fi Elm Alwojoh wan-Nawazir». Ibn al-Jawzi,*** Abu al-Faraj Abdurrahman, investigated by: Mohammed Abd al-Karim Kazem al-Radi, Beirut: Al-Resala Foundation, 1st edition, 1984.

63. ***"Al-Nokat wal-Oyoun".*** Al-Mawardi, Abul-Hasan. investigated by: Al-Sayyid bin Abdul-Maqsoud bin Abdul-Rahim. (No edition number), Beirut: Dar Al-Kotub al-Elmiyah,

64. ***"The End in Strange Hadith and Impact".*** Ibn al-Atheer, Majd al-Din Abu al-Saadat, investigated by: Taher Ahmad al-Zawi - Mahmoud Mohammed al-Tanahi, (No edition number), Beirut: Al-Maktabah El-Elmiyah, 1979. AD

65. ***"Al-Hidayah ela Bolough Al-Nihayah fi Elm Maani Al-Quran wa Tafseerih wa Ahkamih wa Jomalon m'n Olomih".*** Al-Qayrawani, Abu Mohammed Makki, (1st Edition), University of Sharjah: Al-Kitab and Al-Sunnah Research Group, 2008.

66. ***"Al-Wojoh wal Nazair".*** Al-Askari, Abu Hilal, investigated by: Mohammed Othman, (1st Edition), Cairo: Religious Culture Library, 2007 AD.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



الضِّيافة مشروعيّتها، وآدابها، وحكمها في ضوء القرآن الكريم

د. سلطان بن عبدالله الجربوع

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٥/١

قبل للنشر في: ١٤٤٢/٦/١٤

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- حصل على درجة الماجستير في القرآن وعلومه من جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية وعنوانها (أقوال الحافظ ابن حجر في التفسير في فتح الباري - جمعًا ودراسة -) .
- حصل على درجة الدكتوراة في القرآن وعلومه من جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية وعنوانها: (أقوال القاضي عياض في التفسير - جمعًا ودراسة -).

النتاج العلمي:

١- بحث بعنوان : (الاستشفاء بالقرآن الكريم)

٢- بحث بعنوان : (قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه في القرآن الكريم في ضوء سورة مريم)

٣- بحث بعنوان : (فضائل الآيات القرآنية في ضوء السنة النبوية).

البريد الشبكي: soltan.a.g@gmail.com

المُستخلَص

بَيَّنَ الإسلام مِن خلال القرآن والسُّنة الصحيحة كيف ينبغي أن يكون عليه حال المسلم في طعامه وشرابه، وفي سلامه واستئذانه، وفي مجالسته وحديثه، وفي جدِّه ومزاحه، وفي قيامه وجلوسه، وغير ذلك من الآداب التي لا حصر لها.

والأدب أنواع: أدب مع الله، وأدب مع رسوله ﷺ وشرعه، وأدب مع الخلق، وأدب مع النفس، وبحثنا هذا عن نوع من أنواع أدب الإنسان مع الخلق وهو «أدب الضيافة».

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع هو الرغبة في خدمة كتاب الله تعالىٰ، ببيان آداب الضيافة الواردة فيه، ولحاجتنا إلىٰ معرفة أحكام الضيافة، وآدابها؛ لأنها من الأخلاق النبيلة والقيم المحمودة.

وبَيَّنَّا في هذا البحث أن الضيافة: اسم لإكرام الضيف، والإحسان إليه. وقد ورد في مشروعية الضيافة وفضلها نصوص عدة، من الكتاب والسُّنة، كما جاء عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأقوال والأحوال ما يبيِّن فضل هذا الخُلُق الجميل.

كما أشرنا إلىٰ أنه قد ورد في القرآن آداب عدة للضيافة -وهذا مقصد البحث- كمشروعية السلام قبل الكلام عند الدخول للضيف، وأن يكون رد التحية بأفضل وأبلغ من الابتداء مع حسن مخاطبة الضيف، والتلطف في الحديث معه،

مع الاستعجال بالضيافة للضيف، وأن يكون الإنسان مستعدًّا لإكرام الضيف في كل وقت، وأن يخدم الضيف بنفسه، وأن يُحضِر الإنسان لضيفه أطيب ما عنده.. وغيرها من الآداب، وهناك آداب أُخرىٰ دلت عليها السنة النبوية.

كما ذكرنا أن الضيافة فيما زاد علىٰ ثلاثة أيام صدقة من الصدقات، وأما في الأيام الثلاثة فاختلف أهل العلم علىٰ أقوال، والراجح -والله أعلم- أن ضيافة المسافر المجتاز -لا المقيم- واجبة، وأن جوبها علىٰ أهل القرىٰ والأمصار دون تفريق؛ لقوة ما استدلوا به.

هذا، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية:

الضيافة، آداب، القرآن، السنة، الأخلاق.

Hospitality: Legitimacy, Rules of Etiquette, and Ruling in the light of the Holy Quran

prepared by
Dr. Sultan bin Abdullah Al-Garbou'
Assistant Professor at the Department of Quran and its Sciences, the College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University

Abstract

Islam clarifies, through the Holy Quran and the authentic Sunnah, how a Muslim should behave in his daily routines, including eating and drinking, greeting, asking permission (to enter someone else›s house), socializing with others, speaking, jesting and seriousness and all other countless rules of etiquette.

Rules of etiquette can be divided into rules of etiquette concerning Allah, rules of etiquette concenring the Prophet, rules of etiquette concerning Sharia, rules of etiquette concenring people, and rules of etiquette concerning oneself. The topic of this paper is about rules of etiquette concerning people, namely the etiquette of hospitality.

The reason why we choose this topic is that we have a desire to serve the Book of Allah, the Almighty, by highlighting the etiquette of hospitality contained therein and need to learn about the rulings and etiquette of hospitality. Because hospitality is one of the good manners and laudable values.

We have explained in this paper that hospitality means entertaining and treating a guest kindly. Numerous texts from the Quran and the Sunnah confirm the legitimacy and virtue of hospital-

ity. Moreover, the Companions, Followers and others are reported to have made meaningful statements and had habitual practices that cast more light on the virtue of this good manner.

We also point out that a number of the rules of etiquette on hospitality are reflected in the Quran- the purpose of the paper –, and they include the following: that one should extend the greeting before speaking when the guest is let in; that the greeting is to be returned in a better and more expressive way; that one should talk to the guest in a friendly and polite manner; that one should entertain the guest as quickly as possible; that one should be ready to entertain the guest at any time; that one himself should serve the guest; that one should bring the best stuff he has for the guest. There are other rules of etiquette clarified by the Prophetic Sunnah.

We also state that hospitality that lasts for more than three days is a kind of charity. As for the three-day hospitality, scholars differ on it. However, the most correct view is that giving hospitality to a transiting traveler, not the expatriate is obligatory for the inhabitants of villages and cities alike. This ruling is based on rigorous reasoning.

Keywords:

Hospitality-etiquette-the Quran-the Sunnah-manners

المُقَدِّمَةُ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد[١]:

فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

---

(١) هذه خطبة تُسمىٰ عند العلماء خطبة الحاجة، وكان رسول الله ﷺ يبدأ بها خطبه، ويعلمها أصحابه. رواها أبوداود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (ح ٢١١٨)، والترمذي في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (ح ١١٠٥)، وغيرهما. وصححها الألباني في صحيح أبي داود (ح ١٨٦٠)، وقد أفردها الشيخ الألباني في رسالة خاصة باسم خطبة الحاجة فجمع ألفاظها، وطرقها، وبيَّن من خرَّجها.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

أ- موضوع البحث، وأهميته:

القرآن الكريم تبيانٌ وبيان تامٌّ لكلِّ ما يَحتاجه الإنسان في مسيرته في الحياة الدُّنيا؛ من عقيدةٍ صحيحةٍ، وسلوكٍ قويمٍ، وشريعةٍ مُحْكَمةٍ، فلا حجَّة بعده لمحتجٍّ، ولا عذر لمعتذر، فلا عقيدة أو سلوك أو شريعة يَرضاها الله إلَّا ما جاء فيه، ولا صلاح للفَرْد والجماعة إلا بالتمسك بما جاء فيه.

لقد بيّن الإسلام من خلال القرآن الكريم، والسنة الصحيحة كيف ينبغي أن يكون عليه حال المسلم في طعامه وشرابه، وفي سلامه واستئذانه، وفي مجالسته وحديثه، وفي جِدّه ومزاحه، وفي تهنئته وتعزيته، وفي عطاسه وتثاؤبه، وفي قيامه وجلوسه، وفي حلّه وترحاله، ونومه وقيامه، وغير ذلك من الآداب التي لا حصر لها.

إن هذه الآداب التي جاءت بها الشريعة هي من جوانب عظمة هذا الدين لتقويم حياة الناس وتمييز المسلمين عن غيرهم؛ ليظهر سموّ هذه الشريعة وكمالها وعظمتها، والدين أدبٌ كُلُّه، ونحن بأمس الحاجة إلىٰ التمسك بالآداب الشرعية الذي يقود إلىٰ التمسك بالدين كله. وكان ابن المبارك يقول لأصحاب الحديث: «أنتم إلىٰ قليلٍ من الأدب أحوج إلىٰ كثيرٍ من العلم»(١).

(١) رواه ابن المقرئ في معجمه (ص: ٢٦٨، رقمه: ٨٧١). انظر: لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/ ٢٣١)، ومدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٥٦).

والأدب أنواع: أدب مع الله، وأدب مع رسوله ﷺ وشرعه، وأدب مع الخلق[1]، وأدب مع النفس، وبحثنا هذا عن نوع من أنواع أدب الإنسان مع الخلق، وهو: «آداب الضيافة».

قال ابن القيِّم -مبيِّنًا الأدب مع الخلق وأهميته-: «أمَّا الأدب مع الخلق فهو معاملتهم -علىٰ اختِلاف مراتبهم- بما يليق بهم، فلكلّ مرتبة أدب، والمراتب فيها أدب خاص، فمع الوالدين أدبٌ خاصٌّ، وللأب منهما أدب هو أخصُّ به، ومع العالم أدب آخَر، ومع السلطان أدب يليق به، ومع الضَّيف أدب غير أدبِه مع أهله، ولكلِّ حالٍ أدب: فللأكل آداب، وللشرب آداب...، وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلَّة أدبه عنوان شقاوته وبَواره، فما استُجلِب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استُجلِب حرمانها بمثل قلة الأدب...».

ثمَّ قال عن حقوق الخلق: «ألَّا يفرِّط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغِل بها عن حقوق الله، أو عن تكْميلها، أو عن مصلحة دينه وقلْبه»[2].

وبحثي هذا ليس لتفصيل كل ما يتعلق بالضيافة، وإنما هو عن: «الضيافة: مشروعيتها، وآدابها، وحكمها في ضوء القرآن الكريم»، وما يلزم من المباحث المرتبطة بأصل البحث.

ب- أسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في خدمة كتاب الله تعالىٰ، ببيان آداب الضيافة الواردة فيه.

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٥٦).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٦٨- ٣٧١).

٢- بيان عظمة هذا الدين، وسمو الشريعة وكمالها وشموليتها لجميع مناحي الحياة.

٣- الدعوة إلىٰ التمسك بدين الله الذي جاء لسعادتنا في الدنيا والآخرة، وذلك بالدعوة إلىٰ التمسك بمكارم الأخلاق ومعالي الآداب؛ لأن الدين كله خلق، والتمسك بالآداب الشرعية يقود إلىٰ التمسك بالدين كله.

٤- حاجتنا إلىٰ معرفة أحكام الضيافة، وآدابها؛ لأنها من الأخلاق النبيلة المنتشرة بيننا بفضل الله تعالىٰ، فما منا أحد إلا وقد كان -أو يكون- ضيفًا أو مضيفًا.

٥- إظهار محاسن الإسلام ببيان عنايته الفائقة بالضيف وإكرامه، حيث جعل الضيافة واجبة علىٰ المضيف لمدة يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام.

٦- أن الضيافة من القيم المحمودة، والعادات النبيلة للعرب قبل الإسلام، وجاء الإسلام بإقرارها. كما قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها: «لقد جاء الإسلام وفي العرب بضع وستون خَصلة كلها زادها الإسلام شدة، منها: قِرىٰ الضيف، وحسن الجوار، والوفاء بالعهد»(١).

٧- أنها تزيد من تماسك المجتمع وتلاحمه، وتقوي الروابط الاجتماعية، وتزيل ما في النفوس من الحزازات.

ج- الدراسات السابقة:

موضوع الضيافة عمومًا من الموضوعات التي تناولتها الكتب التي تعتني بالآداب الشرعية عمومًا ضمن أبوابها ومباحثها، مثل: الغزالي أفرد لها بابًا في

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص: ٢٦، رقمه: ٣٥).

كتابه (إحياء علوم الدين)[1]، والسفاريني في (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)[2]، وابن مفلح في (الآداب الشرعية) وغيرهم. وأفردها بعض العلماء بالتأليف خصوصًا، ومما وقفت عليه منه:

١- (قرىٰ الضيف) لابن أبي الدنيا، وهو: أبوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفىٰ: ٢٨١هـ)، حقق الكتاب وأخرج أحاديثه: عبدالله بن حمد المنصور، والناشر: أضواء السلف، الرياض، السعودية، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، وعدد صفحاته: (٥٤).

ويعتبر الكتاب من كتب السنة، خرَّج فيه مؤلفه ﵀ الأحاديث والآثار الواردة في قرىٰ الضيف، وبيان فضله، وأول من ضيَّف الضيف، وما إلىٰ ذلك، وهو بهذا يختلف عن موضوع البحث تمامًا.

٢- (إكرام الضيف) لإبراهيم الحربي، وهو: أبوإسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي الحَرْبي من أعلام المحدثين، أصله من مرو، واشتهر وتوفي ببغداد، ونسبته إلىٰ محلة فيها. وُلد سنة (١٩٨هـ)، وتوفي سنة (٢٨٥هـ)، كان حافظًا للحديث، عارفًا بالفقه، بصيرًا بالأحكام، قيِّمًا بالأدب، زاهدًا، وحقق الكتاب وخرج أحاديثه: أبوعمار عبدالله بن عائض الغرازي، ومراجعة وتقديم: مقبل بن هادي الوادعي، والناشر: مكتبة الصحابة- طنطا، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٧هـ)، وعدد الصفحات: (٦٠).

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٢ وما بعدها)، وفيه: «الباب الرابع: في آداب الضيافة».

(٢) انظر: «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» للسفاريني (٢/ ١٤٨ وما بعدها) وفيه: «مطلب: في آداب الضِّيافة».

ويعتبر من كتب السنة حيث خرَّج فيه مؤلفه رحمه الله أحاديث في فضل إكرام الضيف، والترهيب من تركه بغير ضيافة أو إكرام، وذكر فيه الآداب المتعلقة بالضيافة؛ كحكم الضيافة وما إلىٰ ذلك، وبهذا يتبين الفرق بينه وبين ما تناوله البحث.

٣- (أحكام الضيافة في الشريعة الإسلامية) لإسماعيل شندي، بحث منشور في مجلة جامعة الخليل للبحوث. المجلد (٣)، العدد (١)، ص(٢٣٧- ٢٦٦)، عام (٢٠٠٧م). ويدور البحث حول موضوع: (أحكام الضيافة في الشريعة الإسلامية)، وقد انبنىٰ من ستة مباحث: الأول في بيان معنىٰ الضيافة. والثاني في فضلها، والثالث في حكمها. والرابع في المخاطب بها، والخامس في بيان ما تشمله. والسادس في آدابها.

ولا يخفىٰ أن البحث عام في أحكام الضيافة في الشريعة الإسلامية، ويختلف عن بحثي الذي هو في (الضيافة: مشروعيتها، وآدابها، وحكمها في ضوء القرآن الكريم).

٤- (الضيافة في الإسلام: دراسة فقهية اقتصادية) لعبدالعزيز بن أحمد العليوي، بحث منشور في المجلة العالمية للتسويق الإسلامي، المجلد (٣)، العدد (٣)، ٣١ أغسطس/ آب ٢٠١٤م)، ص (١٣٦- ١٤٤). الناشر: الهيئة العالمية للتسويق الإسلامي، دولة النشر: المملكة المتحدة.

اطلعت علىٰ البحث في الشبكة العنكبوتية اطلاعًا عامًّا، وواضح من عنوانه أنه تناول الضيافة في الإسلام بدراسة فقهية اقتصادية، وبذلك يختلف عن بحثي اختلافًا واضحًا.

د- خطة البحث:

ستتكون خطة البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرسين.

المقدمة: **وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.**

التمهيد في تعريف الأدب، والضيافة [وفيه مطلبان]:

المطلب الأول: تعريف الأدب لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف الضيافة لغةً واصطلاحًا.

المبحث الأول: مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: آداب الضيافة في القرآن الكريم [وفيه مطلبان]:

المطلب الأول: آداب المضيف.

المطلب الثاني: **آداب الضيف.**

المبحث الثالث: حكم الضيافة في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

والفهرسان: أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

هـ- منهج البحث:

تمت الكتابة -بحمد الله- في هذا البحث وفق المنهج الآتي:

١- جمع واستقصاء الآيات الواردة في آداب الضيافة في القرآن الكريم.

٢- دراسة تلك الآيات من عدة من الجوانب معتمدًا علىٰ كلام أهل التفسير والعلماء المتقدمين والمتأخرين:

أ- بيان معنىٰ الضيافة في اللغة والاصطلاح.

ب- مشروعية الضيافة، وفضائلها.

ج- آداب الضيافة.

د- حكم الضيافة.

٣- إفراد الآية -أو الآيات- التي تضمنت أدبًا من آداب الضيافة بشرح مستقل، مرقمًا إياه برقم خاص ضمن الأرقام التسلسلية، وقد بلغت تلك الآداب تسعة عشر (١٩) أدبًا: فثلاثة عشر (١٣) منها متعلقة بالمضيف، وستة (٦) منها متعلقة بالضيف.

٤- اعتمدت علىٰ كلام أهل التفسير وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين في دلالة الآية - أو الآيات- علىٰ هذا الأدب، مع ذكر بعض الأحاديث والآثار المتعلقة به من باب زيادة التوضيح والبيان.

٥- عزو الآيات الواردة في البحث إلىٰ مواضعها من القرآن الكريم، مع بيان اسم السورة ورقم الآية داخل المتن.

٦- نسخ الآيات الواردة في البحث من مصحف مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة.

٧- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة المعتمدة، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن لم يكن خرجته من كتب السنة الأخرىٰ مع بيان حكم أهل العلم عليه.

٨- توثيق ما أورده من أقوال أهل العلم، بعزوها إلىٰ مصادرها ومظانها.

٩- شرح الكلمات التي قد تحتاج إلىٰ بيان وإيضاح.

وأخيرًا، فهذا قَدْري، وهذه قدرتي، وهو جهد المقل، وعمل بشري يعتريه النقص والخطأ، والزلل والسهو، وتختلف فيه وجهات النظر، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه، وأنتظر تصويب أهل العلم، وأداء النصيحة فيه، سائلًا الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يكون هذا العمل حجة لنا لا علينا، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب **العالمين**.

التمهيد في تعريف الأدب، والضيافة

[وفيه مطلبان]

المطلب الأول: تعريف الأدب لغةً:

يُقال: أدَّبه فتأدَّب؛ علَّمه، وفلان قد استأدب، بمعنىٰ: تأدَّب. والأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سُمي أدبًا لأنه يأدِب الناسَ إلىٰ المحامد -أي: يدعوهم إليها-، وينهاهم عن المقابح. وأصل الأدب: الدعاء، ومنه قيل للصنيع يُدعىٰ إليه الناس: مدعاة ومأدبة(١).

والأدب في الاصطلاح: استعمال ما يُحمد قولًا وفعلًا.

وقيل: هو الأخذ بمكارم الأخلاق.

وقيل: هو الوقوف مع المستحسنات.

وقيل: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك.

وقيل: هو ما يحصُل للنَّفس من الأخْلاق الحسنة والعلوم المكتسبة.

وقيل: هو ما يؤدي بالناس إلىٰ المحامد.

وقيل: اجتماع خصال الخير في العبد(٢).

---

(١) انظر: المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي (ص: ٢٢) (أدب)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ٢٠٦) (أدب).

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٧٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣)، وفيض القدير =

وقيل: «عبارة عن معرفة ما يُحترز به عن جميع أنواع الخطأ»[(١)].

وقيل: هو «كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل»[(٢)].

وهذه تعاريف متقاربة ومتداخلة، وكثير منها أشار إلىٰ جانب من جوانب الأدب، وخَصلة من خصاله، ولعل التعريف الأخير هو أشملها.

المطلب الثاني: تعريف الضيافة:

هي لغة: مصدر ضاف، وضفت الرجل ضيفًا وضيافة. ويصلح الضَّيف للواحد والاثنين والجمع، والمؤنث والمذكر؛ كعدل وخصم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الذاريات:٢٤]، وقد يُجمع فيقال: أضياف، وضيوف، وضِيفان.

والاسم: الضيافة. و«ضِفْتَه» إذا نزلت به وأنت ضيف عنده، و«أَضَفْتَهُ» بالألف إذا أنزلته عندك ضَيْفًا. ويقال: أضفتُه إضافةً إذا لجأ إليك من خوف فأجرته. وتضيَّفني فضيَّفته إذا طلب القِرىٰ فقريته، وسُمي الضيف ضيفًا لإضافته إليك، ونزوله عليك[(٣)].

= للمناوي (١/ ٢٢٤)، وتاج العروس للزبيدي (٢/ ١٢- ١٣)، مادة: (أدب).

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ١٥).

(٢) الكليات للكفوي (ص: ٦٥).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (١٤/ ٨٣)، الكشف والبيان للثعلبي (٥/ ٣٤٤)، والمفردات للراغب (ص ٥١٣)، ومختار الصحاح للرازي (ص ٣٨٦)، ولسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٠٨) كلهم في (ضيف). وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٥)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ٣٩١) (ضيف)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (٢/ ٣٦٦) (ضيف)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لفيروز أبادي (٣/ ٤٨٩).

اصطلاحًا: «اسم لإكرام الضيف، والإحسان إليه»[(١)].

وقيل: «القيام بحاجات النازل بالدار ونحوها إذا كان من غير أهلها»[(٢)].

والضيف معروف، وهو: النازل في منزل أحد فيأكل من طعامه، أو يشرب من شرابه؛ نزولًا غير دائم؛ لأجل مرور في سفر، أو إجابة دعوة، وغير ذلك[(٣)].

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٢٨/ ٣١٦).

(٢) معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي (ص ٢٨٦).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١/ ٢٢٩)، ولسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٠٨) (ضيف)، والمفردات للراغب (ص٥١٣)، وعمدة الحفاظ للسمين (٢/ ٣٩١) (ضيف)، والموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٢٨/ ٣١٦)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٦/ ١٢٨)، والشرح الممتع لابن عثيمين (١٥/ ٤٨).

المبحث الأول:

مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم

الضيافة من سنن المرسلين، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الدين، ومن العادات النبيلة التي تفاخرت بها العرب في جاهليتهم، وجاء الإسلام بإقرارها، والإشادة بها، والتأكيد عليها، وقد أجمع العلماء على مدح مُكرم الضيف، والثناء عليه(١). وورد في مشروعية الضيافة وفضلها نصوص عدة من الكتاب، ومن ذلك:

١- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فمن البر: إعطاء ابن السبيل، على قول من فسَّر من المفسرين ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ بأنه الضَّيف ينزل بالرجل(٢).

قال ابن كثير: «ويدخل في ذلك الضيف»(٣).

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (١/ ٢٣٠)، والاستذكار لابن عبدالبر (٨/ ٣٦٧)، والتمهيد لابن عبدالبر (٢١/ ٤٣)، وشرح مسلم للنووي (٢/ ١٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٤).

(٢) جامع البيان للطبري (٣/ ٨٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٧)، وقد ذكر ابن كثير عددًا من أئمة التفسير رأوا هذا.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٧).

وقال ابن تيمية: «﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: قِرىٰ الضَّيف»(١).

٢- ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

علىٰ تفسير مجاهد، حيث قال: «هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن إليه، فقد رخَّص الله له أن يقول فيه»(٢).

وعنه -أيضًا- أنه قال: «هو في الضيافة، يأتي الرجل القوم، فينزل عليهم فلا يضيفونه، رخص له أن يقول فيه»(٣). فالمؤمن يتجنب أن يُذكَر بسوء.

قال الطبري: «لا يحب الله- أيها الناس- أن يجهر أحد لأحد بالسوء من القول ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ بمعنىٰ: إلا من ظُلِم فلا حرج عليه أن يخبر بما أُسيء عليه. وإذا كان ذلك معناه، دخل فيه إخبار من لم يُقْرَ، أو أُسيء قِراه، أو نِيل بظلم في نفسه أو ماله عنوةً من سائر الناس. وكذلك دعاؤه علىٰ من ناله بظلم أن ينصره الله عليه، لأن في دعائه عليه إعلامًا منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له»(٤).

٣- ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩].

قال السعدي -معدِّدًا فوائد الآية-: «ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٢٠/ ١٣٤).

(٢) رواه عنه الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٢٨). وذكره عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٤٣).

(٣) رواه عنه الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٢٩). وذكره عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٤٣).

(٤) جامع البيان للطبري (٧/ ٦٣١- ٦٣٢).

المرسلين، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾»[1].

٤- وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف: ٧٧].

قال ابن عاشور: «وفي الآية مشروعية ضيافة عابر السبيل إذا نزل بأحد من الحي أو القرية»[2].

كما أن في الآية ذمًّا من الله لمن لم يقم بها، قال القرطبي: «قوله: ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف:٧٧] فاستحق أهل القرية لذلك أن يُذمُّوا، ويُنسبوا إلىٰ اللؤم والبخل»[3].

وقال قتادة في هذه الآية: «شرُّ القرىٰ التي لا تضيِّف الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقه»[4].

«وإظهار لفظ ﴿أَهْلَهَا﴾ دون الإتيان بضميرهم بأن يقال: استطعماهم، لزيادة التصريح تشنيعًا بهم في لؤمهم، إذ أبوا أن يضيفوهما، وذلك لؤم؛ لأن الضيافة كانت

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/ ٤٥٠).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/ ٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٥). ويظهر أن الضيافة كانت عليهم واجبة، وأن الخضر وموسىٰ عليهما السلام إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال الأنبياء، ومنصب الفضلاء والأولياء. انظر في ذلك: المرجع السابق (١١/ ٢٥)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٣).

(٤) رواه عنه الطبري في جامع البيان (١٥/ ٣٤٧)، وذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٥).

شائعة في الأمم من عهد إبراهيم عليه السلام وهي من المواساة المتبعة عند الناس، ويقوم بها من يُنتدب إليها ممن يمر عليهم عابر السبيل، ويسألهم الضيافة، أو من أعد نفسه لذلك من كرام القبيلة، فإباية أهل قرية كلهم من الضيافة لؤم لتلك القرية»(١).

٥- قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ [الذاريات: ٢٤].

قال ابن سعدي -في فوائد هذه الآية-: «ومنها: مشروعيَّة الضيافة، وأنَّها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله محمدًا وأمته أن يتَّبعوا ملَّته، وساقها الله في هذا الموضع علىٰ وجه المدح والثناء»(٢).

وكان إبراهيم عليه السلام مِضيافًا، ويُكنىٰ أبا الضِّيفان(٣)، بل جاء أنه أول من ضيَّف الضيف(٤).

قال ابن عطية: «وحسبك أنه أوقف للضيافة أوقافًا تمضيها الأمم علىٰ اختلاف أديانها وأجناسها»(٥).

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/ ٧). انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٩٨).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥/ ٢١٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٥)، والنكت والعيون للماوردي (٥/ ٣٦٩).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا مرفوعًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في قرىٰ الضيف (ص١٨) (٥)، ومكارم الأخلاق (ص ٢٦) (٣٥). وابن أبي عاصم في الأوائل (ص ٦٣) (١٨). والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ١٣٦) رقمه (٩١٧٠). وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٦١، ح ٧٢٥): «..سند حسن، رجاله كلهم ثقات معروفون». ورواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٢٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٣١)، رقم (٣١٨٣١) موقوفًا علىٰ سعيد بن المسيب.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥/ ٢١٣).

٦- **ومن ذلك قوله تعالىٰ:** ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠] كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: «يريد سوىٰ الزكاة في صلة الرحم، وقِرىٰ الضيف»[(١)].

وجاءت السنة بالتأكيد علىٰ هذه المشروعية[(٢)]، ومن ذلك:

١- أن من أعظم أخلاق وصفات رسول الهدىٰ ﷺ أنه كان يَقري الضيف، فمن تحلىٰ بها فهو مقتدٍ بخير البشرية ﷺ، كما جاء عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: «أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ[(٣)]، وتَقري الضيف...»[(٤)].

٢- ومن ذلك أن إكرام الضيف من خصال الإيمان[(٥)]، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»**[(٦)].

---

(١) ذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٣٧٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٥٨).

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٦/ ٥٤٣)، وشرح مسلم للنووي (١٣/ ١٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ٧٠٢).

(٣) هو: الإنفاق علىٰ الضعيف واليتيم. انظر: إكمال المعلم لعياض(١/ ٤٨٦)، وشرح مسلم للنووي (٢/ ٢٠١)، والنهاية لابن الأثير (٤/ ١٩٨) (كلل).

(٤) رواه البخاري في كتاب الإيمان (ح ٣) (١/ ١٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ (ح ٢٥٢)، (١/ ١٣٩).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٣٣٣).

(٦) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (ح ٦٠١٨)،
=

قال ابن حجر: اشتمل الحديث علىٰ أمور ثلاثة تجمع مكارم الأخلاق الفعلية والقولية، أما الأولان فمن الفعلية، وأولهما يرجع إلىٰ الأمر بالتخلي عن الرذيلة، والثاني يرجع إلىٰ الأمر بالتحلي بالفضيلة، وحاصله من كان حامل الإيمان فهو متصف بالشفقة علىٰ خلق الله، قولًا بالخير، وسكوتًا عن الشر، وفعلًا لما ينفع، أو تركًا لما يضر(١).

٣- ومن ذلك ما جاء من حديث عقبة بن عامر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ**»(٢).

٤- ومن ذلك أن قِرىٰ الضَّيف كان معروفًا عند العرب، يتنافس فيه كرامهم، ويُعدُّ من مناقبهم؛ بل كان عند كرامهم بيت ضيافة ينزل فيه من يمرُّ بهم، فلما جاء الإسلام أقرَّ هذا الخلق الكريم، وزاده شدَّةً وتوثيقًا؛ كما جاء عَنِ السَّائِبِ بن عَبْدِاللهِ قَالَ: جِيءَ بِي إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، جَاءَ بِي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَزُهَيْرٌ، فَجَعَلُوا يَثْنُونَ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تُعْلِمُونِي بِهِ، قَدْ كَانَ صَاحِبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ**» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَنِعْمَ الصَّاحِبُ كُنْتَ؛ فَقَالَ: «**يَا سَائِبُ، انْظُرْ أَخْلَاقَكَ الَّتِي**

= (٤/ ٩٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان (ح ٧٤)، (١/ ٦٨).

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٦٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ٦٣٥، ح ١٧٤١٩). وقال محقق المسند (٢٨/ ٦٣٥): «حديث حسن». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٧٥): «ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة، وحديثه حسن». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٦١، ح ٢٤٣٤) قائلًا: «... وحديث ابن لهيعة من رواية عبدالله بن وهب صحيح؛ لأنه روىٰ عنه قبل أن يسوء حفظه كما حققه بعض الأئمة... فصح الحديث بهذه الرواية، والحمد لله».

كُنْتَ تَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاجْعَلْهَا فِي الْإِسْلَامِ: أَقْرِ الضَّيْفَ، وَأَكْرِمْ الْيَتِيمَ، وَأَحْسِنْ إِلَىٰ جَارِكَ»(١).

وأما الآثار عن السلف في الحضّ علىٰ الضِّيافة وإكرام الضيوف فكثيرة جدًّا، ومنها:

١- ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق البأس في طاعة الله، وإعطاء السائل، ومكافأة الصنيع، وصلة الرحم، وأداء الأمانة، والتذمُّم للجار، والتذمُّم للصاحب، وقِرىٰ الضيف، ورأسهن الحياء»(٢).

٢- وعن علي رضي الله عنه قال: «لَأن أجمع ناسًا من إخواني علىٰ صاع من طعام أحب إلي من أن أدخل سوقكم هذه فأبتاع نسمة فأعتقها»(٣).

٣- وقال أبوهريرة رضي الله عنه لقوم نزل عليهم، فاستضافهم، فلم يضيفوه، فتنحىٰ ونزل، فدعاهم إلىٰ طعامه، فلم يجيبوه، فقال لهم: «لا تُنزلون الضيف، ولا تجيبون الدعوة! ما أنتم من الإسلام علىٰ شيء، فعرفه رجل منهم، فقال له: انزل عافاك الله،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٤/ ٢٥٨، ح ١٥٥٠٠)، وضعَّف محققو المسند (٢٤/ ٢٥٨) إسناده. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٠): ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص ٢٦، رقمه ٣٦). قال محققه مجدي السيد إبراهيم: «إسناده ضعيف»، وذكر الأثر ابن عبدالبر في التمهيد (٢٤/ ٣٣٤). ومعنىٰ التذمم للصاحب أو الجار هو: أن يحفظ ذمامه، ويطرح عن نفسه ذم الناس إن لم يحفظه. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٣٦٥)، لسان العرب (١٢/ ٢٢٠) (ذمم)، وتاج العروس (٣٢/ ٢٠٩) (ذمم).

(٣) رواه البُرجلاني في الكرم والجود (ص ٤٩، رقمه ٤٣)، والطبراني في مكارم الأخلاق (ص٣٧٥، رقمه١٧١).

قال: هذا شرٌّ وشرٌّ، لا تُنزلون إلا من تعرفون؟!»(١).

٤- وقال عبدالله بن الحارث بن جَزْء: «من لم يُكرِمْ ضيفَه فليس من محمد، ولا من إبراهيم»(٢).

٥- وعن أنس رضي الله عنه قال: «إن زكاة الرجل في داره أن يجعل فيها بيتًا للضيافة»(٣).

ولعل ما ذُكر فيه كفاية، وإلا فالأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تُحصىٰ، كما قال الغزالي(٤). وأجمع العلماء علىٰ مدح مكرِم الضيف، وأن قِرىٰ الضيف وحسن القيام عليه لم يزل من شيم الكرام، وعادات الصالحين، ومَنْعُ القِرىٰ مذموم علىٰ الألسن، وصاحبه ملوم(٥).

- **قال شقيق البلخي:** «ليس شيء أحب إلي من الضيف؛ لأن مؤنته علىٰ الله تعالىٰ، ومحمدته لي»(٦).

---

(١) ذكره عنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٣٥٦).

(٢) رواه ابن المبارك في الجهاد(ص ١٤٧، رقمه ١٨٤)، والزهد(ص ٢١٨، رقمه ٦١٤) وسعيد بن منصور في سننه(٢/ ١٦٧، رقمه ٢٤٣٧)، وابن أبي حاتم في علل الحديث(٢/ ٢٧٧، رقمه ٢٣٣١) قال:«قال أبي: روىٰ هذا الحديث ابن المبارك فقال عن إبراهيم بن نشيط عمَّن حدثه عن عَبدالله بن الحارث بن جزء».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في قِرىٰ الضيف(ص ٤٧، رقمه ٦٦)، والبيهقي في الشعب(١٢/ ١٤٢، رقمه ٩١٨٠)، والأصفهاني في الترغيب والترهيب(٣/ ٣٩، رقمه ٢٠٣٠) من طريق سويد بن سعيد وهو ضعيف. انظر: تقريب التهذيب(ص ٢٦٠)، ومن طريق حمزة بن حسان وهو مجهول. لسان الميزان (٢/ ٣٥٩).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٤).

(٥) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٢١)، والاستذكار لابن عبدالبر (٨/ ٣٦٧).

(٦) ذكره عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٥).

- **وقال أبو حاتم:** «وقِرى الضيف يرفع المرء وإن رق نسبه إلىٰ منتهىٰ بغيته، ونهاية محبته، ويشرفه برفيع الذكر، وكمال الذخر»(١).

- **وقال ابن العربي:** «هي من مكارم الأخلاق، وحسن المعاملة بين الخلق»(٢).

- **وقال القاضي عياض:** «والضيافة من آداب الإسلام، وخلق النبيين والصالحين»(٣).

وقال ابن عبدالبر: «لا أعلم خلافًا بين العلماء في مدح مضيف الضيف وحمده، والثناء عليه، وكلهم يندب إلىٰ ذلك، ويجعله من مكارم الأخلاق وسنن المرسلين؛ لأنه ثبت أن إبراهيم عليه السلام أول من ضيَّف الضيف، وحضَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ الضيافة، وندب إليها»(٤).

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبي حاتم محمد بن حبان (ص ٢٥٨).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (٣/ ٢٠).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١/ ٢٨٥).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر (٢١/ ٤٣). انظر: الاستذكار لابن عبدالبر (٨/ ٣٦٧).

المبحث الثاني:

آداب الضيافة في القرآن الكريم [وفيه مطلبان]

المطلب الأول: آداب المُضِيف:

ورد في كتاب الله آداب كثيرة، وعلىٰ قدر تحلي المضيف بها ومراعاتها يكتمل إحسانه لضيفه، وتقديره إياه، وتتم ضيافته علىٰ أحسن وجه، وهي أشرف الآداب إطلاقًا، وما عداها من التكلفات إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفىٰ بهذه الآداب القرآنية شرفًا وفخرًا لمن تمسك بها(١). ومن أهمِّها:

١- أن يكون رد تحية الضيف بأفضل وأبلغ من الابتداء:

كما دل علىٰ ذلك قوله ﷻ: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ [هود: ٦٩]، فسلامهم بالجملة الفعلية الدالة علىٰ التجدد، ورده بالجملة الاسمية الدالة علىٰ الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق، فرفعُ المصدر أبلغ من نصبه؛ لأن الرفع فيه تنامي معنىٰ الفعل فهو أدل علىٰ الدوام والثبات، ولذلك خالف بينهما للدلالة علىٰ أن إبراهيم عليه السلام رد السلام بعبارة أحسن من عبارة الرسل زيادة في الإكرام(٢).

(١) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٢٧٣- ٢٧٤).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠١)، والتفسير الكبير للرازي (٢٨/ ١٨٢)، وتفسير النسفي (٤/ ١٨٥)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢/ ١١٥)، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٠٩)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/ ٣٧٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/ ١١٦).

قال ابن عطية: «وكان سلام الملائكة دعاءً مرجوًّا؛ فلذلك نُصب، وحيَّا الخليل بأحسن مما حُيِّي، وهو الثابت المتقرر، ولذلك جاء مرفوعًا»(١).

وقال ابن كثير في تفسير الآية: «أي: عليكم، قال علماء البيان: هذا أحسن مما حيوه به؛ لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام»(٢).

وقال ابن القيم: إبراهيم رد على أضيافه بأحسن مما حيوه به، فتحيتهم باسم منصوب متضمن لجملة فعلية تقديره: سلمنا عليك سلامًا. وتحية إبراهيم لهم باسم مرفوع متضمن لجملة اسمية تقديره: سلام ثابت أو دائم عليكم، ولا ريب أن الجملة الاسمية تقتضي الثبوت واللزوم، والفعلية تقتضي التجدد والحدوث، فكانت تحية إبراهيم أكمل وأحسن(٣).

٢- حسن مخاطبة الضيف، والتلطف في الحديث معه:

من حسن استقبال الضيف ملاطفته بالكلام الليِّن، خصوصًا عند تقديم الطعام إليه؛ ألا ترىٰ أنَّ إبراهيم عليه السلام عرض علىٰ أضيافه عرضًا لطيفًا فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات:٢٧]، ولم يقل: كلوا، ونحوه من الألفاظ التي غيرها أولىٰ منها، بل أتىٰ بأداة العرض فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؛ فينبغي للمقتدي به أنْ يستعملَ من الألفاظ الحسنة ما هو المناسب واللائق بالحال؛ كقوله لأضيافه: ألا تأكلون؟ أو ألا تتفضَّلون؟ أو تشرِّفوننا، وتحسنون إلينا، ونحو ذلك(٤).

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٩/ ١٨٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٣٢).

(٣) انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٥)، وجلاء الأفهام لابن القيم (ص ٣١٠).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٩٩). وانظر للاستزادة: التفسير الكبير للرازي (٢٨/ ١٨٤)، وروح المعاني للألوسي (٢٧/ ١٣).

قال ابن القيم في قوله تعالىٰ: ﴿قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]: «وفي هذا من حسن مخاطبة الضيف والتذمم[١] منه وجهان في المدح: أحدهما: أنه حذف المبتدأ، والتقدير: أنتم منكرون، فتذمم منهم، ولم يواجههم بهذا الخطاب؛ لِمَا فيه من الاستيحاش، وكان النبي ﷺ لا يواجه أحدًا بما يكرهه، كما جاء عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ، وَلَكِنْ يَقُولُ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟**»[٢].

الثاني: قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥] فحذف فاعل الإنكار، وهو الذي كان أنكرهم كما قال في موضع آخر: ﴿نَكِرَهُمۡ﴾ [هود: ٧٠] ولا ريب أن قوله: ﴿مُّنكَرُونَ﴾ ألطف من أن يقول: أنكرتكم»[٣]. وبين اللفظين من الفرق ما لا يخفىٰ[٤].

ومن التلطف ما عرضه عليهم بقوله: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧] كما قال ابن القيم: «فإنه عرض عليهم الأكل بقوله: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ وهذه صيغة عرض مؤذنة بالتلطف بخلاف من يقول: ضعوا أيديكم في الطعام، كلوا، تقدموا، ونحو هذا»[٥].

---

(١) التذمم للصاحب: أن يحفظ ذمامه، ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه. لسان العرب (١٢/ ٢٢٠)، وتاج العروس(٣٢/ ٢٠٩) كلاهما في (ذمم).

(٢) رواه أبوداود في كتاب الأدب، باب في حسن العشرة (ح ٤٧٨٨) (٥/ ١٤٣)، قال الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٠٥)، (٣/ ٩٠٩): «صحيح». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (ح ٢٠٦٤)، (٥/ ٩٧).

(٣) الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٥- ٧٦)، وجلاء الأفهام لابن القيم (ص ٣١٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٩٨).

(٥) الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٨). انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٣١٢)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢/ ١١٦).

وقال ابن كثير: «﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات:٢٧]: تلطف في العبارة، وعرض حسن»(١).

وقال ابن عاشور: «والعرض علىٰ الضيف عقب وضع الطعام بين يديه زيادة في الإكرام بإظهار الحرص علىٰ ما ينفع الضيف»(٢).

٣- الاحتفاء والترحيب بالضيوف:

لقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات:٢٤- ٢٧].

في الآيات احتفاء إبراهيم عليه السلام بضيوفه وترحيبه بهم. قال مقاتل ومجاهد في قوله: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾: «أكرمهم إبراهيم، فأحسن عليهم القيام، وكان لا يقوم علىٰ رأس ضيف، فلما رأىٰ هيأتهم حسنة قام هو وامرأته سارة لخدمتهم»(٣).

وقال ابن القيم في تفسير الآيات: «ففي هذا الثناء علىٰ إبراهيم من وجوه متعددة، أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا علىٰ أحد القولين أنه إكرام إبراهيم لهم أنهم المكرمون عند الله، ولا تنافي بين القولين فالآية تدل علىٰ المعنيين»(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٤٢١). انظر: تفسير المراغي (٢٦/ ١٨٣).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٣٦٠).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (ص ٦١٩)، وجامع البيان للطبري (٢١/ ٥٢٥)، وبحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٤)، والتفسير البسيط للواحدي (٢٠/ ٤٤٩).

(٤) جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٢٧١).

وقد كان من عادته ﷺ الترحيب بالضيوف وحسن استقبالهم ومعاملتهم وملاطفتهم، ومن ذلك ما جاء في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: إنَّ وَفْدَ عَبْد القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنِ القَوْمُ؟ أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟» قَالُوا: رَبِيعَةُ، قال: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلا نَدَامَىٰ»(١).

٤- الاستعجال بالضيافة للضيف، والمبادرة لذلك:

كما دل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ- في قصة أضياف إبراهيم عليه السلام-: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ [الذاريات:٢٦]، تفيد الآيات أن من أدب الضيف أن يعجِّل قِراه، فيقدِّم الموجود الميسَّر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة(٢)، وتعجيل القِرىٰ سُنة عربية أقرها الإسلام، ظن إبراهيم عليه السلام أنهم ناس فبادر إلىٰ تعجيل قِراهم(٣).

قال أبو حيان: «وهذا من أدب الضيافة، وهو تعجيل القِرىٰ»(٤).

وقال ابن عاشور: «والإسراع بالقِرىٰ من تمام الكرم»(٥).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (ح ٥٣) (١/ ٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالله تعالىٰ ورسوله (ح ١٧) (١/ ٤٦). «الخزايا» جمع: خزيان، كحيران وحيارىٰ، والخزيان: المستحي. وقيل: الذليل المهان. وأما الندامىٰ فقيل: إنه جمع ندمان بمعنىٰ نادم. وقيل: هو جمع نادم اتباعًا للخزايا، وكان الأصل نادمين فأُتبع لخزايا تحسينًا للكلام، وهذا الإتباع كثير في كلام العرب، وهو من فصيحه. شرح النووي علىٰ مسلم (١/ ١٨٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٤).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١٨٨)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٦/ ١١٧).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٨٠).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٣٥٩).

وقال السعدي: «المبادرة إلىٰ الضيافة والإسراع بها؛ لأن خير البرِّ عاجِلُه، ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قِرىٰ أضيافه»(١).

وقال ابن عثيمين: «انسلَّ بخفية وسرعة، وذلك من حسن ضيافته، لم يقل: انتظروا آتي لكم بالطعام. ولم يقم متباطئًا كأنما يُدفع دفعًا، وإنما قام بسرعة منسلًا؛ لئلا يقوموا إذا رأوه ذهب إلىٰ أهله، فكأنه أخفىٰ الأمر عنهم»(٢).

وقد دلت هذه الآيات علىٰ هذا الأدب من وجوه:

منها «الفاء» في قوله: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ [هود: ٦٩] للدلالة علىٰ التعقيب إسراعًا في إكرام الضيف(٣).

وفي الآية الأخرىٰ جاءت (الفاء) لعطف أفعال: ﴿فَرَاغَ﴾ [الذاريات: ٢٦]، ﴿فَجَآءَ﴾ [الذاريات: ٢٦]، ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ﴾ [الذاريات: ٢٧] للدلالة علىٰ أن هذه الأفعال وقعت في سرعة(٤).

ومنها: أنه عليه السلام جاء بعجل حنيذ، والحنيذ هو المشوي، والشي أسرع من الطبخ، فهو أعون علىٰ تعجيل إحضار الطعام للضيف(٥).

قال محمد رشيد رضا: «وهو نص في المبادرة إلىٰ الإتيان به بدون مهلة، كأنه كان مشويًّا معدًّا لمن يجيء من الضيف، أو شُوي عند وصولهم من غير تريث»(٦).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٩٩).

(٢) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٤٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/ ١١٧).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢٦/ ٣٥٩).

(٥) انظر: المرجع السابق (١٢/ ١١٧).

(٦) تفسير القرآن الحكيم (المنار) لرشيد رضا (١٢/ ١٢٨).

ومنها: ما تحمله لفظة ﴿فَرَاغَ﴾ [الذاريات: ٢٦]، فالروغان هو الذهاب بسرعة واختفاء، فإخفاء إبراهيم ميله إلىٰ أهله من حسن الضيافة؛ كيلا يُوهم الضيف أنه يريد أن يُحضر لهم شيئًا فلعلّ الضيف أن يكُفّه عن ذلك ويعذره، وهذا منزع لطيف(١).

ويؤكد هذا الأدب ما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**»، قَالا: الجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ ﷺ: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَىٰ رَجُلًا مِنَ الأَنْصارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للهِ، مَا أَحَدٌ اليَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِه، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ(٢)، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ**»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ العِذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**»(٣).

---

(١) انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٦). وانظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠١)، والتفسير الكبير للرازي (٢٨/ ١٨٤)، وتفسير البيضاوي (٢/ ٤٢٩)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢/ ١١٦)، وروح المعاني للألوسي (٢٧/ ١٣)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٣٥٩).

(٢) هي: السكين، جمعها: مِدًىٰ ومُدًىٰ ومُدْيات الْمُدَىٰ. انظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٣١٠ (مدا)، ولسان العرب لابن منظور(١٥/ ٢٧٢) (مدىٰ).

(٣) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلىٰ دار من يثق برضاه بذلك (ح ٢٠٣٨)، (٣/ ١٦٠٩).

٥- أن يكون الإنسان مستعدًّا لإكرام الضيف في كل وقت وحين:

في قوله في قصة إبراهيم مع أضيافه: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ [الذاريات:٢٦] إشعار بأن كرامة الضيف معدَّة حاصلة عند أهله، وأنه لا يحتاج أن يستقرض من جيرانه، ولا يذهب إلىٰ غير أهله إذ نُزُل الضيف حاصل عندهم(١).

٦- أن يخدم الضيف بنفسه:

لقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ [الذاريات: ٢٤]. قال مقاتل ومجاهد في قوله: ﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾: «أكرمهم إبراهيم، فأحسن عليهم القيام، وكان لا يقوم علىٰ رأس ضيف، فلما رأىٰ هيأتهم حسنة قام هو وامرأته سارة لخدمتهم»(٢). وقال مجاهد في الآية أيضًا: «خدمته إياهم، خدمهم بنفسه»(٣).

وقال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ [هود:٦٩]. قال السعدي: «إنَّ إبراهيم هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وسيِّد من ضيَّف الضيفان»(٤).

٧- إحضار الطعام المعدِّ لغير الضيف الحاضر إذا جُعل له ليس فيه إهانة:

بل ذلك من الإكرام، كما يفيد قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ [الذاريات:٢٦].

قال السعدي رحمه الله: «ومنها -أي: من فوائد قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة-: أن

---

(١) انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٧)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٩٩).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص ٦١٩)، وجامع البيان للطبري (٢١/ ٥٢٥)، والتفسير البسيط للواحدي (٢٠/ ٤٤٩)، وفتح القدير للشوكاني (٥/ ١٠٤).

(٣) رواه عنه ابن أبي الدنيا في قرىٰ الضيف (ص ١٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٩٩)، انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٧).

الذبيحة الحاضرة، التي قد أُعدت لغير الضيف الحاضر إذا جُعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم عليه السلام وأخبر الله أن ضيفه مكرمون»(١).

٨- إحضار الإنسان لضيفه أطيب ما عنده:

فإبراهيم عليه السلام من كرمه وحبّه للضيف أتاهم بأحسن وأطيب ما عنده، وهو عجل سمين ليس بمهزول، وحيوان تامٌّ، ولم يأتهم ببعضه حتىٰ يتخيروا من أطيب لحمه ما شاؤوا، وكانوا يُعجبون بولد البقر السمين(٢).

قال قتادة: «كان عامة مال نبي الله إبراهيم عليه السلام البقر»(٣).

واختاره لهم سمينًا زيادة في إكرامهم(٤). كما قال الله: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ [الذاريات: ٢٦]،كما أن من طيب هذا الطعام أنه كان مشويًّا كما قال الله في الآية الأخرىٰ: ﴿أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ [هود: ٦٩] «أي: مشوي، واللحم إذا شُوي يكون أطعم وألذ؛ لأن طعمه يبقىٰ فيه لا يمتزج بالماء، بخلاف ما إذا طُبخ يمتزج بعضه بالماء، فتقل لذته، لكن إذا كان مشويًّا صار أطيب وأحسن»(٥).

٩- تقديم ما تيسّر من الموجود وعدم التكلف:

كما دل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ في قصة أضياف إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٩٩). انظر: لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٤٣).
(٢) انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٧)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢/ ١١٦).
(٣) رواه عنه الطبري في جامع البيان (٢١/ ٥٢٦)، وذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٨٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٤/ ٥٤٦).
(٤) النكت والعيون للماوردي (٥/ ٣٧٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٤٩).
(٥) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (ص ١٤٣).

﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]. قال القرطبي: «إنما جاء بعجل لأن البقر كانت أكثر أمواله»، ثم قال: «في هذه الآية من أدب الضيف أن يعجل قِراه، فيقدِّم الموجود الميسَّر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جِدَةٌ، ولا يتكلَّف ما يضرّ به»[1].

قال بكر بن عبدالله المزني: «إذا أتاك ضيف فلا تنتظر به ما ليس عندك، وتمنعه ما عندك، قدِّم إليه ما حضر، وانتظر به ما بعد ذلك ما تريد من إكرامه»[2].

وإكرام الضيف وإن اختلف حسب حال الضيف والمضيف إلا أنه لا ينبغي التكلف في الضيافة بحيث يخرج عن الحد المعقول؛ فلا يتكلف لضيفه ما يثقل عليه ثمنه، أو يأخذه بدَين، ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده، فيُجحف بعياله، ويؤذي قلوبهم. لأن التكلف عمومًا منهي عنه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، قال ابن زيد: «وما أنا من المتكلّفين، أتخرّص وأتكلّف ما لم يأمرني الله به»[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند عمر رضي الله عنه فقال: «نُهينا عن التكلف»[4].

بل إنّه قد جاء في السُّنَّة النّهي عن التكلّف في إكرام الضّيف حتّىٰ يُلحِق الضّرر بنفسه وأهله لفرط تكلّفه. فقد جاء أنّ سلْمانَ رضي الله عنه دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَدَعَا لَهُ بِمَا كَانَ

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في قرىٰ الضيف (ص ٤٥).

(٣) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان، ت: شاكر (٢١/ ٢٤٣).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكره من كثرة السؤال (ح ٧٢٩٣)، (٤/ ٣٦٢).

عِنْدَهُ، وقال: «لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَانَا- أَوْ: لَوْلَا أَنَّا نُهِينَا- أَنْ يَتَكَلَّفَ أَحَدُنَا لِصَاحِبِهِ لَتَكَلَّفْنَا لَكَ»(١).

وقال ﷺ: «**لَا يَتَكَلَّفَنَّ أَحَدٌ لِضَيْفِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ**»(٢).

والتكلف مذموم في الشرع، وهو السبب في قلة الزيارات، كما قيل: «إِنَّمَا تَقَاطَعَ النَّاسُ بِالتَّكَلُّفِ»(٣). إلا أنه ليس هناك حد معتبر لقولنا: هذا فيه تكلف، أو ليس فيه تكلف، وإنما المرجع في ذلك إلىٰ العرف، فما تعارف الناس علىٰ أمرٍ وأعدوه تكلفًا فهو تكلف، وما لا فلا. ويختلف باعتبار الضيف والمضيف، وصُنع الطعام للضيف يكون بالقدر الذي يفي بالمقصود بلا إسراف ولا تقتير، وخير الأمور أوسطها.

قد جاء في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**»(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (ح ٢٣٧٣٣) (٣٩/ ١٣٦). وقال محققو المسند (٣٩/ ١٣٦): «حديث محتمل للتحسين بمجموع طرقه». ورواه الحاكم في المستدرك (٦/ ٩١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد بمثل هذا الإسناد». وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ٢٤٤٠)، (٥/ ٥٧٠): «لكن الحديث قوي بمجموع هذه الطرق، ولاسيما يشهد له عموم حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «نُهينا عن التكلف».

(٢) رواه البيهقي في شُعب الإيمان، باب في إكرام الضيف (رقم ٩٥٩٩) (٧/ ٩٤) من حديث سلمان رضي الله عنه. قال الألباني كما في صحيح الجامع (ح ٧٦٠٨)، (٢/ ١٢٦١): «حسن»، انظر: السلسلة الصحيحة (ح ٢٤٤٠) (٥/ ٥٦٨).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في قرىٰ الضيف (ص ٤٥) عن المفضَّل؛ وصِيَ جعفر بن بُرْقانَ.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنين (ح ٥٣٩٢)، (٣/ ٤٣٤)، ومسلم- واللفظ له- في كتاب الأشربة، باب فضل المواساة في الطعام القليل (ح ٢٠٥٩)، (٣/ ١٦٣٠).

قال الغزالي: «وأما آداب التقديم: فترك التكلف أولًا، وتقديم ما حضر؛ فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك؛ فيشوش علىٰ نفسه، وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم؛ فلا ينبغي أن يقدم...، وكان الفضيل يقول: إنما تقاطع الناس بالتكلف، يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه. وقال بعضهم: ما أبالي بمن أتاني من إخواني؛ فإني لا أتكلف له، إنما أقرب ما عندي، ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته...»(١).

وقال ابن عثيمين: «إكرام الضيف بما جرت به العادة يختلف باختلاف الضيف والمضيف، فأما المضيف فلقوله تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]، فإذا نزل شخص ضيفًا علىٰ رجلٍ غني فإنه يُكرمه بما وسَّع الله عليه، وإذا نزل بإنسان فقير فيُكرمه بما قدر عليه، فقد ينزل هذا الرجل علىٰ شخص غني، ويكون إكرامه بأن يذبح له ذبيحة، ويدعو مَنْ حوله، وقد ينزل علىٰ آخر ويكون إكرامه له أن يقدم له صحنًا من التمر؛ لأن الأول عنده مال، وهذا فقير، كذلك باعتبار الضيف، فالضيوف ليسوا علىٰ حد سواء، ينزل بك ضيف، صاحب لك، ليس بينك وبينه شيء من التكلف فتكرمه بما يليق به، وينزل عليك ضيف كبير عند الناس في ماله، وفي علمه، أو في سلطانه، فتكرمه بما يليق به، وينزل عليك شخص من سِطَة الناس تكرمه -أيضًا- بما يليق به»(٢).

١٠- إحضار الطعام بين يدي الضيف:

لقوله تعالىٰ: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات: ٢٧]. قال ابن عاشور: «ومعنىٰ (قرَّبه)

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٢).

(٢) الشرح الممتع علىٰ زاد المستقنع لابن عثيمين (١٥/ ٤٩).

وضعه قريبًا منهم، أي: لم ينقلهم من مجلسهم إلىٰ موضع آخر، بل جعل الطعام بين أيديهم. وهذا من تمام الإكرام للضيف»(١).

وقال السعدي: «أنَّه قرَّبه إليهم في المكان الذي هم فيه، فلم يجْعله في موضع ويقولُ لهم: تفضَّلوا، أو ائتوا عليه؛ لأنَّ هذا أيسر وأحسن»(٢).

وهنا مسألة: هل نقول: إن السُّنة والأفضل أن الإنسان إذا دعا ضيوفًا أو أتاه ضيوف أن يقربه إليهم في مجلس الجلوس؟ أو نقول هذا يختلف باختلاف الأحوال؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: «الثاني هو الأفضل؛ لأن عموم قول الرسول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»(٣) يدل علىٰ أنك تكرمهم بما جرت به العادة في إكرامهم به، عندنا الآن إذا عزمت أصحابك وأصدقاءك وهم قلة فلا يُعدِّون تقديم الطعام- مثلًا- في المجلس إهانة؛ لأنهم إخوانك وأصدقاؤك، الأدب بينكم متسامح فيه، لكن لو نزل بك ضيف أو دعوت ضيفًا ليس بينك وبينه الصلة التي يسقط بها كما يقال الأدب، فإنه في عرفنا الآن ليس من إكرامه أن تقدم الطعام في محل الجلوس، اللهم إلا لضرورة إذا لم يكن عندك مكان، الآن الإكرام أن تجعل الطعام في مكان، ثم إذا أردت أن يأكلوا تقول: تفضلوا، ألا تتفضلون أو نغير المجلس، أو ما أشبه ذلك من الكلمات المتداولة، فالمهم أن قوله تبارك وتعالى عن إبراهيم: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]. ينبغي أن يُجعل هذا حسب

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٣٥٩). انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٨/ ١٨٤)، والرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٩٩).

(٣) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في المبحث الثاني: مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم (ص: ١١).

عادة الناس، إذا كان من الإكرام أن تأتي بالطعام إلىٰ محل جلوسهم فَأْتِ به، وإذا كان من الإكرام أن تجعله في مكان آخر فافعل، دليل ذلك قوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**».»(١).

١١- ومن أدب الضيافة أن المضيف له أن ينظر في ضيفه، مسارقة لا بتحديد النظر، هل يأكل أم لا:

لقوله تعالىٰ عن إبراهيم مع أضيافه: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود:٧٠]، وذلك ينبغي أن يكون بتلفت أو مسارقة لا بالتدقيق وتحديد النظر.

قال أبوحيان: «وينبغي أن ينظر من الضيف هل يأكل أَوْ لَا، ويكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر؛ لأن ذلك مما يجعل الضيف مقصرًا في الأكل»(٢).

وقال ابن عطية: «وذلك ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر، فروي أن أعرابيًّا أكل مع سليمان بن عبد الملك، فرأىٰ سليمان في لقمة الأعرابي شعرة فقال له: أزل الشعرة عن لقمتك، فقال له: أتنظر إليَّ نظر من يرىٰ الشَّعر في لقمتي، والله لا أكلت معك»(٣).

١٢- ومن أدب الضيافة أن يقوم الضيف بحماية ضيفه من الأذى القولي والفعلي:

لقوله تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

وحق علىٰ الرجل إكرام ضيفه، وكانوا يتعيرون بإهانة الضيف، ويعدُّون ذلك مذلة

(١) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٤٣).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٨٠)، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٥).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٢٨/ ١٧٧).

لمضيفه، فخزي الضيف خزي للمضيف؛ لأن الضيافة جوار عند رب المنزل، فإذا لحقت الضيف إهانة كانت عارًا علىٰ رب المنزل[1].

١٣- استحباب إيثار الضيف على نفسه وعياله:

لقوله تعالىٰ: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦﴾ [الذاريات:٢٦].

قال ابن القيم- في معرض تعداده وبيانه لثناء الله تعالىٰ علىٰ إبراهيم في قصة استضافته الملائكة-: «العاشر: إنه سمين لا هزيل، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يُتخذ للاقتناء والتربية، فآثر به ضِيفانه»[2].

وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم[3]، فَبَعَثَ إِلَىٰ نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَضُمُّ- أَوْ يُضِيفُ- هَذَا»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَىٰ امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً[4]،

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٢/ ٥٠٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/ ٣٨٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/ ١١٧).

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٢٧٣).

(٣) في لفظ: «فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ» أي: مهزول جائع. جامع الأصول لابن الأثير (٩/ ٧٤).

(٤) وفي لفظ: «فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ» وتعليل الطفل: وعده وتسويفه وتمنيته، وشغله عما يراد صرفه عنه. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٩/ ٧٤).

فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ- أَوْ عَجِبَ- مِنْ فَعَالِكُمَا»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩][1].

هذه جملة من آداب المضيف الواردة في القرآن الكريم، وهناك آداب أخرىٰ وردت في السنة والآثار[2]، منها:

- السهر والسمر لإكرام الضيف، وهو مستحب، وقد بوَّب البخاري في صحيحه، فقال: «بَابُ السَّمَرِ مَعَ الضَّيْفِ وَالْأَهْلِ»، وساق تحته حديثًا طويلًا عن عبدالرحمن بن أبي بكر في سهر أبي بكر رضي الله عنه، وذكر فيه قصة أضياف من فقراء أهل الصُّفة، حملهم أبوبكر إلىٰ منزله، وأمرهم أن يطعموهم، وبقي أبوبكر عند النبي ﷺ حتىٰ تعشىٰ، ومضىٰ من الليل ما شاء، فلما جاء قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أَوَمَا عشَّيتهم؟ قالت: أبوا حتىٰ تجيء، قال: فذهبت أنا فاختبأت، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ[3] فَجَدَّعَ

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] (ح ٣٧٩٨)، (٣/ ٤٢)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح ٢٠٥٤)، (٣/ ١٦٢٤).

(٢) انظر: آدابًا أخرىٰ للضيافة -غير ما ذُكر- في إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٠)، وروضة العقلاء لابن حبان (ص ٢٦١)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢/ ١١٦ فما بعدها)، والموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٢٨/ ٣١٧).

(٣) بثاء مفتوحة ومضمومة لغتان، وهو: الثقيل الوخيم. وقيل: هو الجاهل، مأخوذ من الغثارة وهي الجهل. وقيل: هو السفيه مأخوذ من الغثر، وهو اللؤم. و(جدع) أي: دعا بالجدع وهو قطع الأنف وغيره من الأعضاء. انظر: شرح النووي علىٰ مسلم (١٤/ ١٩)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٩٧- ٥٩٨).

وَسَبَّ، وذكر الحديث بطوله[(١)].

- أن يُشيِّع ضيفه عند خروجه إلىٰ باب الدار، وهذا الأدب وإن لم يثبت في القرآن ولا في خبر مرفوع صحيح يعول عليه[(٢)]، إلا أنه داخل ضمن المبالغة في إكرام الضيف، وحسن ضيافته ومعاملته، وكمال الأدب معه، وقد أُمرنا بإكرامه. وأيضًا قال الحافظ ابن حجر- في شرح حديث أنس عن أبي طلحة قال: سمعت صوت النبي ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، قال: فانطلق أبوطلحة حتىٰ لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتىٰ دخلا...الحديث[(٣)]-: «ويوخذ من قصة أبي طلحة أن من أدب من يضيف أن يخرج مع الضيف إلىٰ باب الدار تكرمة له»[(٤)].

وإنما وردت آثار من سلف الأمة وأئمتهم في تشييع الضيف إلىٰ باب الدار، نقتصر علىٰ واحد منها:

زار أبوعبيد القاسم بن سلَّام الإمام أحمد بن حنبل...، قال أبوعبيد: «فلما

---

(١) رواه البخاري في مواقيت الصلاة وفضلها، باب السمر مع الضيف والأهل (ح ٦٠٢)، ومسلم في الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح ٢٠٥٧).

(٢) جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من السُّنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلىٰ باب الدار»، رواه ابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الضيافة (ح ٣٣٥٨)، (٢/ ١١١٤)، وابن أبي الدنيا في «قرىٰ الضيف» (ص ٤٢)، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٢٢٦): «رواه ابن ماجه وغيره بإسناد ضعيف»، وحكم الألباني بوضعه كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٢٨٠)، (ح ٢٥٨)، وضعيف ابن ماجه (ص ٢٧١)، (ح ٧٣٤).

(٣) رواه البخاري في باب علامات النبوة في الإسلام (ح ٣٥٧٨)، (٤/ ١٩٣)، ومسلم في الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلىٰ دار من يثق برضاه بذلك (ح ٢٠٤٠)، (٣/ ١٦١٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٥٢٨). انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢٦/ ٩٥).

أردت القيام قام معي، قلت: لا تفعل يا أبا عبدالله، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلىٰ باب الدار، وتأخذ بركابه»[1].

- وإذا حضر المدعوون وتأخر واحد أو اثنان عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل أولىٰ من حقها في التأخير، إلا أن يكون المؤخر فقيرًا ينكسر قلبه بذلك، فلا بأس به[2].

المطلب الثاني: آداب الضيف:

وردت- أيضًا- جملة من الآداب للضيف في القرآن الكريم، ينبغي أن يراعيها الضيف عملًا بالهدي القرآني الكريم، واحتسابًا للأجر والمثوبة، وردًّا علىٰ إحسان مضيفه بالإحسان، وحتىٰ يكتمل عقد الآداب من الطرفين: المضيف والضيف، ومن هذه الآداب:

١- مشروعية سلام الضيف على المضيف قبل الكلام:

كما في قصة أضياف إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود: ٦٩].

قال السعدي: «أي: سلموا عليه، وردَّ عليه السلام، ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام قبل الكلام»[3]. وقال في موضع آخر: «وإنَّما

---

(١) ذكره ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ١٥٢)، وابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٢٢٧).

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢٦/ ٩٥)، والنجم الوهاج في شرح المنهاج للدميري (٧/ ٣٨٩)، ومغني المحتاج للشربيني (٤/ ٤١٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/ ٣٧٧).

سلكوا طريق الأدب في ابتداء السلام»[١].

٢- من آداب الضيافة أن يأكل الضيف من طعام رب المنزل، ويبادر إلى ذلك حتى يطمئن رب المنزل إليه، ويأنس به:

ويدل علىٰ هذا أن إبراهيم عليه السلام لما رأىٰ أضيافه لا يأكلون من طعامه أضمر منهم خوفًا أن يكون معهم شر؛ لأنهم خرجوا عن العادة، فقال الله: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ﴾ [الذاريات:٢٨] وفي الآية الأخرىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾ [هود:٧٠]، فلما علموا منه ذلك قالوا: ﴿لَا تَخَفۡ﴾ [هود:٧٠].

قال ابن عطية: «إن أكل الضيف أمنة ودليل علىٰ انبساط نفسه، والطعام حرمة وذمام[٢]. والامتناع منه وحشة. فخشي إبراهيم عليه السلام أن امتناعهم من أكل طعامه إنما هو لشر يريدونه، فقالوا له: ﴿لَا تَخَفۡ﴾ [هود: ٧٠]»[٣].

٣- ومن الآداب أن يحفظ الضيف حق المؤاكلة:

لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾ [هود: ٧٠]، وقوله سبحانه: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات:٢٨].

قال الرازي في تفسير الآية: «أدب الضيف أنه إذا أكل حفظ حق المؤاكلة، يدل عليه أنه خافهم حيث لم يأكلوا»[٤].

---

(١) المرجع السابق (٥/ ٩٨).

(٢) الذمام: كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة. وعلىٰ الرفيق من الرفيق ذِمام، أي: حِشْمة؛ أي: حقّ. انظر: العين للفراهيدي (٨/ ١٧٩) (ذم). وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ٢٩٨- ٣٠٠) (ذم).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥/ ٢١٤).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٩/ ١٨٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٥).

وقال الألوسي: «...وللطعام حرمة وذمام، والامتناع منه وحشة موجبة لظن الشر»[(١)].

وما من شك أن هذا من الوفاء وحسن العهد وحفظ الجميل لأهله، وهو أدب عظيم، وخلق رفيع، يدل علىٰ أصالة المعدن، وحسن النشأة، وسمو النفس، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل، وإن الله ﷻ قد حث علىٰ الإحسان إلىٰ من أحسن إلينا، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص:٧٧]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]. وعدَّه النبي ﷺ من الإيمان فقال: «**وإن حسن العهد من الإيمان**»[(٢)].

٤- اعتذار الضيف لمضيفه بعبارة حسنة إذا كان الطعام لا يصلح له:

لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات: ٢٨].

قال ابن عادل[(٣)]: «ومن آداب الضيف إذا حضره الطعام ولم يكن يصلح له

---

(١) روح المعاني للألوسي (٢٧/ ١٣)، انظر: جامع البيان للطبري (١٢/ ٤٧١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٥)، والرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٨)، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٥١٠)، وتفسير النسفي (٢/ ١٩٧)، والنكت والعيون للماوردي (٥/ ٣٦٩)، وأيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٣٢١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٢)، وصححه علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شُعب الإيمان (١١/ ٣٧٨). وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٤١٣) (٢٠٥٦). انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٤٢٥).

(٣) هو: عمر بن علي، الشهير بابن عادل الحنبلي الدمشقي، الإمام العالم الفاضل. صنَّف التفسير المسمىٰ اللباب في علم الكتاب، وهو من أحسن التفاسير، مشحون بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي (ص ٤١٨- ٤١٩)، والأعلام للزركلي (٥/ ٥٨).

لكونه مضرًّا به، أو يكون ضَعِيفَ القوة عن هضم ذلك الطعام فلا يقول: هذا طعام غليظ لا يصلح لي، بلْ يأتي بعبارة حسنة، ويقول: بي مانع من أكل الطعام، لأنهم أجابوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾، ولم يذكروا في الطعام شيئًا، ولا أنه يضرّ بهم بل بشّروه بالولد إشعارًا بأنهم ملائكة»(١).

٦،٥- ومن الآداب: عدم الدخول إلا بإذن. ومن الآداب أيضًا -وهو أدب أدَّب الله به الثقلاء-:

عدم البقاء بعد الانتهاء من الطعام، إلا إذا كان البقاء برغبة صاحب المنزل:

ورد هذان الأدبان في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وجاء في حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا الْقَوْمَ فَطَعِمُوا، ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، قَالَ: فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ، قَامَ مَنْ قَامَ مِنَ الْقَوْمِ، قَالَ: فَقَعَدَ ثَلَاثَةٌ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ لِيَدْخُلَ، فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا، قَالَ: فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا. قَالَ: فَجَاءَ حَتَّىٰ دَخَلَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَلْقَىٰ الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ -إِلَىٰ قَوْلِهِ-: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣﴾ [الأحزاب:٥٣]»(٢).

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٨/ ٨٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب النّكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب (ح ١٤٢٨)، (٢/ ١٠٤٨).

قال الطبري: «﴿فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب:٥٣] يقول: فإذا أكلتم الطعام الذي دُعيتم لأكله فانتشروا، يعني: فتفرقوا واخرجوا من منزله»(١).

وقال الرازي: «فوردت الآية جامعة لآداب، منها:المنع من إطالة المكث في بيوت الناس»(٢).

وقال ابن عاشور: «وكذلك البقاء بعد انقضاء الطعام، فإنه تجاوز لحد الدعوة؛ لأن الدعوة لحضور شيء تقتضي مفارقة المكان عند انتهائه؛ لأن تقييد الدعوة بالغرض المخصوص يتضمن تحديدها بانتهاء ما دُعي لأجله، وكذلك الشأن في كل دخول لغرض من مشاورة أو محادثة أو سمر أو نحو ذلك، وكل ذلك يتحدَّد بالعُرف وما لا يثقل علىٰ صاحب المحل»(٣).

وقال الشوكاني في تفسير الآية: «فنهىٰ الله المؤمنين عن ذلك في بيت النبي ﷺ، ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله لهم في ذلك، فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل لا قبله لانتظار نضج الطعام»(٤).

وقال السعدي: «أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام. وأيضًا ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أي: منتظرين استواءه، ومتحينين نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه. والمعنىٰ: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا بشرطين: الإذن

(١) جامع البيان للطبري (١٩/ ١٦٠).
(٢) التفسير الكبير للرازي (٢٥/ ١٩٤).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢ / ٨٣).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٩٨)، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٢٢٥)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٢٢٣).

لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب:٥٣] أي: قبل الطعام وبعده»[(١)].

فلا ينبغي المكث بعد الطعام إلا أن يكون رب البيت يرغب في بقائهم، أو أن تكون عادة القوم كذلك، ولم يكن هناك مشقة ولا أذىٰ فلا بأس بذلك؛ لأن العلة التي من أجلها جاء النهي انتفت.

ومن الآداب المتعلقة بالضيف أيضًا: أن النبي ﷺ كان إذا أكل طعامًا عند قومٍ دعا لهم بعد الفراغ منه[(٢)]، فعن أنسٍ أن النبي ﷺ جاء إلىٰ سعد بن عبادة، فجاء بخبز وزيت، فأكل ثم قال النبي ﷺ: «**أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ**»[(٣)].

وفيه -أيضًا- من حديث المقداد رضي الله عنه قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فأتينا النبي ﷺ...-فذكر الحديث بطوله- وفيه: أن النبي ﷺ قال: «**اللهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي**»[(٤)].

وروىٰ عبدالله بن بُسر رضي الله عنه قال: نزل رسول الله ﷺ علىٰ أبي، قال: فقربنا إليه

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٤/ ١٦٥).

(٢) انظر: إكمال المعلم لعياض (٦/ ٥٢٥)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٣/ ٢٢٦).

(٣) رواه أبوداود في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام (ح ٣٨٥٤)، (٤/ ١٨٩)، وقال النووي في الأذكار (ص ٢٧٦): «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح ٣٢٦٣)، (٢/ ٧٣٠).

(٤) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح ٢٠٥٥)، (٣/ ١٦٢٥).

طعامًا وَوَطبةً[١]، فأكل منها، ثم أُتِي بتمر، فكان يأكله ويلقي النوىٰ بين إصبعين، ويجمع السبابة والوسطىٰ، ثم أُتِي بشراب فشربه، ثم ناوله الذي عن يمينه، قال: فقال أبي وأخذ بلجام دابته: ادع الله لنا. فقال: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ**»[٢].

- ورد في السنة- أيضًا- أن الضيف يقول لمن استضافه إذا تبعه رجل لم يُدعَ: «**إِنّ هَذَا اتّبَعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ**»؛ كما في حديث أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ أَبُو شُعَيْبٍ، وَكَانَ لَهُ غُلاَمٌ لَحّامٌ، فَرَأَىٰ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَعَرَفَ فِي وَجْهِهِ الجُوعَ، فَقَالَ لِغُلاَمِهِ: وَيْحَكَ، اصْنَعْ لَنَا طَعَامًا لِخَمْسَةِ نَفَرٍ، فَإِنّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعوَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم خَامِسَ خَمْسَةٍ، قَالَ: فَصَنَعَ، ثُمّ أَتَىٰ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم فَدَعَاهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، وَاتّبَعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمّا بَلَغَ البَابَ قَالَ النّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: إِنّ هَذَا اتّبَعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ. قَالَ: لاَ، بَلْ آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ الله»[٣].

قال القرطبي: «فاستأذن صاحب المكان تطييبًا لقلبه، وبيانًا للمشروعية في ذلك»[٤].

---

(١) وَطبة- بالواو وإسكان الطاء وبعدها باء موحدة- هي: الحيس، يجمع بين التمر والأقط والسمن. النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٠٣)، مادة (وطب).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب وضع النوىٰ خارج التمر، واستحباب دعاء الضيف لأهل الطعام (ح ٢٠٤٢)، (٣/ ١٦١).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الرجل يتكلف الطعام لإخوانه (ح ٥٤٣٤)، (٣/ ٤٤٢)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب ما يفعله الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام، واستحباب إذن صاحب الطعام للتابع (ح ٢٠٣٦)، (٣/ ١٦٠٨).

(٤) المفهم لأبي العباس القرطبي (٥/ ٣٠٢)، انظر: صحيح مسلم للنووي (١٣/ ٢٠٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ٧٠٢- ٧٠٣).

وقال ابن مفلح: «ويستحب لصاحب الطعام أن يأذن له، ما لم يكن في حضوره مفسدة»[1].

- **ومن آداب الضيف:** ألا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه، وألا يجلس في مقابلة حجرة النساء وسترهن، ولا يُكثر النظر إلىٰ الموضع الذي يخرج منه الطعام[2]. وغير ذلك.

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ١٧٢).

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢٦/ ٩٥)، والنجم الوهاج في شرح المنهاج للدميري (٧/ ٣٨٩)، ومغني المحتاج للشربيني (٤/ ٤١٢).

المبحث الثالث

حكم الضيافة في القرآن الكريم

ذهب جماعة من المفسرين إلىٰ أن قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، نزل في الضيافة.

قال مجاهد: «هو الرجل ينزل بالرجل فلا يُحسن إليه، فقد رخص الله له أن يقول فيه»(١).

وقد رجح الطبري أن عموم الآية يتناول من لم يَقْرِ الضيف، فقال في تفسير الآية: «لا يحب الله- أيها الناس- أن يجهر أحد لأحد بالسوء من القول ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ بمعنىٰ: إلا من ظُلِم فلا حرج عليه أن يخبر بما أُسيء عليه. وإذا كان ذلك معناه، دخل فيه إخبار من لم يُقْرَ، أو أسيء قِراه، أو نِيل بظلم في نفسه، أو ماله عنوةً من سائر الناس. وكذلك دعاؤه علىٰ من ناله بظلم أن ينصره الله عليه، لأن في دعائه عليه إعلامًا منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له»(٢).

بعد الاتفاق علىٰ مشروعية الضيافة اختلف أهل العلم في حكمها علىٰ أقوال، أهمها قولان:

القول الأول: أن الضيافة واجبة. وهو رواية عن الإمام أحمد، وبه قال طائفة

(١) رواه عنه الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٢٨)، وذكره عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٤٣).
انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٦٤٤).
(٢) جامع البيان للطبري (٧/ ٦٣١- ٦٣٢).

من العلماء، ومنهم الليث بن سعد[1]؛ مستدلين بالآية السابقة، وقالوا: لأن الظلم ممنوع منه فدلَّ علىٰ وجوبها[2].

قال ابن كثير: «وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلىٰ وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل»[3].

ومدة الضيافة الواجبة يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام. قال ابن قدامة: «والواجب يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام لِمَا روىٰ أبوشريح الخزاعي[4]. ونص الحديث: عن أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهْوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**»[5].

وقال ابن القيم: «إن للضيف حقًّا علىٰ مَن نزل به، وهو ثلاث مراتب: حق

(١) انظر: التمهيد لابن عبدالبر (٢١/ ٤٣)، والمجموع للنووي (٩/ ٥٧)، والمغني لابن قدامة (١٣/ ٣٥٢)، جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٣٥٦- ٣٦٠)، والموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٢٨/ ٣١٦).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٧/ ٦٢٨)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٥٤٩)، وأحكام القرآن لابن الفرس (٢/ ٢٩١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/ ٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٤٣)، والتفسير المنير للزحيلي (٦/ ٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٤٢٠).

(٤) المغني لابن قدامة (١٣/ ٣٥٣).

(٥) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب حق الضيف (ح ٦١٣٥)، ومسلم- واللفظ له- في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها (ح ١٤).

واجب، وتمام مستحب، وصدقة من الصدقات، فالحق الواجب: يوم وليلة، وقد ذكر النبي ﷺ المراتب الثلاثة في الحديث المتفق علىٰ صحته من حديث أبي شريح الخزاعي...»[(١)]. وساق الحديث.

ومن أدلتهم -أيضًا- من السُّنة:

١- قوله ﷺ: «**ليلة الضيف واجبة علىٰ كل مسلم، فإن أصبح بفنائه محرومًا، كان دينًا له عليه، إن شاء اقتضاه، وإن شاء تركه**»[(٢)].

قال ابن القيم: «وهو دليل علىٰ وجوب الضيافة»[(٣)].

وقال الشوكاني: «فهذا تصريح بالوجوب، لم يأتِ ما يدل علىٰ تأويله»[(٤)].

٢- ما جاء عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تَبْعَثُنَا، فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلا يَقْرُونَنَا، فَمَا تَرَىٰ؟ فَقَالَ لَنَا: «**إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ، فَأُمِرَ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ**»[(٥)].

---

(١) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٦٥٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ٤٠٩، ح ١٧١٧٢). وقال محققو المسند (٢٨/ ٤٠٩): «إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين». ورواه أبوداود في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة (ح ٣٧٥٠)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب حق الضيف (ح ٣٦٧٧). وقال النووي في المجموع (٩/ ٥٧): «رواه أبوداود بإسناد صحيح»، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٢٩٧، ح ٢٩٦٦).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٤/ ٣٨٥).

(٤) نيل الأوطار للشوكاني (٨/ ١٥٧).

(٥) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب قصاص المظلوم (ح ٢٤٦١)، ومسلم في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها (ح ١٧٢٧).

ووجه الدلالة: حيث جاء في الحديث إباحة العقوبة بأخذ المال لمن ترك ذلك، وهذا لا يكون في غير واجب، فلو لم تجب لم يأمر النبي ﷺ بالأخذ[1].

٣- قوله ﷺ: «... **ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»[2].

قال الشوكاني -حول هذا الحديث- بأن فيه: «التأكيد البالغ يجعل ذلك فرعَ الإيمان بالله واليوم الآخر، ويفيد أنَّ فعل خلافه فعل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ومعلوم أن فروع الإيمان مأمور بها، ثم تعليق ذلك بالإكرام، وهو أخص من الضيافة، فهو دال علىٰ لزومها بالأولىٰ»[3].

وقال محمد بن عثيمين: «فحكم الضيافة واجب، وإكرام الضيف- أيضًا- واجب، وهو أمر زائد علىٰ مطلق الضيافة، قال النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»، أي: من كان يؤمن إيمانًا كاملًا فليكرم ضيفه...»[4].

والقول الثاني: ذهب الجمهور إلىٰ أن الضيافة سُنة، ومن مكارم الأخلاق، وليست واجبة، وبه قال الحنفية، والمالكية، والشافعية، ورواية عن أحمد[5].

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني (٨/ ١٥٧)، منار السبيل لابن ضويان (٢/ ٤٢٠).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في المبحث الثاني: مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم (ص ١٧٨).

(٣) نيل الأوطار للشوكاني (٨/ ١٥٧).

(٤) الشرح الممتع علىٰ زاد المستقنع لابن عثيمين (١٥/ ٤٨).

(٥) انظر: الاستذكار لابن عبدالبر (٢٦/ ٣٠٨- ٣٠٩)، والمجموع شرح المهذب للنووي (٩/ ٥٧)، والمغني لابن قدامة (١٣/ ٣٥٣)، وعمدة القاري للعيني (٢٢/ ١٧٣- ١٧٤)، وفتاوىٰ قاضيخان بهامش الهندية (٣/ ٤٠١)، والبيان والتحصيل لابن رشد(١٨/ ٢٨١)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٢٨/ ٣١٦).

ونسبه بعض أهل العلم بأنه قول الجمهور، وعامة أهل العلم[(١)].

قال النووي: «الضيافة سُنة، فإذا استضاف مسلم لا اضطرارَ به مسلمًا استُحِب له ضيافته، ولا تجب»[(٢)].

ومن أدلتهم من السنة:

١- قوله ﷺ في حديث أبي شريح السابق: «**فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**»، قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**» فالجائزة تفضل وإحسان، وعطية وصلة، وليست واجبة[(٣)].

٢- قوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»[(٤)]. عبّر بالإكرام، وهو ليس بواجب، قال القرطبي: «وإكرام الجار ليس بواجب إجماعًا، فالضيافة مثله»[(٥)].

٣- ما رواه البخاري[(٦)] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «انطلق

---

(١) كالنووي في المجموع (٩/ ٥٧)، وابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ٢٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٦٤).

(٢) المجموع شرح المهذب للنووي (٩/ ٥٧)، وروضة الطالبين للنووي (٢/ ٥٥٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ١٦٦).

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (ح ٦٠١٩)، (٨/ ١١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان (ح ٤٧) (١/ ٦٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٤).

(٦) في صحيحه، في كتاب الإجارة، باب ما يُعطىٰ في الرقية (ح ٢٢٧٦)، ومسلم في كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجر علىٰ الرقية بالقرآن والأذكار (ح ٢٢٠١).

نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتىٰ نزلوا علىٰ حي من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم».

قال ابن العربي: «فقوله في هذا الحديث: (فاستضفناهم فأبوا أن يضيفونا) ظاهر في أن الضيافة لو كانت حقًّا لَلَامَ النبي ﷺ القوم الذين أبوا، وبيَّن لهم ذلك»[(١)].

والراجح- والله أعلم- أن ضيافة المسافر المجتاز- لا المقيم- واجبة، وأن وجوبها علىٰ أهل القرىٰ، والأمصار، دون تفريق؛ لقوة ما استدلوا به.

قال محمد بن عثيمين في شرحه لمتن زاد المستقنع: «قوله[(٢)]: «وتجب ضيافة المسلم»، «تجب» هذا بيان حكم الضيافة...، قوله: «المجتاز به» يعني: الذي مرَّ بك وهو مسافر، وأمَّا المقيم فإنه ليس له حق ضيافة، ولو كان المقيم له حق الضيافة لكان ما أكثر المقيمين الذين يقرعون الأبواب! فلابد أن يكون مجتازًا، أي: مسافرًا ومارًّا، حتىٰ لو كان مسافرًا مقيمًا يومين، أو ثلاثة، أو أكثر، فلا حق له في ذلك، بل لابد أن يكون مجتازًا.

قوله: «في القُرىٰ» دون الأمصار، والقُرىٰ: البلاد الصغيرة، والأمصار: البلاد الكبيرة، قالوا: لأن القُرىٰ هي مظنة الحاجة، والأمصار بلاد كبيرة فيها مطاعم وفنادق وأشياء يستغني بها الإنسان عن الضيافة، وهذا- أيضًا- خلاف القول الصحيح؛ لأن الحديث عامّ، وكم من إنسان يأتي إلىٰ الأمصار، وفيها الفنادق، وفيها المطاعم، وفيها كل شيء، لكن يكرهها ويربأ بنفسه أن يذهب إليها، فينزل

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢١).

(٢) المراد: الإمام الحجاوي ؒ- صاحب متن زاد المستقنع- حيث قال: «وتجب ضيافة المسلم المجتاز به في القُرىٰ يومًا وليلةً».

ضيفًا علىٰ صديق، أو علىٰ إنسان معروف، فلو نزل بك ضيف، ولو في الأمصار، فالصحيح الوجوب»(١).

وأما الضيافة فيما زاد علىٰ الثلاثة أيام فهي صدقة من الصدقات لظاهر حديث أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه المتقدِّم وفيه: قَالَ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهْوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**»(٢).

فقوله: «**فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهْوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**» ظاهر في ذلك.

---

(١) الشرح الممتع علىٰ زاد المستقنع لابن عثيمين (١٥/ ٤٨- ٥١).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في أول هذا المبحث (ص ٢٠٩).

الخاتمة

توصل البحث إلى عدد من النتائج يحسن ذكرها في الخاتمة، ولعل من أبرزها:

١- الآداب السامية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية التي تُظهر جوانب من عظمة هذا الدين الحنيف؛ لتقويم حياة الناس، وتمييز المسلمين عن غيرهم؛ وتُظهر كمال هذه الشريعة وشموليتها لجميع مناحي الحياة.

٢- أن الدين أدب كُلُّه، والتمسك بالآداب الشرعية يقود إلىٰ التمسك بالدين كله.

٣- أن إكرام الضيف من القيم النبيلة، ومن العادات العريقة المحمودة للعرب في جاهليتهم، وجاء الإسلام بإقرارها وتهذيبها، وبيان حكمها، وجعل لها من الآداب الرفيعة ما يرفع درجتها.

٤- أن الضيافة والإحسان إلىٰ الضيف وإكرامه من خلق الأنبياء والمرسلين، ومن محاسن الدين، ومن مكارم الأخلاق التي جاء الإسلام بإتمامها.

٥- تضافرت النصوص من الكتاب والسنة علىٰ فضل الضيافة والإطعام، وبيان أنها من شيم الكرام، وربطها رسول الله ﷺ بكمال الإيمان.

٦- منع القِرَىٰ عن الضيف مذموم في الإسلام، وعلىٰ كل الألسن، وصاحبه ملوم.

٧- ورد في كتاب الله آداب جمَّة للضيافة، وعلىٰ قدر تحلي المضيف والضيف بها ومراعاتها يكتمل الإحسان بينهما، وتتم الضيافة علىٰ أحسن وجه، وهي أشرف

الآداب إطلاقًا، وما عداها من التكلفات إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفىٰ بهذه الآداب القرآنية شرفًا وفخرًا لمن تمسك بها.

٨- أن حق الضيف علىٰ مَن نزل به علىٰ ثلاث مراتب: حق واجب لمدة يوم وليلة، وحق مستحب لمدة ثلاثة أيام، وصدقة من الصدقات بعد ثلاثة أيام.

٩- الراجح- والله أعلم- أن ضيافة المسافر المجتاز- لا المقيم- واجبة، وأن وجوبها علىٰ أهل القرىٰ والأمصار دون تفريق.

هذا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

ثبتُ المصادرِ والمراجع

١- القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢- أحكام القرآن، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبدالقادر عطا، ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية (١٤٠٨هـ).

٣- إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، بيروت: دار المعرفة.

٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبدالله، شمس الدين المقدسي الرامينىٰ ثم الصالحي الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ)، عالم الكتب.

٥- الأذكار، النووي، محيي الدين أبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ط٢، الرياض، دار الهدىٰ (١٤٠٩هـ).

٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية (١٤٠٧هـ).

٧- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسىٰ اليحصبي، تحقيق: د. يحيىٰ إسماعيل، ط١، دار الوفاء، (١٤١٩هـ).

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ناصر الدين الشيرازي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٨هـ).

٩- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، جابر بن موسىٰ بن عبدالقادر بن جابر، ط٥، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم (١٤٢٤هـ).

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، محمّد بن محمّد(ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١١- التحرير والتنوير »تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد«، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، تونس: دار سحنون للنشر.

١٢- التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦)، بيروت: مكتبة لبنان، (١٩٨٥م).

١٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي السلامة، ط١، دار طيبة (١٤١٨هـ).

١٤- التفسير الكبير، أو (مفاتيح الغيب)، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي أبو عبدالله (ت: ٦٠٦هـ). ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ).

١٥- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفىٰ (ت: ١٣٧١هـ)، ط١، مصر: مطبعة مصطفىٰ البابىٰ وأولاده (١٣٦٥هـ).

١٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله أبوعمر (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفىٰ العلوي، ومحمد البكري، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.

١٧- تهذيب اللغة، للأزهري، محمد بن أحمد الهروي أبي منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي (٢٠٠١م).

١٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله (ت: ١٣٧٦هـ)، تقديم: محمد زهري النجار، جدة: دار المدني.

١٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني أبي السعادات (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، التتمة تحقيق: بشير عيون، ط١، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، دار البيان (١٣٨٩هـ).

٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، تحقيق: د. عبدالله

التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط١، دار هجر للطباعة (١٤٢٢هـ).

٢١- الجامع الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، مراجعة وضبط: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وقصي محب الدين الخطيب، ط١، مصر: المكتبة السلفية (١٤٠٠هـ).

٢٢- جامع العلوم والحكم، ابن رجب، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٢٢هـ).

٢٣- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبدالله الأنصاري، ط٢، دار الفكر.

٢٤- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام علىٰ خير الأنام، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ)، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤٠٥هـ).

٢٥- الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلىٰ ربه) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: د. محمد جميل غازي، جدة: مكتبة المدني.

٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين السيد محمود أبو الفضل البغدادي، ضبطه وصححه: علي عبدالباري عطية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ).

٢٧- روضة الطالبين، النووي، محيي الدين يحيىٰ بن شرف أبو زكريا (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي محمد معوض، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٢هـ).

٢٨- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، ط١٤،

بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٠٧هـ).

٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، ط٤، بيروت: المكتب الإسلامي (١٤٠٥هـ).

٣١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي.

٣٢- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث الأزدي، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، ط١، بيروت: دار الحديث.

٣٣- سنن ابن ماجه، القزويني، محمد بن يزيد أبو عبدالله، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: المكتبة العلمية.

٣٤- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) أبو عيسىٰ الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤٠٨هـ).

٣٥- سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٠٢هـ).

٣٦- شرح صحيح مسلم، النووي، محيي الدين يحيىٰ بن شرف أبو زكريا (ت: ٦٧٦هـ)، دار الكتاب العربي(١٤٠٧هـ).

٣٧- الشرح الممتع علىٰ زاد المستقنع، العثيمين، محمد بن صالح(ت:١٤٢١هـ) ط١، دار ابن الجوزي(١٤٢٢- ١٤٢٨هـ).

٣٨- شُعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالعلي حامد، بإشراف: مختار الندوي، ط١، الرياض: مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند (١٤٢٣ه- ٢٠٠٣م).

٣٩- صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا، القلقشندي، أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٠- صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٤١- صحيح سنن أبي داود، للألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، ط١، المكتب الإسلامي (١٤٠٩هـ).

٤٢- صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، ط١، المكتب الإسلامي (١٤٠٨هـ).

٤٣- صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن حجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٤٤- ضعيف ابن ماجه، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، ط١، المكتب الإسلامي (١٤٠٨هـ).

٤٥- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تحقيق: محمد باسل، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٧هـ).

٤٦- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد أبو العون الحنبلي (ت:١١٨٨هـ)، ط٢، مصر: مؤسسة قرطبة (١٤١٤هـ).

٤٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد أبو الفضل العسقلاني، مكة المكرمة: دار الفكر للطباعة والنشر، والمكتبة التجارية لمصطفى الباز (١٤١٤هـ).

٤٨- فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، بيروت: دار الفكر (١٤٠٣هـ).

٤٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ط١، مصر: المكتبة التجارية الكبرى (١٣٥٦هـ).

٥٠- قرى الضيف، ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد أبي بكر البغدادي الأموي القرشي

(ت:٢٨١هـ)، تحقيق: عبدالله بن حمد المنصور، ط١، الرياض، السعودية: أضواء السلف (١٤١٨هـ).

٥١- كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت:١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.

٥٢- الكشاف، الزمخشري، محمود بن عمر أبو القاسم، رتبه: مصطفىٰ أحمد، ط٣، دار الكتاب العربي (١٤٠٧هـ).

٥٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق الثعلبي، أحمد بن محمد (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي (١٤٢٢هـ).

٥٤- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) تلكفوي، أيوب بن موسىٰ الحسيني أبي البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤١٩هـ).

٥٥- لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ط١، دار صادر (١٣٧٤هـ).

٥٦- لقاء الباب المفتوح، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١هـ)، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ].

٥٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، علي بن أبي بكر، بيروت: دار الفكر، ودار الكتب العلمية (١٤٠٨هـ).

٥٨- المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، النووي، يحيىٰ بن شرف أبو زكريا (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر.

٥٩- مجموع الفتاوىٰ، لشيخ الإسلام بن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.

٦٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبدالحق بن غالب أبي محمد

الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مكتبة ابن تيمية (١٤١٣هـ).

٦١- مختار الصحاح، للرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر أبو عبدالله الحنفي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، الدار النموذجية (١٤٢٠هـ).

٦٢- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي (١٣٩٣هـ).

٦٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، عبدالله بن أحمد أبو البركات (ت: ٧١٠هـ)، حققه: يوسف علي بديوي، قدم له: محيي الدين مستو، ط١، بيروت: دار الكلم الطيب (١٤١٩هـ).

٦٤- المستدرك علىٰ الصحيحين، الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله، وبذيله التلخيص للذهبي، بإشراف: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، بيروت: دار المعرفة.

٦٥- المسند، الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، ط٣، دار المعارف.

٦٦- المسند، الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، بإشراف: د. عبدالله التركي، ط١، مؤسسة الرسالة (١٤٢١هـ).

٦٧- مسند الروياني، أبو بكر محمد بن هارون، تحقيق: أيمن أبويماني، ط١، القاهرة: مؤسسة قرطبة (١٤١٦هـ).

٦٨- معالم السنن، الخطابي، حمْد بن محمد أبي سليمان البستي، ط١، حلب: المطبعة العلمية (١٣٥١هـ).

٦٩- المغرب في ترتيب المعرب، المُطَرِّزِيّ، ناصر بن عبدالسيد أبو الفتح الخوارزمي (ت: ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي.

٧٠- المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، ط١،، الرياض: مكتبة الرشد (١٤٠٩هـ).

٧١- المفردات في غريب القرآن، الراغب، الحسين بن محمد أبي القاسم، تحقيق: صفوان الداودي، ط١، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية (١٤١٢هـ).
٧٢- المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، أبو العباس القرطبي، أحمد بن عمر الأنصاري، تقديم وتحقيق: د. عبدالهادي النازي، الرباط، المغرب: مطبعة الكرامة (١٤٢٦هـ).
٧٣- مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي السيد، القاهرة: مكتبة القرآن.
٧٤- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية (الأجزاء: ١- ٢٣: ط٢، الكويت: دارالسلاسل، الأجزاء: ٢٤- ٣٨: ط١، مصر: مطابع دار الصفوة، الأجزاء: ٣٩ - ٤٥: ط٢، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية).
٧٥- النكت والعيون، للماوردي، علي بن محمد، المحقق: السيد بن عبدالمقصود، بيروت: دار الكتب العلمية.
٧٦- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، المبارك بن محمد، تحقيق: الطناجي والزاوي، ط٢، دار الفكر (١٣٩٩هـ).
٧٧- نيل الأوطار شرح منتقىٰ الأخبار، الشوكاني، محمد بن علي اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١، دار الحديث، مصر (١٤١٣هـ).
٧٨- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، علي بن أحمد أبي الحسن (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود وزملائه، قدمه وقرظه: عبدالحي الفرماوي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ).

References and Sources

1. ***The Holy Quran***, al-Madinah al-Nabawiyyah Musḥaf for Computer Publishing, King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex.
2. ***Ahkamul Quran***, Ibn al-Arabi, Abu Bakr Mohammed ibn Abdullah, reviewed its origins, invistgated its hadiths and commented by: Mohammed Abd al-Qadir Atta, 1st edition, Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1408 AH).
3. ***Ehiyaa Oloum Al-Din***, Al-Ghazali, Abu Hamid Mohammed bin Mohammed Al-Tusi (died.: 505 AH), Beirut: Dar Al-Maarifah.
4. ***Al-Adaabu a'shariyah, Ibn Muflih***, Mohammed bin Muflih bin Mohammed bin Mufarrej, Abu Abdullah, Shams al-Din al-Maqdisi al-Ramini, then al-Salihi al-Hanbali (died: 763 AH), Alam Alkotob .
5. ***Al-Azkar,*** Al-Nawawi, Muhyi Al-Din Abi Zakaria Yahya Bin Sharaf Al-Nawawi, investigation: Abdul Qadir Al-Arnaout, 2nd Edition, Riyadh, Dar Al-Huda (1409 AH).
6. ***Elamul-Mowaqein a'n Rabul-alameen***, Ibn Qayyim al-Jawziyya, Shamsu-Ddin Abu Abdullah Mohammed ibn Abi Bakr, investigation: Mohammed Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Sidon, Beirut: Al-Maqtabah Al-Asriyya (1407 AH).
7. ***Ekmalul-Moaleim bi-Fawaed Mulsim***, Al-Qadi Iyadh, Abu Al-Fadl Iyadh bin Musa Al-Yahsabi, investigation: Dr. Yahya Ismail, 1st edition, Dar Al-Wafa, (1419 AH).
8. ***Anwaru-tanzil wa Asraru-Taweel***, Al-Baydawi, Nasser Al-Din Al-Shirazi, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (1408 AH).
9. ***The Easiest Interpretations of the Words of The Almighty***, Abu Bakr al-Jaza'iri, Jaber bin Musa bin Abdul Qadir bin Jaber, 5th edition, Medina, Saudi Arabia: Maktabat Al-Oloum wal-Hekam (1424 AH).
10. ***Tajul-Arous m'n Jawaher Al-Qamous***, by Al-Zubaidi, Mohammed bin Mo-

hammed (Died: 1205 AH), investigation by a group of investigators, Dar Al-Hedaya.

11. ***Al-Tahreer wal-tanweer*** *"Editing the Right Meaning and New Enlightening the Mind by the Interpretation of the Glorious Book"*, Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Ashour, Tunisia: Sahnoun Publishing House.
12. ***Al-Tarifat, Al-Jurjani***, Ali bin Mohammed bin Ali Al-Zein Al-Sharif (died. 816), Beirut: Library of Lebanon, (1985 AD).
13. ***Tafseerul-Quran Al- Azeem***, Ibn Katheer, Ismail bin Omar, investigation: Sami Al-Salama, 1st edition, Dar Taiba (1418 AH).
14. ***Al-trafseer Al-Akabeer***, or (Mafatihul-Ghaib), Al-Razi, Mohammed bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taimi Abu Abdullah (DIED: 606 AH) – 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (1411 AH).
15. ***Tafseer Al-Maraghi***, Ahmed bin Mustafa (died. 1371 AH), 1st Edition, Egypt: Mustafa Al-Babi and Sons Press (1365 AH).
16. ***Al-Tamheed lima fil-Muttaa m'na al-Maani wal-Asaneed,*** Ibn Abd al-Bar, Youssef bin Abdullah Abu Omar (died.: 463 AH), investigation: Mustafa Al-Alawi and Mohammed Al-Bakri, Morocco: Ministry of All Endowments and Islamic Affairs.
17. Tahzeeb al-lughah, by Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed Al-Harawi Abi Mansour (died.: 370 AH), Investigated by: Mohammed Awad Mereb, 1st Edition, Beirut: dar Ihia Alturathu Al-Arabi (2001 AD).
18. ***Tayseer Al-Karim Al-Rahman fi Tafseer Kalam Al-Mannan***, Al-Saadi, Abdurrahman bin Nasser bin Abdullah (Died.: 1376 AH), presented by: Mohammed Zuhri Al-Najjar, Jeddah: Dar Al-Madani.
19. ***Jamul-Osoul fi Ahadith Al-Rasoul***, by Ibn Al-Atheer, Al-Mubarak bin Mohammed Al-Shaibani Abi Al-Saadat (Died: 606 AH), investigation: Abdul-Qadir Al-Arnaout, the sequel, Investigated by: Bashir Oyoun, 1st Edition, Al-Halawani Bookstore, Al-Mallah Press, Dar Al-Bayan (1389 AH).
20. ***Jami' al-Bayan a'n Taweel Aye Al-Quran*** , al-Tabari, Mohammed bin Jarir Abu Jaafar, investigation: Dr. Abdullah Al-Turki, in cooperation with the Center for Arab and Islamic Research and Studies, Dar Hajar, 1st edition, Dar Hajar for Printing (1422 AH).
21. ***Al-Jami Al-Sahih, Al-Bukhari***, Mohammed bin Ismail Abu Abdullah, re-

view and control: Muhib Al-Din Al-Khatib, Mohammed Fouad Abdul-Baqi, and Qusai Muhib Al-Din Al-Khatib, 1st Edition, Egypt: The Salafi Bookstore (1400 AH).

22. ***Jameu Al-Oloum wal-Hekam***, Ibn Rajab, Zainu Ddin Abdurrahman bin Ahmed bin Rajab bin Al-Hassan Al-Hanbali (Died: 795 AH), investigation: Shuaib Al-Arnaout, and Ibrahim Bagis, 7th edition, Beirut: Al-Resala Foundation (1422 AH).
23. ***Al-Jamei Li-Ahkam al-Quran***, Al-Qurtubi, Mohammed bin Ahmed Abu Abdullah Al-Ansari, 2nd Edition, Dar Al-Fikr.
24. ***Jalau' al-Afham fi-Salati wa-Salam ala-Khairul-Anam, Ibn Qayyim al-Jawziyya***, Mohammed ibn Abi Bakr ibn Ayoub ibn Saad Shamsu Ddin (Died: 751 AH), 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1405 AH).
25. ***Al-Resalah Al-Taboukiayah" (Zad Al-Mosafer)*** Ibn Qayyim Al-Jawziyah, Mohammed bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad Shams Al-Din (Died: 751 AH), investigation: Dr. Mohammed Jamil Ghazi, Jeddah: Al-Madani Library.
26. ***Ruhul-Maani fi-Tafseer Al-Quran Al-Azeem wa-Assabeul-Mathani***, Al-Alusi, Shihab Al-Din Al-Sayyid Mahmoud Abu Al-Fadl Al-Baghdadi, edited and corrected by: Ali Abdel-Bari Attia, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (1415 AH).
27. ***Rawdat Al-Talibeen, Al-Nawawi,*** Muhyi Al-Din Yahya bin Sharaf Abu Zakaria (Died: 676 AH), investigation: Adel Abdel-Mawgoed, and Ali Mohammed Moawad, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (1412 AH).
28. ***Rawdat Al-Okalaa wa-Nohat Al-Fodalaa***, Mohammed Ibn Habban Ibn Ahmad Ibn Habban Ibn Muadh Ibn Ma`bad al-Tamimi, Abu Hatim al-Darami al-Busti (d.: 354 AH), investigation: Mohammed Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
29. ***Zadul-Maad fi-Hadi Khairu el-Ebad,*** Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Din Mohammed ibn Abi Bakr, verified the texts, extracted the hadiths and commented by: Shuaib al-Arnaout and Abd al-Qadir al-Arna'oot, 14th edition, Beirut: Foundation of the Resala (1407 AH).
30. ***Series of Authenticated Hadiths***, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 4th Edition, Beirut: The Islamic Office (1405 AH).

31. ***Series of Weak and Fabricated Hadiths***, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 2nd edition, Beirut: The Islamic Bureau.
32. ***Sunan Abi Dawood,*** Abu Dawood Al-Sijistani, Sulaiman bin Al-Ashaath Al-Azdi, prepared and commented by: Ezzat Obaid Al-Daas, and Adel Al-Sayed, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Hadith.
33. ***Sunan Ibn Majah***, Al-Qazwini, Mohammed bin Yazid Abu Abdullah, investigation: Mohammed Fouad Abdel-Baqi, Beirut: Al-Maktabah Al-Elmiyyah.
34. ***Sunan al-Tirmidhi (Al-Jameiu Al-Sahih),*** Abu Issa al-Tirmidhi, Mohammed bin Issa bin Surah, investigated and explained: Ahmad Mohammed Shakir, 1st Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1408 AH).
35. ***Siyar Alaam Al-Nobalaa,*** Al-Dhahabi, Mohammed bin Ahmed bin Othman, 2nd Edition, Beirut: Al-Resala Foundation (1402 AH).
36. ***Sharh Sahih Muslim,*** Al-Nawawi, Muhyi al-Din Yahya bin Sharaf Abu Zakaria (Died: 676 AH), Dar al-Kitab al-Arabi (1407 AH).
37. ***Al-Sharhu al-Mumti' al Zadu al-Mustaqna***, Al-Uthaymeen, Mohammed bin Saleh (Died: 1421 AH) 1st edition, Ibn al-Jawzi House (1422-1428 AH).
38. ***Shu'ab Al-Iman,*** Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein Abu Bakr (d.: 458 AH), investigation: Abdul Ali Hamid, under the supervision of: Mukhtar Al-Nadawi, 1st edition, Riyadh: Al-Rushd Library in cooperation with the Salafi House in Bombay, India (1423 AH - 2003 AD).
39. ***Sobh Al-Asha fi Senaatu Al-Inshaa***, Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali (Died: 821 AH), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
40. ***Sahih al-Jamiu al-Sagheer wa-Edafatoh***, al-Albani, Mohammed Nasir al-Din ibn al-Hajj Nuh ibn Najati ibn Adam, al-Ashqudari Abu Abd al-Rahman (Died: 1420 AH), the Islamic Office.
41. ***Sahih Sunan Abi Dawood***, by Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 1st edition, The Islamic Office (1409 AH).
42. ***Sahih Sunan Ibn Majah***, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din Bin Al-Hajj Noah Bin Najati Bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 1st edition, The Islamic Office (1408 AH).
43. ***Sahih Muslim***, Al-Nisaburi, Muslim bin Hajjaj, investigation: Mohammed

Fouad Abdel-Baqi, Dar Ihiya Al-Kotub Al-Arabiyah

44. ***Weak Hadiths of Ibn Majah***, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 1st edition, The Islamic Office (1408 AH).
45. ***Umdat al-Hoffaz fi Tafeeir Ashraf al-Alfaz***, Al-Samin Al-Halabi, Ahmed bin Youssef, investigation: Mohammed Basil, 1st Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1417 AH).
46. ***Ghezaau Al-Albab fi Sharhu Manzoumatu Al-Aadab***, Al-Saffarini, Shams Al-Din Mohammed bin Ahmed Abu Al-Awn Al-Hanbali (Died: 1188 AH), 2nd Edition, Egypt: Cordoba Foundation (1414 AH).
47. ***Fathu el-Bari Sharhu Sahih Al-Bukhari,*** Al-Hafiz Ibn Hajar, Ahmed bin Ali bin Mohammed bin Ahmed Abu Al-Fadl Al-Asqalani, Makkah Al-Mukarramah: Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, and Mustafa Al-Baz Commercial Bookstore (1414 AH).
48. ***Fat'hu al-Qadir,*** Al-Shawkani, Mohammed bin Ali al-Yamani (Died: 1250 AH), Beirut: Dar al-Fikr (1403 AH).
49. ***Fayd Al-Qadeer***, Sharh al-Jami al-Saghir, al-Manawi, Zain al-Din Mohammed, called Abd al-Raouf ibn Taj al-Arifin ibn Ali ibn Zain al-Abidin al-Hadadi, then al-Manawi al-Qahiri (Died: 1031 AH), 1st edition, Egypt: The Great Trade Bookstore (1356 AH).
50. ***Qira Al-Dhaif***, Ibn Abi Al-Doniya, Abdullah bin Mohammed Abi Bakr Al-Baghdadi, the Umayyad Al-Qurashi (Died: 281 AH), investigation: Abdullah bin Hamad Al-Mansour, 1st edition, Riyadh, Saudi Arabia: Adwau' Al-Salaf (1418 AH).
51. ***Kitab Al-Ain***, Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed (Died: 170 AH), investigated by: Mahdi Al-Makhzoumi, and Ibrahim Al-Samarrai, Dar Al-Hilal.
52. ***Al-Kashshaf***, Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar Abu Al-Qasim, arranged by: Mustafa Ahmed, 3rd edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi (1407 AH).
53. ***Al-Kashf wal-Bayan fi Tafseer Al-Quran***, Abi Is'haq Al-Thalabi, Ahmed bin Mohammed (Died: 427 AH), investigation: Mohammed bin Ashour, reviewed by: Nazeer Al-Saadi, 1st edition, Beirut: Dar Ihiyau Al-Turath Al-Arabi (1422 AH).
54. ***Al-Kolliyat*** (A Dictionary of Terminology and Linguistic Differences) Telk-

afwi, Ayoub bin Musa Al-Husseini Abi Al-Baqa Al-Hanafi (Died: 1094 AH), investigation: Adnan Darwish, and Mohammed Al-Masri, 2nd edition, Beirut: Al-Resala Foundation (1419 AH).

55. ***Lisan Al-Arab***, Ibn Manzoor, Jamal Al-Din Mohammed Bin Makram, 1st edition, Dar Sader (1374 AH).

56. ***Open Door Meeting***, Al-Uthaymeen, Mohammed bin Saleh bin Mohammed (Died: 1421 AH), [meetings Sheikh used to hold at his home every Thursday. It began at the end of Shawwal 1412 AH and ended on Thursday, Safar 14, 1421 AH].

57. ***Majma' al-Zawa'id wa Masdaru el-Fawaid***, by Al-Haythami, Ali bin Abi Bakr, Beirut: Dar al-Fikr, and Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1408 AH).

58. ***Al-Majmou Sharh Al-Muhadhab*** (*with the complement of Al-Subki and Al-Mutaie*), Al-Nawawi, Yahya bin Sharaf Abu Zakaria (Died: 676 AH), Dar Al-Fikr.

59. ***Majmou Al-Fatawa, Sheikhu el-Islam ibn Taymiyyah***, Ahmed bin Abdul Halim, compiled and arranged by Abdurrahman bin Mohammed bin Qasim.

60. ***Al-Mohariru el-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab el-Azeez,*** Ibn Attia, Abd al-Haq bin Ghalib Abi Mohammed al-Andalusi, investigation: Academic Board in Fez, Ibn Taymiyyah Library (1413 AH).

61. ***Mukhtar al-Sihah,*** al-Razi, Zainu al-Din Mohammed ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir Abu Abdullah al-Hanafi (Died: 666 AH), investigation: Youssef Sheikh Mohammed, 5th edition, Sidon, Beirut: Al-Mataba al-Asriya, Al-Dar Al-Tamaziah (1420 AH).

62. ***Madarij al-Salikeen,*** Ibn Qayyim al-Jawziyya, investigation: Mohammed al-Faki, 2nd edition, Dar al-Kitab al-Arabi (1393 AH).

63. ***Madariku e-Tanzeel wa-Haqaiqu a-Taweel,*** Al-Nasafi, Abdullah bin Ahmed Abu Al-Barakat (Died: 710 AH), investigated by: Youssef Ali Badawi, presented to him by: Mohieddin Misto, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kalim Al-Tayyib (1419 AH).

64. ***Al-Mustadrak ala As'sahihain***, Al-Hakim Al-Nisaburi, Mohammed bin Abdullah, and his tail is the summary of Al-Dhahabi, under the supervision of: Youssef Abdul Rahman Al-Mara'ashli, Beirut: Dar Al-Maarifa.

65. ***Al-Musnad,*** Al-Shaibani, Ahmed bin Mohammed bin Hanbal (Died: 241

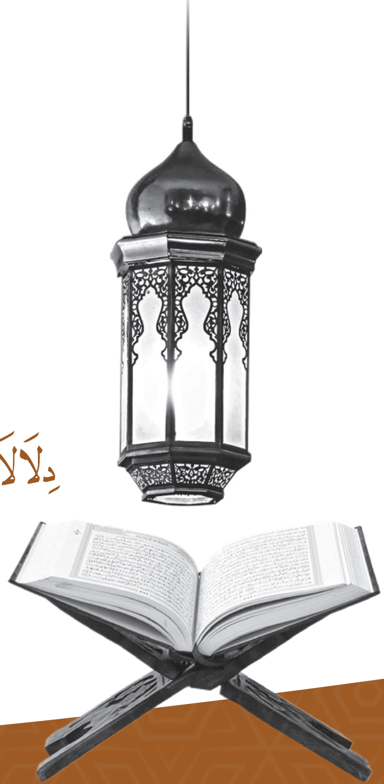
AH), investigation: Ahmed Shaker, 3rd edition, Dar Al-Maaref.

66. ***Al-Musnad,*** Al-Shaibani, Ahmed bin Mohammed bin Hanbal (Died: 241 AH), investigation: Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid, et al, under supervision of: Dr. Abdullah Al-Turki, 1st Edition, Al-Resala Foundation (1421 A.H.).
67. ***Musnad Al-Ruyani,*** Abu Bakr Mohammed bin Harun, investigation: Ayman Abu Oymani, 1st edition, Cairo: Cordoba Foundation (1416 AH).
68. ***Maalim al-Sunan,*** Al-Khattabi, Hamad bin Mohammed Abi Suleiman al-Basti, 1st edition, Aleppo: Academic Press (1351 AH).
69. ***Al-Maghrib fi tarteeb Almoarrab***, Al-Mutarzi, Nasser bin Abdul-Sayed Abu Al-Fath Al-Khwarizmi (died: 610 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi.
70. ***Al-Musannaf fi Al-Ahadith wal- Athar,*** Ibn Abi Shaybah, investigation: Kamal Al-Hout, 1st Edition, Riyadh: Al-Rushd Bookstore (1409 AH).
71. ***Al-Mofradat fi Gharibu el-Quran***, Al-Ragheb, Al-Hussein bin Mohammed Abi Al-Qasim, investigated by: Safwan Al-Daoudi, 1st edition, Damascus, Beirut: Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya (1412 AH).
72. ***Al-Mofhim li'ma Oshkila m'n Talkhisi Sahihi Muslim***, Abu Al-Abbas Al-Qurtubi, Ahmed Bin Omar Al-Ansari, introduced and verified by: Dr. Abd al-Hadi al-Nazi, Rabat, Morocco: Al-Karama Press (1426 AH).
73. ***Makarim Al-Akhlaq,*** Ibn Abi Al-Dunya, Abdullah bin Mohammed (Died: 281 AH), investigation: Magdi Al-Sayed, Cairo: Quran Library.
74. ***Kuwaiti Encyclopedia of Jurisprudence,*** issued by: The Ministry of Endowments and Islamic Affairs (Parts: 1-23: 2nd Edition, Kuwait: Dar Al-Silsil, Parts: 24-38: 1st Edition, Egypt: Dar Al-Safwa Press, Parts: 39-45: 2nd Edition, Kuwait: Ministry of Endowments and Islamic Affairs).
75. ***Al-Nokat wal-Eyoun,*** Al-Mawardi, Ali Bin Mohammed, Investigated: Al-Sayyid Bin Abdul-Maqsoud, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmiyya.
76. ***Al-Nehayah fi Gharib Al-Hadith***, Ibn Al-Atheer, Al-Mubarak bin Mohammed, investigated by: Al-Tanaji and Al-Zawi, 2nd Edition, Dar Al-Fikr (1399 AH).
77. ***Nailu Al-Awtar, Sharhu Muntaqa Al-Akhbar,*** Al-Shawkani, Mohammed bin Ali Al-Yamani (Died: 1250 AH), investigation: Essam Al-Din Al-Sababati, 1st Edition, Dar Al-Hadith, Egypt (1413 AH).
78. ***Al-Waseet fi Tafseer Al-Quran Al-Majeed,*** Al-Wahidi, Ali bin Ahmed Abi

Al-Hassan (Died: 468 AH), investigation: Adel Abdul-Mawgoud and his colleagues, presented and reviewed by: Abdul-Hay Al-Farmawi, 1, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmiyya (1415 AH).

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



دلالات أفعال خلق الأكوان والإنسان في ضوء القرآن

"بثَّ، وأحيا، وأنبت، وأخرج، وجعل، ونشر"

نماذج تطبيقية

د. الأمير محفوظ محمد إبراهيم

قدم للنشر في: ١٤٤١/١٢/١١
قبل للنشر في: ١٤٤٢/٢/١١
نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- حاصل على درجة التخصص الماجستير في قسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، بأطروحته: «منهج الدعوة الإسلامية في وضع التدابير الواقية لعلاج البطالة».
- حاصل على درجة العالمية الدكتوراه في قسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، بأطروحته: «مسلمو أهل الكتاب في مصر في القرن العشرين وأثرهم في الدعوة».

النتاج العلمي:

١- «علاقة الكتب السماوية بالعلم وموقف العلماء منها وآثارها المترتبة».

٢- «الكفايات الدعوية - المدعو نموذجًا تطبيقيًّا».

٣- «قراءة صحيفة المدينة في ضوء فقه المواطنة».

٤- «رسالة مدح السعي وذم البطالة لابن كمال باشا - دراسة وتحقيق».

٥- سِلسلة بعنوان: (من وعي الأمة والمجتمع) وقد صدر لي منها: «فروض الكفاية وأثرها في تنمية الفرد والمجتمع»، و«الوسطية في الإسلام»، و«العقائد والمعتقدات وأثرها في المجتمع».

المُستَخلَص

إن دراسة الأفعال القرآنية الدالة علىٰ الخلق والإيجاد موضوع متشعب له منزلة كبيرة في الفكر الإسلامي ينالها مِن إسنادها إلىٰ الله تعالىٰ؛ إذ تحمل من الحكم والعبر والعظات لكل مكلَّف راشد، فضلًا عما تحمل من دلالة إعجاز القرآن فهو معجزة النبي العقلية القائمة إلىٰ يوم القيامة، فهي باقية حية خالدة شاهدة بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، فهذه دراسة بعنوان: (**دَلَالَاتُ أَفْعَال خَلْقِ الأكوان والإنسان في ضوء القرآن - بثَّ وأحيَا وأنبت وأخرج وجعل ونشر نَمَاذج تطبيقية**).

- **أسباب دراسة أفعال الخلق والإيجاد:** تدور بين العلم والإيمان؛ لضياع بوصلة الإيمان من بعض شبابنا المعاصر فيحتاج الفكر الإسلامي اليوم لإظهار دلالاتها.

- **أهداف الدراسة:** كثيرة، ومن أهمها: إظهار الدلالة علىٰ الإيمان بالله مالك القُوىٰ وخالق الخلق من محض العدم.

- **منهج الدراسة هو:** المنهج الوصفي التحليلي.

- **نتائج الدراسة:** توصلت إلىٰ إثبات العقائد، وإظهار المنن الربانية، والرد المفحم علىٰ الملحد منكر البعث.

- أوصت الدراسة عموم الباحثين بالبحث في المفردة القرآنية بصفة عامة، والمفردة الدالة علىٰ أفعال القرآن الكريم الدالة علىٰ الخلق والإيجاد بصفة أخص، وهي مستفيضة فيه.

- **الكلمات المفتاحية:** (أفعال الخلق - الدلالة)، و(بثَّ - وأحيَا - وأنبت) وهي من النَّمَاذج التطبيقية التي تناولتها في هذه الدراسة الحالية.

pure nothingness.

The study uses the descriptive analytical method.

• The findings of the study: it reaches some conclusions that prove creeds, bring to light the divine bestowals and blessings and make a compelling response to those who repudiate Final Resurrection.

• The study recommends that all researchers should explore the Quranic vocabulary in general and the verbs denoting creation and origination in particular.

Keywords:

Verbs of creation- semantics- scatter-revive-cause to grow

The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models

by
Dr. Al-Amir Mahfouz Mohammad Abu Aisha
One of the scholars of Al-Azhar

Abstract

The study of the Quranic verbs that refer to creation and origination is a complex topic that receives considerable attention in Islamic thought on the basis that they are attributed to Allah, the Almighty. They contain axioms and lessons for every responsible adult. These verbs also reveal the inimitability of the Quran as the top miracle of the Prophet's that will last until the Day of Resurrection. This paper is entitled "The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models"

• The rationale for studying the verbs of creation and origination: the study is carried out for science and religious purposes because some of our contemporary young people have become less faithful and Islamic thought is in dire need of elucidating the implications and meanings of these verbs.

• The main objective of the study is to show evidence of belief in Allah, the omnipotent who creates all beings and creatures out of

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ قائد الغُرِّ المحجَّلين، المبعوث رحمة للعالمين بوحي معجز، وبعد.. فإن القرآن الكريم خير الكلام، وأطيب الكلم، وهو كلام الله -تعالىٰ- الذي لا تَـملُّ الألسن من ترديد ألفاظه، ولا تكَلُّ الآذان من تكرار سماعه، ولا تسأم القلوب من التفكر في حكمة ألفاظه ومبانيه؛ للوقوف علىٰ غزارة معانيه، إذ دعانا الله لقراءته، وتكرير ترتيله، وحضَّنا علىٰ فهمه وتدبره، وأمرَنا بالعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه.

إن (الأفعال الدالة علىٰ الخلق) موضوع الدراسة لها منزلة كبيرة في العقيدة الإسلامية يظهر جليًّا في نسبتها إلىٰ الله ﷻ إذ تحمل من الشواهد والأدلة علىٰ عقيدة كلِّ مكلف راشد، كما تحمل دلالة هادية للحائرين، فضلًا عما تحمل من دلالة إعجاز القرآن فهو معجزة النبي ﷺ مستمرة في خطاب عقلاء بني آدم إلىٰ يوم القيامة، فهي باقية حية خالدة شاهدة بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، فهذه دراسة بعنوان: (**دلَالَاتُ أَفْعَال خَلْقِ الأكوان والإنسان في ضوء القرآن - بثَّ وأحيا وأنبت وأخرج وجعل ونشَر نماذج تطبيقية**).

◆ حدود الدراسة:

أولًا: لوحظ بعد تدبر القرآن المجيد وجود أفعالٍ قرآنية شريفة تدل علىٰ عموم خلق وإيجاد الأكوان والإنسان، وهي: (**بثَّ، وأحيَا، وأنْبَت، وأَخرَج، وجعَل، ونَشَر**)، بعدما سبقت دراسة سبعة أفعال للخلق والإيجاد، هي: (**خَلَق،**

وصوَّر، وسوَّىٰ، وأَنْشَأ، وفَطَر، وذَرَأ، وبرَأ)، مستخرجًا دلالاتها الإيمانية، مبينًا وجه التحدي وإعجاز البشرية به، مكتفيًا بها؛ (إذ ليس المقصود استقصاء جميع أفعال القرآن الدالة علىٰ الخلق)[١].

ثانيًا: تبين لي -بعد البحث والتدبر في القرآن- وجود أفعالٍ قرآنية للخلق تدل علىٰ خصوص خلق وإيجاد الإنسان، وهي: (**عدَل، وركَّب، وجمع، وكسَا**)، كما وُجدت أفعالٌ تدل علىٰ خصوص خلق الأكوان في النشأة الأولىٰ، وهي: (**بَنا، ودحا، وطحا، وصنع، وأتقن**) كما لوحظ وجود أفعالٍ تدل علىٰ إعادة عموم خلق الله تعالىٰ وهما فعلان: (**بعث وأعاد**)[٢]، وإن بقية الأفعال الدالة علىٰ الخلق في جملتها تدل علىٰ عموم إتقان الصنع، وتجويد إحداث الخلق، فآيات القرآن تنص علىٰ خلق الأنفس والآفاق، وما فيها من حكمة الله تعالىٰ حيث يكون تحت كل فعل دلالة أو إشارة تتعلق بالإعجاز العلمي في الكتاب الكريم، ومعلوم كثرة الأفعال الدالة علىٰ الخلق الواردة في القرآن، والقصد معقود علىٰ دراسة بقية الأفعال الدالة علىٰ الخلق، واستقرائها علىٰ سبيل التمام.

دوافع دراسة الأفعال القرآنية الدالة على الخلق:

أولًا: فوائد دراسة الأفعال القرآنية الدالة علىٰ الخلق والإيجاد تنمي العلم

(١) أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتُها د. الأمير محفوظ محمد، مجلة تدبر التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس، السنة الثالثة في شهر رجب سنة (١٤٤٠هـ) مارس (٢٠١٩)، (ص: ٣٥٧).

(٢) سأتناول هذه الأفعال -إن شاء الله- فِي حدود الدراسة، فإذا ضاق المقام فسوف أتناول بقية الأفعال الدالة علىٰ الخلق والإيجاد في دراسة أخرىٰ، بغية استخراج مواطن دلالاتها علىٰ الإعجاز في فعل الخلق والإيجاد من عدم.

والإيمان؛ وذلك لضياع بوصلة الإيمان من بعض شبابنا المعاصر فيحتاج الفكر الإسلامي اليوم لإظهار دلالاتها لثبوت ما ينكره بعض الملاحدة اليوم، فمن فوائد الدراسة ما يلي:

١- الإيمان بالله تعالىٰ، حيث يجمعها جميعًا أنها أفعال الله ﷻ خالق الأكوان والإنسان بما تحمل من دعوة للتحدي بالأفعال الدالة علىٰ الخلق والإيجاد من عدم، وثبوت إعجاز البشرية عن ذلك، وما تحمل من عقائد أساسية واجبة التسليم، كعقيدة البعث بعد الموت، وإعادة الخلق.

٢- يدعو لدراسة الأفعال الدالة علىٰ الخلق غزارة معانيها اللغوية ودلالاتها، فيدل علىٰ ضرورة دراسة دلالاتها العلمية، وهذا مجال أهل الذكر في كافة مجالات العلم الطبيعي.

ثانيًا: أن الخلق والأمر لله تعالىٰ وحده، قال تعالىٰ: ﴿لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وليس لأحدٍ سواه خلْقُ شيء، أو أمرٌ بشيء لا علىٰ سبيل المشاركة أو المعاونة لله تعالىٰ في ذلك، ولا علىٰ سبيل الاستقلال من دون الله؛ فإن الخلق خلقه، والأمر أمره.

ثالثًا: دلالة أفعال الخلق والإيجاد علىٰ مواطن الامتنان الرباني علىٰ كافة العباد؛ إذ أوجد الإنسان من عدم، ومنحه الحواسَّ والمهارات المختلفة؛ فدراسة الأفعال القرآنية الدالة علىٰ الخلق تظهر، وتبرز مواطن امتنان الله علىٰ الإنسان؛ لبيان استحقاق الله الخالق للتوحيد والعبادة، وليشكر الله -تعالىٰ- علىٰ نعمائه وآلائه متفكرًا فيها، قال تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

أهداف دراسة أفعال الخلق والإيجاد:

من أهداف دراسة أفعال الخلق والإيجاد إظهار دلالتها، وفوائدها الفرعية المستفادة؛ لأن كل فعل له دلالة عامة، وأخرىٰ خاصة من حيث الجملة، وهي:

الدلالة الأولىٰ: عامة تشترك جميع أفعال الخلق والإيجاد كلها فيها سواء؛ وهي الدلالة علىٰ خلق الله تعالىٰ، وإيجاد الأكوان والإنسان من عدم علىٰ السواء، ولو كانت دلالة علىٰ سبيل الإجمال؛ لأن هذا غرض أصلي هو بيان الخلق والإيجاد.

الدلالة الثانية: دلالة خاصة بذات كل فعل للخلق؛ بحكم الدلالة اللغوية التي قد تتعدد، فيفيد الفعل الواحد عدة معانٍ: **الأولىٰ**: الخلق والإيجاد، **والثانية**: خصوص معنىٰ معين فيه حيث تتنوع الدلالة الخاصة، وتختلف من فعل دالٍّ علىٰ الخلق إلىٰ آخر.

الدلالة الثالثة: تعدد الفوائد الفرعية المستفادة من الأفعال الدالة علىٰ الخلق، فثمَّة غرض فرعي هو إبراز وإظهار مواضع الامتنان؛ لذا قال تعالىٰ: ﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]، وقد سبقت الإشارة إليه.

وهناك غرض فرعي آخر يتمثل في توجيه الخلق إلىٰ أن عملية الخلق سواء قبل خروج الإنسان من بطن أمه للحياة، أو بعد خروجه، وكذلك بيان أحوال تنميته وتغذيته كجسم نامٍ باستمرار؛ لذا قال: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [ق: ٨] وهو دليل عناية الله بخلقه.

وهناك غرض فرعي ثالث يبدو في توجيه إثبات البعث بعد الموت، فتلك دلالة علىٰ توالي عناية الخالق بخلقه بعد الميلاد؛ كدلالة بينها جميعًا دالة علىٰ الخلق

والإيجاد ابتداء في النشأة الأولىٰ، أو إعادة في النشأة الأخرىٰ، وربما كان بعض أفعال الخلق والإيجاد أظهر دلالة من بعض، وبعضها أخفىٰ دلالة من بعض؛ إذًا لا تخلو أفعال الخلق من دلالة عامة.

ومن الجدير بالإشارة أن هناك فرقًا بين (الفائدة الفرعية) وبين (الدلالة الخاصة)؛ لأن الوقوف علىٰ الفوائد الفرعية يقف عليها الباحث من خلال البحث والنظر والتدبر في مواضع أفعال الخلق والإيجاد، فالفائدة الفرعية تتعدد مواضعها، وتتأكد بتكرار الإشارة إليها في تلك الأفعال؛ كالفائدة المستفادة من الفعل (يبعث، ويعيد.. إلخ) علىٰ البعث، بينما (الدلالة الخاصة) تستقل بفعل معين من الأفعال الدالة علىٰ الخلق دون غيره من الأفعال؛ كدلالة خصوص التكثير من الفعل (بثَّ).

◆ الدراسات السابقة:

لا شك في أن مصنفات غريب اللغة العربية قد تطرقت إلىٰ جانب من أفعال الخلق والإيجاد، وممن اعتنىٰ بمفردات القرآن الإمام الراغب(١) في كتابه: **(المفردات في غريب القرآن)** وقد رجعت إليه وانتفعت به أيما انتفاع، وهو مفيد في تقسيماته وتفريعاته، وللراغب كذلك دراسة أخرىٰ اعتنىٰ فيها بلفت النظر إلىٰ

(١) الراغب: (توفي حوالي: ٥٠٢هـ) هو: الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، ترجم له الإمام الذهبي في الطبقة الرابعة والعشرين، وقال: «كان من أذكياء المتكلمين، لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة، وكان -إن شاء الله- في هذا الوقت حيًّا، يسأل عنه». ينظر: سير أعلام النبلاء شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرناؤوط، (٢١/ ١٢٠-١٢١)، والأعلام، خير الدين الزركلي، (٢/ ٢٥٥).

خلق الأكوان والإنسان، هي كتابه: (**تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**)، كما أن للإمام للفيروز آبادي[1] كتاب (**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**) جمع بين الشارد والوارد، ثم للإمام ابن قيم الجوزية[2] كتابٌ نافعٌ هو: (**مفتاح دار السعادة**) قد أشار فيه إلىٰ مواطن العبرة، ومواضع المنة فأفاد وأجاد رحمة الله تعالىٰ عليه، كما أن علماء تفسير القرآن شرحوا، وقدَّموا زادًا مفيدًا لشرح أفعال الخلق والإيجاد، مع خلط بين التفسير وبين استخلاص دلالة أفعال الخلق والإيجاد.

كما وقفتُ علىٰ دراسةٍ بعنوان: (من أفعال الخلق في القرآن الكريم دراسة معجمية وموضوعية) للدكتور عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي، وقد انصب جل اهتمامه علىٰ الجانب اللغوي لما عرض له من أفعال[3]، فاعتنىٰ بالجانب

(١) الفيرزآبادي: (٧٢٩-٨١٧هـ) هو: مجد الدِّين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر الفيروزآبادي أبو الطَّاهر اللُّغوي الشافعي العلَّامة ولد بكازرون من أعمال شيراز، ونشأ بها فحفظ القرآن وهو ابن سبع وجود الخط، ثم نقل فيها كتابين من كتب اللغة وانتقل إلىٰ شيراز وهو ابن ثمان وأخذ اللغة والأدب، وكثرت رحلاته بين مصر وفارس والهند والشام وبغداد واليمن وجاور بمكة فترة، ومات وقد متع بسمعه وحواسه بزبيد وكان يرجو وفاته بمكة فما قدر. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، (١٠/ ٧٩-٨٦)، وشذرات الذهب، لابن العماد، (٩/ ١٨٦- ١٩٣).

(٢) ابن قيم: (٦٩١- ٧٥١هـ)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرعي، أبو عبدالله، مولده ووفاته بدمشق، وهو أحد كبار علماء الحنابلة، تعلم علىٰ التقي سليمان وابن عبد الدائم، وابن الشيرازي ولزم الشيخ ابن تيمية. ينظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (٨/ ٢٨٧- ٢٩١).

(٣)نشرت هذه الدراسة علىٰ موقع الدكتور عبد المجيد محمد الغيلي «رحىٰ الحرف» سنة (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) وله عدة دراسات في بعض المفردات القرآنية هي: «الوهْن في القرآن الكريم دراسة موضوعية»، و«من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم دراسة معجمية» و«دراسة معجمية =

اللغوي بينما تقوم دراستي لدلالات أفعال الخلق والإيجاد علىٰ التصنيف والتقسيم لها وفق تطابق الدلالة علىٰ الإيجاد من عدم.

وإن لكاتب هذه الدراسة تجربة أولية سابقة بعنوان: (أَفْعَالُ الخَلْقِ وَالإِيجَادِ فِي القرآن ودِلَالَاتُـها)(١)، ضمنتها مواضع الدلالة والفائدة لعدد من تلك الأفعال، وقد رأيت أن ألحق بها دراسة أخرىٰ لعدد آخر من أفعال الخلق والإيجاد؛ لذلك تقوم هذه الدراسة الحالية بإفراد أفعالٍ أخرىٰ للخلق والإيجاد هي: (بَثَّ، وأَحْيَا، وأَنْبَتَ، وأَخرَجَ، وجعَل، ونشَر) بالبحث والنظر والتدبر.

منهج دراسة بقية أفعال الخلق والإيجاد:

تقوم الدراسة علىٰ المنهج (الوصفي التحليلي) باستقراء ما في القرآن الكريم من أفعال تفيد دلالة الخلق من دلالات، من خلال جمع ما يتيسر في هذه الدراسة من أفعال الخلق والإيجاد، ثم أقوم بالبحث في كل فعل من هذه الأفعال عما يلي:

١) المعاني اللغوية لكل فعل للخلق علىٰ جهة الاستقلال، مع استثمار ما يدل من هذه المعاني علىٰ الخلق والإيجاد سواء علىٰ جهة الإنشاء عند النشأة الأولىٰ، أو استكمال الخلق وتسويته وتعديله؛ وذلك لكمال الخالق -تعالىٰ- فيما خلق في أحسن تقويم، أو عند النشأة الأخرىٰ وهي منها.

= لخمسة ألفاظ في القرآن الكرين: بنىٰ، ورفع، وسع، الضحىٰ، الحبك» وله: «السماء والسموات في القرآن الكريم» منشور سنة (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥) وقد اعتنت هذه الدراسات بدلالة المفردة القرآنية.

(١) أَفْعَالُ الخَلْقِ وَالإِيجَادِ فِي القرآن ودِلَالَاتُـها د. الأمير محفوظ محمد، منشور في مجلة تدبر التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس السنة الثالثة في رجب (١٤٤٠هـ) مارس (٢٠١٩).

٢) الوقوف بعد تدبر أفعال الخلق والإيجاد علىٰ أوجه دلالة الفعل علىٰ الخلق والتقدير، واستخراج مواطن الفائدة؛ لأستوفِي دراستها جميعًا قدر الجهد والطاقة.

٣) استخراج دلالة اختلاف القراءات المتواترة لبعض أفعال الخلق والإيجاد مثل (نشر ونشز) مع بيان معنىٰ الفعل وفق كل قراءة، والوقوف علىٰ مواطن دلالة الأفعال علىٰ العقائد وهي كثيرة، أظهرها: عقيدة البعث والنشور، والمعاد بعد الموت.

خطة الدراسة وتقسيمها:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة ومبحثين:

المقدمة: وتشتمل علىٰ حدود الدراسة، ودوافعها، وأهدافها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة، وتقسيمها.

المبحث الأول: (معانِي أفْعَال القرآن الدَّالة علىٰ الـخلْق ودلالاتها).

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: معاني الفعل (بثَّ) ودلالته.

المطلب الثاني: معاني الفعل (أحيا) ودلالته.

المطلب الثالث: معاني الفعل (أنبت) ودلالته.

المطلب الرابع: معاني الفعل (جعل) ودلالته.

المطلب الخامس: معاني الفعل (أخرج) ودلالته.

المطلب السادس: معاني الفعل (نشر) ودلالته.

المبحث الثاني: (مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن الدالة علىٰ الخلق والإيجاد).

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: ضرورة النظر في أفعال القرآن الدالة علىٰ الخلق والإيجاد.

المطلب الثاني: علاقة الأفعال الدالة علىٰ الخلق بمعالجة الإلحاد.

الخاتمة: وتشتمل علىٰ أهم النتائج والتوصيات.

الفهرس العام بمحتوىٰ الدراسة.

وهذا أوان الشروع فيما نويتُ، وتنفيذ ما قصدتُّ، وفاء بما وعدت؛ لأن نيَّة المرء خير من عمله سائلًا المولىٰ ﷻ التوفيقَ مستمِدًّا منه -سبحانه- السداد والرشاد، إنه ولي ذلك، وهو قادر عليه؛ عسىٰ أن يوفِّيَ عليه بالأجر الأوفَىٰ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم.

د. الأمير محفوظ محمد

- القاهرة - (ذو الحجة ١٤٤١- أغسطس٢٠٢٠).

المبحـث الأول

معانِي أفْعَال القرآن الدَّالة على الخلْق ودلالاتها

إن أفعال الخلق والإيجاد التالية دلالتها عامة علىٰ خلق الإنسان والأكوان، وسوف أقف علىٰ معانيها في اللغة أولًا، ثم أبين ما تيسر من دلالاتها، وهي كما يلي:

المطلـب الأول:
معاني الفعل (بثَّ) ودلالته

أولًا: معاني الفعل (بثَّ) في اللغة:

الفعل (بَثَّ) أشار علماء اللغة إلىٰ أن معنىٰ: بثَّ يَبُث بثًّا: نشر ينشر نشرًا، وبثُّ الشيء: تفريقه، وخلق الله الخلق فبثَّهم في الأرض، ومنها قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، أي: نَشَر وكثَّر، وبثثت خبرًا: نشرته، كما في حديث أم زَرع: «زَوْجِي لَا أَبُثُّ خبَرَهُ»(١)، أي: لا أنشره لقبح آثاره، وبثَّت البُسُط: إذا بسطت، ومنه قوله: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]، أي: كثيرة، وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦]، أي: غبارًا منتشرًا، وتقول: بثَّت الريحُ الترابَ: إذا فرَّقته وأثارته دلالة

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، رقم: (٥١٨٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة باب: حديث أم زرع، رقم: (٢٤٤٨) كلاهما من حديث السيدة عائشة.

علىٰ التفريق وإثارة الشيء، ومنها قوله: ﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]، أي: المنتشر المهيَّج بعد ركونه وخفائه، وورد أن أصل البثّ: التفريق وإثارة الشيء.

وبث النفس: ما انطوت عليه من غمٍّ وسرٍّ، وقيل: البثُّ في الأصل شدة الحزن والمرض الشديد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، بمعنىٰ الغم الذي يبثه عن الكتمان؛ أي: غمي الذي أبثه عن كتمان، فهو مصدر في تقدير مفعل، أو بمعنىٰ غمي الذي بث فكري، نحو: توزعني الفكر، فيكون في معنىٰ الفاعل، وفي حديث كعب بن مالك قال: «**فَلَمَّا تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي**»(١)، أي: اشتد حزني(٢).

إذًا يحمل فعل البثِّ من المعاني ما يلي: **أولًا**: التكثير. **ثانيًا**: التفريق والتهييج والإثارة. **ثالثًا**: الانتشار بالتكاثر وهو يكون بالتزاوج والاقتران، ومن المعاني المستفادة من الفعل (بث) إذاعة الأخبار ونشرها، ومنه بثُّ الهم: كتمانه، فهو من الأضداد.

ثانيًا: دلالات الفعل (بثَّ):

تدل دلالات الفعل (بث) علىٰ الخلق فيما يلي:

أولًا: اقتران الفعل (بَثَّ) بكلمة (**الدَّابَّة**)، وهي: كل شيء يدبَّ علىٰ وجه

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب التوبة، باب: توبة كعب بن مالك صاحبيه، رقم: (٢٧٦٩)، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٥٧٨٩) (٢٥/ ٦٩)، كلاهما من حديث كعب بن مالك الأنصاري.

(٢) ينظر: مادة (بث) في: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، (٨/ ٢١٧)، والصحاح تاج اللغة، للجوهري، (١/ ٢٧٣)، ولسان العرب لابن منظور، (٤/ ١١٤)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (ص: ١٠٨).

الأرض من إنسان وحيوان، وفي العرف تطلق علىٰ الخيل والحمار والبغل(١)، ورد ذلك في قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]، أي: خلق الله كل دابة، وأوجدها من عدم، ثم انتشرت في الأرض، وقوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠]. وقد ورد في القرآن الفعل (بثَّ) مع خلق كل دابة بعد تهيئة الأرض للحياة، فقال: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]؛ لبيان تمام خلق الأرض، وتهيئتها لاستقرار حياة الكائنات.

ثانيًا: ورد الفعل (بثَّ) بعد استقرار الأرض بالجبال، وثبات الحياة في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠] ليدل علىٰ أن البث كان بعد تهيئة الأرض لحياة الإنسان، وناسب هذا -أيضًا- ورود الفعل (بثَّ) خاصًّا بالدواب من دون الإنسان في قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤]، خاص بخلق الدواب حيث عطف علىٰ خلق الناس، والعطف يقتضي المغايرة، (قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: خلق الإنسان، وقوله: ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ إشارة إلىٰ خلق سائر الحيوانات، ووجه دلالتها علىٰ وجود الإله القادر المختار أن الأجسام متساوية فاختصاص كل واحد من الأعضاء بكونه المعين، وصفته المعينة وشكله المعين، لا بد أن يكون بتخصيص القادر المختار، ويدخل فيه انتقاله من سن إلىٰ آخر، ومن حال إلىٰ آخر)(٢).

---

(١) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسىٰ الكفوي أبو البقاء (ت:١٠٩٤هـ)، (ص: ٤٣٨).

(٢) التفسير الكبير، للإمام الرازي، (٢٧/ ٦٧٠).

وقال الراغب: (إشارة إلىٰ إيجاده تعالىٰ ما لم يكن موجودًا وإظهاره إياه)(١)، فالفعل (بثَّ) عام في خلق كل ما يدب علىٰ الأرض، مما يشمل الحيوان لإظهار مِنَّة الله تعالىٰ علىٰ الإنسان، ودلالة هذا الفعل علىٰ إظهار موضع المنة فيه أنه يعيد إلىٰ الذهن دلالة الفعل (ذَرَأَ)(٢)، ففيه دلالة علىٰ التكثير بالنسل.

ثالثًا: ورد الفعل (بثَّ) مع خلق (الإنسان) خاصة في قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، ومعنىٰ هذا الفعل في التفسير: (﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: نشرَ من تلك النفس وزوجها المخلوقةِ منها -يقصد آدم وحواء- بطريقِ التوالدِ والتناسلِ، ﴿رِجَالًا كَثِيرًا﴾ نعت لكلمة (**رِجَالًا**) مؤكدةٌ لما أفاده التنكيرُ من الكثرةِ والإفرادِ باعتبار معنىٰ الجمع، أو العددِ، وقيلَ: هو نعتٌ لمصدرٍ مؤكِّدٍ للفعل، أي: بثًّا كثيرًا ﴿وَنِسَاءً﴾ أي: كثيرة، وتركُ التصريحِ بها للاكتفاء بالوصف المذكورِ)(٣)، وقال ابن عاشور(٤): (**والبث: النشر والتفريق للأشياء الكثيرة.. مع ما يقتضيه فعل البث من الكثرة**)(٥)، فدلالة هذا الفعل علىٰ تكثير بني آدم بالتناسل والتكاثر.

رابعًا: دلالة الفعل (بث) مقارنة بالفعل (برأ وذرأ) فهناك فرق بينها؛ لأن تدبر

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للإمام الراغب، (ص: ١٠٨).

(٢) ينظر: أَفْعَالُ الخَلْقِ وَالإِيجَادِ فِي القرآن، د. الأمير محفوظ محمد، (ص: ٢٩٩).

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، (٢/ ١٣٨).

(٤) ابن عاشور: (...-١٢٨٤هـ/ ...-١٨٦٨م)، هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق باشا، ولي قضاءها سنة (١٢٦٧هـ) ثم الفتيا (سنة ١٢٧٧) فنقابة الأشراف وتوفي بتونس. ينظر: الأعلام الزركلي، (٦/ ١٧٣)، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (١٠/ ١٠١).

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ)، (٤/ ٢١٧)، بتصرف.

دلالة الأفعال الثلاثة (بثَّ، وذَرَأ، وبَرَأ) علىٰ الخلق والإيجاد يدعو إلىٰ استشراف هذا الفَرْق الجَوهري الذي بينها؛ ففي كلِّ فعل منها دلالة معنىٰ يختص به، حيث يفيد الفعل (بَثَّ): (تفريق أشياء كثيرة في مواضع مختلفة متباينة، وإذا فرَّق بين شيئين لم يقل: إنه بثَّ، وفي القرآن: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٣٦])[١]، بينما يفيد الفعل (ذرأ) معنىٰ الإظهار؛ لأن (معنىٰ ذرأ الله الْخلقَ: أظهرهم بالإيجاد بعد الْعَدَم)[٢]، كما يفيد الفعل (برأ) (تَمْيِيز الصُّورَة، وَقَوْلهمْ: برأَ الله الْخلق أَي: ميَّز صُورَهم، وَأَصله الْقطع، وَمِنْه الْبَرَاءَة)[٣]، الأفعال الثلاثة تدور بين إفادة التكثير بالتفريق والبث، أو الإظهار بالذَّرءِ، أو تمييز الصورة بالبَّرءِ مع اشتراكها واجتماعها علىٰ معنىٰ الخلق والإيجاد من عدم، يدل علىٰ تنوع أساليب القرآن في التعبير عن الأمر الواحد.

خامسًا: دلالة الأفعال الثلاثة (بثَّ، وذَرَأ، وبَرَأ) علىٰ التكثير كأحد دلالاتها بعد الخلق فيلاحظ استعمال القرآن لهذه الأفعال الثلاثة للدلالة علىٰ التكثير والانتشار دون استعمال الفعل (كثَّر)؛ فلما أريد بيان حقيقة الحياة الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢]؛ ليبيِّن أن الكثرة العددية ليست محل المنة؛ فربَّ عددٍ عاقلٍ قليلٍ يفوقُ عددًا كثيرًا جاهلًا لا يحسن عيش الحياة؛ لذلك يشير القرآن إلىٰ معنىٰ التكثير بالتكاثر والتناسل، فيؤكد علىٰ أن ذلك أحد

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري (توفي نحو: ٣٩٥هـ)، (ص: ١٥١). للفرق بين الفعل (فرق) والفعل (بث).

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص: ١٣٨).

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

مظاهر الحياة الدنيا، وأنه في محل الذم إذا كانت كثرة ضعيفة، أو شغلت عن عبادة الله تعالىٰ، وطاعته.

إن استمداد المعنىٰ اللغوي لفعل (البث) من الكثرة والانتشار عمل بمعتقد استخلاف الله الإنسان في الأرض؛ ليمارس الحياة وفق مراد الله تعالىٰ، ولا يخالف ذلك ما ورد في السنة النبوية من قول النبي: «**تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ**»(١)، الكثرة غير مرادة لذاتها، فالحديث يدعو للكثرة العاقلة الرشيدة، وتدل روايات الحديث علىٰ ذلك، ومنها رواية: «**وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي**»(٢)، وفي رواية: «**وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلاَ تَمْشُوا بَعْدِي الْقَهْقَرَىٰ**»(٣)، وفي رواية: «**وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلَا تَقْتَتِلُنَّ بَعْدِي**»(٤)، وفي رواية: «**إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٥)، فقد تؤدي

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب النكاح، باب: في تزويج الأبكار رقم: (٢٠٥٠) (٣/ ٣٩٥)، وإسناده قوي، والنسائي في «سننه» كتاب النكاح، باب: كراهية تزويج العقيم، رقم: (٣٢٢٧)، كلاهما من حديث معقل بن يسار عن رجل من الصحابة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (٢٣٤٩٧) (٣٨/ ٤٨٢)، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن فيه عن رجل من الصحابة فاسم الصحابي مبهم، ولا تضر الجهالة باسمه؛ لأن الصحابة كلهم عدول رضي الله عنهم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٤٨١١)، (٢٣/ ١١٧)، من حديث جابر بن عبدالله، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٩٠٦٩)، (٣١/ ٤١٩)، من حديث الصنابح، إسناده صحيح مع خطأ في اسم الصحابي، وهو الصُّنَابِح بن الأَعْسَر الأحمَسِي، فمن قال: الصنابحي بياء النسبة فقد أخطأ.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٩٠٨٤)، (٣١/ ٤٣٤)، من حديث الصنابح وإسناده ضعيف.

الكثرة لقتل واختلاف وسوء خلُق، أو الحديث جوابٌ خاص لطلب رجل زواج امرأة عقيم فنهاه النبي ﷺ؛ وهي رواية أبي داود، أو الحديث بيان فضل كثرة الأتباع المهتدين من أهل الإيمان، وأن الكثرة تحسن بالتربية والتوجيه والمعرفة حتىٰ بلوغ الرشد، وأن التكاثر يدل علىٰ التناسل المجرد، وليس هذا محط مباهاة أو مفاخرة، فأشارت السنة للكثرة المقيدة برعاية الناشئة وتربيتها.

سادسًا: الإشارة إلىٰ وجود خلق الله تعالىٰ في السماوات، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ﴾ [الشورى: ٢٩]، وفي التفسير: (كيف جُوِّز إطلاق لفظ الدابة علىٰ الملائكة؟ قلنا: من وجوه: **الأول**: أنه قد يضاف الفعل لجماعة، وإن كان فاعله واحدًا، ومنه قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]. **الثاني**: أن الدبيب هو الحركة، والملائكة لهم حركة. **الثالث**: لا يبعد أن يقال: إن الله خلق في السموات أنواعًا من الحيوانات يمشون مشي الأناسي علىٰ الأرض)(١)، إذًا يدل الفعل (بثَّ) علىٰ تكثير خلق الإنس والجن في الأرض، كما يدل علىٰ تكثير خلق الملَك، كما قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، دلالة علىٰ عموم تجدد خلق الله لما لا نعلم نوعه، أو جنسه، أو إحصاء عدده، وما لا نعلم من خلقٍ لله في الأرض والسماء.

إذًا يدور الفعل (بَثَّ) فِي القرآن بين معاني الخلق من العدم، والتكثير، والانتشار، والتفريق؛ ليدل علىٰ عموم خلق كل ما يدب علىٰ الأرض من إنسان وحيوان، كما ورد الفعل (بثَّ) ليبرهن علىٰ انتشار المخلوقات في الأرض، كما يدل فعل البث علىٰ تكثير الخلق بعدما تهيأت الأرض، واستقرت بالجبال، وأتيحت الحياة للإنسان، كما يشير الفعل (بث) لوجود حياة في السموات.

---

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٧/ ٥٩٩-٦٠٠) بتصرف يسير.

المطلــب الثاني:
معاني الفعل (أحيا) ودلالته

أولًا: معاني الفعل (أحيا) في اللغة:

أفاد الخليل أن الفعل (أحيىٰ) من (حيو)، والحيوة كتبت بالواو لِيُعْلَم أن الواو بعد الياء، ويقال: بل كُتِبَتْ علىٰ لغة من يُفَخِّم الألف التي مَرْجِعُها إلىٰ الواو نحو: الصلوة والزّكوة. ويقال: حَيِيَ يَحْيا فهو حَيٌّ، ويقال للجميع: حَيُّوا. وحيا الحَياة: ضد الموت والحَيُّ: ضدُّ الميّت. والمَحْيا مَفْعَلٌ من الحياة. تقول: مَحْيَاي ومماتي. والجمع المحايىٰ،، وأَحْياهُ الله فَحَيِيَ وحَيَّ أيضـًا، والإدغام أكثرَ لأنَّ الحركة لازمه، فإذا لم تكن الحركة لازمةً لم تُدغَم، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، وقال أبو زيد: حَيِيتُ منه أَحيا: اسْتَحْيَيْتُ، وتقول في الجمع: حيَوا، ويقال: حَيِيَ يَـحْيَا فهو حيٌّ، وللجميع: حَيَوا[(١)].

والحيوان والحياة واحد، والحيوان: دار الحياة الحقيقية الدائمة التي لا تفنىٰ، لا حياة من يبقىٰ مدة ثم يفنىٰ، ويقال علىٰ ضربين: **الأول**: ما له حاسة. **الثاني**: ما له بقاء أبدي، مذكور في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، والحَيَوانُ: مقر الحياة، ويطلق علىٰ كلِّ ذي روحٍ، والحَياة: ضد الموت، والحَيُّ: ضدُّ الميِّت، والمَحْيا مَفْعَلٌ من الحياة. والحي من كل شيء نقيض الميت، والحي: كل متكلم ناطق، والحي من النبات: ما كان طريًّا يـهتز، والحي الواحد من أحياء

(١) ينظر: (العين)، للخليل (٣/ ٣١٧). الصحاح تاج اللغة، للجوهري، (٦/ ٢٣٢٣)، وجمهرة اللغة، لابن دريد، (١/ ١٠٣).

العرب، والمَحْيَا: مَفْعَلٌ من الحياة، ويقع على المصدر والمكان والزمان، تقول: محياي ومماتي، وفي حديث حنين قال للأنصار: «**هَاجَرْتُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ**»(١)، والحَيا مقصور: الخصب والمطر، وفي حديث القيامة: «**فَيُصَبُّ عَلَيْهِم مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ**»(٢)، والمحاياة الغذاء للصبي بما به حياته، والمحيَّا: الوجه، وقوله: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧]، وهو الرزق الحلال(٣). إذًا من معاني الفعل (أحيا) الإخراج إلى الحياة، وتحرك لما دبت فيه من الحياة.

ثانيًا: دلالات الفعل (أحيى):

من دلالات الفعل (أحيىٰ) علىٰ الخلق والإيجاد ما يلي:

أولًا: ورد الفعل (أحيىٰ) لإحياء الأرض الميتة، فقد أسند فعل الإحياء إلىٰ الله تعالىٰ في مواضع قرآنية للإشارة لإحياء كل ميت غير نامٍ من الأرض وسائر البلاد، لإظهار المنة الربانية من خلال التعبير بـ(إحياء الأرض الميتة) بأساليب مختلفة منها ما يلي:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم: (١٧٨٠)، واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٠٩٤٨)، (١٦/ ٥٥٥) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب الأذان باب في فضل السجود، رقم: (٨٠٦)، واللفظ له، والإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان باب طريق معرفة الرؤية، رقم: (٢٩٩) كلاهما من حديث أبي هريرة، و(ماء الحياة) هو: ماء من شرب منه أو صب عليه لا يموت أبدًا.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢/ ١٢٢)، ولسان العرب لابن منظور، (١٤/ ٢١١-٢١٦)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٦٨-٢٧٠).

الأسلوب الأول: التعبير عن إحياء الأرض الميتة بأسلوب الخبر العجيب الذي يحتاج إلىٰ التأمل والتدبر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت: ٣٩]، (والخشوع: التذلل، وهو مستعار لحال الأرض إذا كانت مقحطة لا نبات عليها. والاهتزاز حقيقته: مطاوعة هزِّه، إذا حرَّكه بعد سكونه فتحرَّك، وهو هنا مستعار لرَبْوِ وَجهِ الأرض بالنبات، ويؤخذ من مجموع ذلك أن هذا التركيب تمثيل، شبه حال قحولة الأرض ثم إنزال الماء عليها، وانقلابها من الجدب إلىٰ الخصب، والإنبات البهيج بحال شخص كان كاسف البال رثَّ اللباس فأصابه شيء من الغنىٰ فلبس الزينة واختال في مشيته زهوًا)(١)، فهذا إخبار عن انتقال الأرض من حال الخاشع الذليل لحال ذي الزينة والفخار بأفعال عجيبة غريبة، هي: (أنزلنا، واهتزت، وربت)؛ للدلالة والتنبيه علىٰ إمكانية فعل الإحياء من عدم.

الأسلوب الثاني: التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة(٢) بأسلوب خبري مرسل في قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]، كما ورد بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الجاثية: ٥]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [النحل: ٦٥].

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٤/ ٣٠٢)، باختصار وتصرف.

(٢) كما ورد قوله: ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ في سور: [البقرة: ٢٥٩]، و[الروم: ١٩]، و[فاطر: ٩]، [الحديد: ١٧]، وورد قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ في سورة [العنكبوت: ٦٣].

الأسلوب الثالث: التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة بأسلوب الخبر المدلل بأمارة الواقع في قوله تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]، فإحياء الأرض بالنبات والشجر آية من آيات الله بدليل الواقع من إخراج الحبِّ المحصود منها، أو بدليل مشاهدة الخارج من رزع الأرض.

الأسلوب الرابع: التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة بأسلوب إنشائي هو الأمر بالعلم في قوله تعالىٰ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ [الحديد: ١٧]؛ لوجوب الإحاطة والإلمام به، كما ورد باستفهام إنكاري في قوله: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، ومن التعبير عن إحياء الله الأرض بأسلوب الاستفهام التقريري في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣] فقد (أشار قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ إلىٰ موت الأرض، أي: موت نباتها بإمساك المطر عنها في فصول الجفاف، أو في سنيِّ الجدب؛ لأنه قابله بكون إنزال المطر لإرادته إحياء الأرض بقوله: ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾)[1]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ [الروم: ٥٠] ويدل ارتباط رحمة الله -تعالىٰ- بإحياء الأرض علىٰ تحقيق عناية الله بتيسير أقوات العباد بما يخرج من الأرض؛ لأن إحياء الأرض بالنبات من آثار رحمة الله، والأرض الميتة التي لم تزرع أو لم يجرِ عليها ملك أحد، فلابد من مباشرة الأسباب، ففي السنة النبوية: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ**»[2]، ذلك تشبيه إحياء الأرض بإحياء الميت حيث عبر بـ(إحياء

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١/ ص: ٢٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب المزارعة باب من أحيا أرضًا مَواتًا، رقم: (٢٣٣٥)، عن =

الأرض) عن عمارتها لأن إحياء الأرض: مباشرتها بالرعاية والزرع والإحاطة والعمارة، ونحوه.

ثانيًا: تنوع أساليب التعبير عن (إحياء البلد الميت)، فيما يلي:

الأسلوب الأول: التعبير عن إحياء الله البلدة الميتة بأسلوب الخبر المعلَّل، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝٤٨ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٨-٤٩]، (**البَلْدَة المَيْت**) التي أصابها الموت بفعل الجدب والقحط؛ لأن إنزال الماء من السماء لإحياء بلدة ميتة، ولسقي أنعام وأناسي كثيرًا.

الأسلوب الثاني: التعبير عن إحياء الله البلدة الميْتة بأسلوب خبري مرسل، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١] والضمير في (بِهِ) يعود للماء المبارك، وهو الغيث النازل من السماء، قال الرازي: (كذلك بدن الإنسان بعد الموت ينمو ويزيد بأن يرجع الله تعالىٰ إليه قوة النشوء والنماء كما يعيدها إلىٰ الأشجار بواسطة ماء السماء)(١)، وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١] أي: منحها الحياة والنشور، والبلد: (كل موضع من الأرض غامر أو عامر، مسكون أو خال فهو بلد، والقطعة منه بلدة)(٢)، هذا

= عائشة مرفوعًا، وأبوداود في «سننه» كتاب الخراج والفيء، باب في إحياء الموات رقم: (٣٠٧٣) من حديث سعيد بن زيد، واللفظ له، بإسناد صحيح، وأحمد في «مسنده» من حديث جابر بن عبدالله، رقم: (١٤٢٧١).

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٨/ ١٢٩).

(٢) الكليات، للكفوي، (ص: ٢٢٦).

الأسلوب دال علىٰ إحياء سائر البلاد، وتهيئتها لحياة العباد، دفعًا لليأس، وتحقيقًا للإيمان بقدرة الله.

وبناء علىٰ التفرقة بين الميِّت والميْت ندرك حكمة قوله: ﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾ في هذه المواضع الثلاثة[(١)]، مفعول به للفعل المذكور (**فَأَنْشَرْنَا وَأَحْيَيْنَا ونُحْيِيَ**) لأن إحياء البلدة الميْتة والأرض الميْتة يردفان بذكر النشر والإحياء مرة أخرىٰ تذكيرًا بعقيدة البعث؛ لأن الميِّت -بتشديد الياء- مخلوق حي ما زال يعيش حياته، وينتظر أجله، فسيموت، ويلاحظ هذا المعنىٰ واضحًا في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] فالآية تخاطب الرسول ﷺ، وتخبره بأنه سيموت، وأن خصومه سيموتون كذلك، لكن النبي وقت الخطاب كان حيًّا وكذا خصومه، وأما الميْت -بتسكين الياء- فهو المخلوق الذي مات فعلًا وخرجت روحه، وأطلق القرآن هذا اللفظ علىٰ الأرض الميتة ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾ [يس:٣٣] وقال: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة:٣] قال الراغب: (وَالمَيْتَةُ من الحَيوان: ما زال روحه بغير تذكية)[(٢)]، يعد من

---

(١) ورد قوله: ﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ في سور: [الفرقان: ٤٩]، [الزخرف: ١١]، [ق: ١١] وورد قوله: ﴿بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ [فاطر: ٩].

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (ص٧٨٢)، كما أطلق القرآن (الميِّت) علىٰ الكافر الذي نزع منه الإيمان، قال العلامة الشنقيطي في تفسير قوله: ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦]: «وأطبق العلماءُ علىٰ أن المرادَ بالموتىٰ هنا: الكفارُ لا يَكَادُ يختلفُ في هذا اثنانِ من علماءِ التفسيرِ، كأنه يقولُ: إنما يستجيبُ الأحياءُ الذين يسمعونَ، كما قال له: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ [يس:٧٠]، أي: الذي له حياةٌ، أما المَيْتُ: الذي أَمَاتَ اللهُ قَلْبَهُ، وكثيرًا ما يُطْلِقُ القرآن اسمَ (الميتِ) علىٰ (الكفرِ)، كقولِه تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]». ينظر: العَذْب النَّمير من مجالس الشَّنْقيطِيِّ في التفسير لمحمد الشنقيطي، (١/ ١٩٧).

إعجاز القرآن تنبيهًا علىٰ أنه لا توجد كلمتان في القرآن بمعنىٰ واحد، بل لا بدَّ من فروق دقيقة بينهما؛ لبيان فائدة للناس من وجه من الوجوه.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، فقوله: (**بَلَدٍ مَّيِّتٍ**) مجرور بـ(إلىٰ) حرف التعدية للفعل (**سُقْنَاهُ**)، وضمير الغَيبة يرجع للسحاب؛ لإمكانية ظهور مظاهر الحياة بإخراج النبات والزرع والثمر، و(**بَلَدٍ مَّيِّتٍ**)، أي: قابل للموت حيث يحييه الله بقدرته بإرسال الماء إليه، فتنبت الأرض، ويزهر الشجر، وينضج الثمر، فتستقيم حياة البلاد، وسواء وصفت البلدة بالوصف (ميِّت) أو (ميْت) فدلالته لا تخلو إما علىٰ إمكانية بعث معدوم فاقد الحياة، أو تذكير لموجود بأن الحياة منتهية بفناء الموت لا محالة.

ثالثًا: ارتباط الفعل (أحيا) بأفعال الخلق والإيجاد الصريحة (**خَلَقَ فَسَوَّىٰ**) إشارة إلىٰ خلق الإنسان، في قوله: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧- ٤٠]، والاستفهام إنكاري؛ ليبرهن بها علىٰ قدرة الله -تعالىٰ- علىٰ الخلق من عدم محض، كما يدل علىٰ ارتباطه بالبعث والإيجاد بعد الموت، لارتباط إحياء الميت ببداية الخلْقِ من عدم؛ لأن الإشارة إلىٰ ثبوتَ إحياء الله للموتىٰ مرتبط بمقدمة أُولَىٰ هي الاعتراف بأن الله خالق الخلق من البداية، فذكَرَ القرآن تلك النتيجة كأمر يلي الخلق من عدم.

رابعًا: ارتباط الفعل (أحيىٰ) بلازمة قرآنية هي (كُنْ فَيَكُونُ)، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨]،

فلما كان هذا الموضع لا يتعلق بمعجزة في الخلق[1]، فلما ذكر انتقال الإنسان من كونه ترابًا إلىٰ نطفة، ثم علقة، ثم طفلًا، ثم بلوغ الأشد، ثم الشيخوخة، وقد استُدِل بهذه التغيرات علىٰ وجود الإله القادر قال بعده: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ يعني كما أن الانتقال من صفة إلىٰ صفة أخرىٰ من الصفات التي تقدم ذكرها يدل علىٰ قدرة الله تعالىٰ في تصريف عباده، كذلك الانتقال من الحياة إلىٰ الموت وبالعكس يدل علىٰ الإله القادر، وقوله: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فإنه يدل علىٰ وجوه، منها: الأول: عبر عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات من غير معارض ولا مدافع إذا قال: (**كُنْ فَيَكُونُ**). الثاني: أنه عبر عن الإحياء والإماتة بقوله: (**كن فيكون**)، فكأنه قيل: الانتقال من تراب لنطفة لعلقة لمضغة علىٰ التدريج، وأما صيرورة الحياة فإنما تحصل وتحدث دفعة واحدة؛ لتعليق جوهر الروح به، لهذا عبر عنه بقوله: (**كُنْ فَيَكُونُ**). الثالث: فلا بد من الاعتراف بأول إنسان هو أول الناس -وهو آدم عليه السلام- تناسل منه الذرية، عبَّر عنه بقوله: (**كُنْ فَيَكُونُ**)[2].

خامسًا: ارتباط الفعل (أحيىٰ) بالفعل (أنشأ) للإشارة إلىٰ الإنشاء أول مرة لإثبات البعث[3] بعد الموت، وهو عقيدة سمعية ثابتة سمعًا؛ لذلك كان استدلال

---

(١) لعدم اقتران هذا الموضع بمعجزة كما وردت في خلق آدم وعيسىٰ عليهما السلام.

(٢) التفسير الكبير، للرازي (٢٧/ ٥٣١-٥٣٢) بتصرف، وينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٤/ ١٩٩-٢٠٠).

(٣) البعث: الإثارة والإيقاظ من النوم ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، وإيجاد الأعيان والأجناس والأنواع يختص به الباري، والإحياء والنشر من القبور، ومن أسماء الله تعالىٰ «الباعث» وهو الذي يبعث الخلق أي: يحييهم بعد الموت يوم القيامة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (١/ ١٣٨)، وينظر: الصحاح تاج اللغة للجوهري (٣/ ٩٧٦)، والكليات، للكفوي (ص: ٢٤٤).

القرآن لمن أنكر إحياء الموتىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، كما ارتبط بقدرة الله في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وفي السنة ما يؤكد ذلك؛ ففي حديث أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قال: «**أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مَحْلًا؟**»(١) قال: بَلَىٰ، قال: «**أَمَا مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟**» قال: قُلْتُ: بَلَىٰ، قال: «**ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ مَحْلًا؟**»، قال: بَلَىٰ، قال: «**فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ**»(٢) فالوادي المَحْل كالأرض والبلدة المَيْتة، ثم هو خَضِرٌ مثلها كذلك يحيي الله الموتىٰ.

سادسًا: اقترن الفعل (يُحيي) مع الفعل (يميت) في القرآن؛ لأن كلًّا من الإحياء والإماتة بيد الله تعالىٰ لا بيد أحد سواه، ففي مناظرة الخليل إبراهيم للنمرود، قال تعالىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ لذلك لما شغَّب النمرود في إحياء الله الموتىٰ -وهو أمر بدهي مترتب علىٰ خلق الله تعالىٰ الخلق من عدم أولًا- انتقل إبراهيم إلىٰ دليل آخر أكثر ظهورًا بالمشاهدة، وهو أن الله يأتي بالشمس من المشرق فليأت بها من المغرب، فبهت الكافر وانخرس.

كما تبين في القرآن إمكانية الاستدلال علىٰ إحياء الله الموتىٰ من خلال هذا السؤال المفصلي (كيف يحيي الله الموتىٰ؟) للدلالة علىٰ قدرة الله علىٰ إحياء

(١) قوله: (مَحْلًا) أي: جدبًا، والمَحْل في الأصل: انقطاع المطر. ينظر: النهاية، لابن الأثير، (٤/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، رقم: (١٦١٩٢)، (٢٦/ ١١١-١١٢)، وإسناده ضعيف لجهالة حال وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ/ عُدُسٍ ابن أخي أبي رزين، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، رقم: (١٠٦٩)، (٢/ ٤٨٥).

الموتىٰ، فقد سجَّله القرآن سؤالًا للخليل، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وسؤال إبراهيم عن إيمان بتلك العقيدة، فقال: ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٨١]، لذلك وجَّه في مناظرته النمرود من قبل، فقال: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال الراغب: (كان يطلب أن يريه الحياة الأخروية المعرَّاة عن شوائب الآفات الدنيوية)(١)، فهو مقرٌّ بإحياء الله للموتىٰ.

كما سجَّل القرآن لعُزير النبي هذا السؤال المفصلي في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، هذا (استفهام إنكار واستبعاد)(٢)، وهو سؤال عقدي متعلق بفعل الإحياء، والسائل (الذي مرَّ علىٰ قرية، قيل: هو أرميا بن حلقيا، وقيل: هو عُزير بن شرخيا -عِزرا بن سريا-، والقرية بيت المقدس في أكثر الأقوال)(٣)، وأكثر المفسرين علىٰ أنه عُزير وهو مؤمن، والسؤال عن إحياء الأرض الميتة الجدباء القاحلة الخاوية من البشر، قال الخطيب الشربيني(٤): (أي: بما صارت إليه من الخراب وذهاب الأهل،

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٦٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/ ٣٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ٣٥).

(٤) الشربيني: (ت: ٩٧٧هـ) هو: محمد بن محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي الخطيب، فقيه ومفسر، درَّس وأفتىٰ في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يُحْصَون، وأجمع أهل مصر علىٰ صلاحه، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع، شرح كتاب «المنهاج» و«التنبيه»، وأقبل الناس علىٰ قراءتهما وكتابتهما في حياته، كان يعتكف رمضان كله ويخرج في العيد. ينظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (١٠/ ٥٦١-٥٦٢)، والأعلام، للزركلي (٦/ ٦)، ومعجم المؤلفين، لكحالة، (٣/ ٦٩).

فيعيدها إلىٰ ما كانت عليه عامرة آهلة، وهذا اعتراف بالعجز من معرفة طريق الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمنًا، واستبعاد إن كان كافرًا، فلم يشك أنَّ الله يحييها ولكن قالها تعجبًا)(١).

فمن الواضح أنه سؤال مقرٍّ مصدِّق بقدرة الله تعالىٰ علىٰ الإحياء، أفاد ابن عاشور أن قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ مما زاده القرآن من البيان علىٰ ما في كتب اليهود؛ لأنهم كتبوها بعد مرور أزمنة، ويظن من هنا أن عُزَيرَ مات في حدود سنة (٥٦٠ ق.م)، وكان تجديد أورشليم في حدود (٤٥٨ ق.م) فتلك مائة سنة، ويكون قوله: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ تذكرة له بتلك النبوءة وهي تجديد مدينة إسرائيل(٢).

كما سجَّل القرآن هذا السؤال المفصلي لرجل جاحد عند رسول الله في قوله: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس: ٧٨] روي: «أن أُبَيَّ بنَ خلفٍ الجُمَحِي -وهو الذي قتله النبي ﷺ بأُحد مبارزةً-، أتىٰ النبي ﷺ بعظم بالٍ يفتته بيده فقال: أترىٰ الله يحيي هذا بعدما رُمَّ؟ فقال ﷺ: «**نعم، ويبعثك ويدخلك النار**» فنزلت(٣)، فلما كان الإيجاد من عدم ثابت لله بلا منازع ثبت كذلك قدرة الله علىٰ إعادة الحياة لمن شاء متىٰ شاء؛ لذلك كان الجواب علىٰ سؤال ابن خلف في قوله: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، وهذا يدل علىٰ إمكانية بعث الأجساد بعد الموت، فالإقرار والتصديق بأن الله تعالىٰ قادر علىٰ الإحياء يؤدي للإقرار بقدرته

(١) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (١/ ١٧٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/ ٣٦).

(٣) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٣/ ٣٦٥).

علىٰ بعث العباد بعد الموت، وهذا السؤال الثالث صدر من منكر جاحد للبعث.

لذلك بعدما بين القرآن قدرة الله علىٰ الخلق في سورة القيامة إذا بالسورة تُختم باستفهام قرآني دالٍّ لكل ذي عقل نابهٍ، وقلب متعظ في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، فإن الاستفهام إنكاري، و(المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلًا، ولا شبهة بل اكتفىٰ بمجرد الاستبعاد، وهم الأكثرون ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: ١٠]، وقال: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢])(١).

سابعًا: ارتباط الفعل (أحيىٰ) بضرورة النظر حيث دعا القرآن الإنسان للنظر في آثار رحمة الله تعالىٰ علىٰ خلقه بإحياء الأرض بما يخرج منها، وذلك في قوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، والأمر بالنظر تشريع محكم للمكلَّف عليه قيام قواعد الإيمان، وتبدو آثار رحمة الله في توفير طعام بني آدم وغذائهم مما يخرج من الأرض من زرع وشجر، كما أنه دليل عناية الخالق بخلقه، وقدرته علىٰ الخلق والإبداع؛ لظهور قدرة الله الباهرة علىٰ شق الأرض بالنبات الغض الطري، في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

ثامنًا: الاستدلال علىٰ عقائد فرعية أخرىٰ منها:

١- الاستدلال علىٰ إمكانية بعث العباد بعد الممات بـ(إحياء الأرض الميتة) و(إحياء البلدة الميتة)؛ لأن إحياء الأرض والبلاد دليل مشاهد يدل علىٰ بعث العباد

(١) المرجع السابق، (٣/ ٣٦٦).

بعد الممات؛ لذا قال تعالىٰ: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، أي: تخرجون من قبوركم للبعث، وقال: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، (الكافُ في حيِّزِ الرفعِ علىٰ الخبرية أي: مثلَ ذلك الإحياءِ الذي تشاهدونَه إحياءُ الأمواتِ)[1]، ومَن خلق وسائل إحياء الأرض قادر علىٰ خلق وسائل إحياء الذين ضمتهم الأرض علىٰ سبيل الإدماج[2]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ﴾ [فصلت: ٣٩]، وأكد إحياء الأرض بإن واللام؛ لذلك كان الإحياء من دلائل قدرة الله؛ لذلك قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾ [الروم: ٢٧] أي: أهون عليه في مقاييسكم أنتم والله قادر مقتدر، فلما كان مقياس العقل البشري يختلف في صعوبة بداية الخلق من عدمٍ نصَّ علىٰ إعادته بعد وجودٍ.

٢- إثبات عقيدة النشر؛ لأن دلالة فعل الإحياء علىٰ عقيدة البعث والنشور في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ في قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، مثال يبين مشابهة بعث الله للعباد بإحياء البلد الميت بخلوِّه من الحياة والأحياء فلا زرع أو شجر.

٣- تعبير القرآن عن الإيمان بالحياة، وعن الكفر بالموت، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وربما يكون هذا المعنىٰ مجازيًّا، والهمزة للاستفهام المستعمل في إنكار تماثل الحالتين[3]، وهذا مثَلٌ ضرَبَه الله تعالىٰ للمؤمن الذي

---

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود العمادي، (٧/ ١٤٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/ ٢٦٧).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٨/ ٤٣).

كان ميتًا -أي: في الضلالة- هالكًا حائرًا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور هو القرآن، أو هو الإسلام، والكل صحيح: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: لا يهتدي إلىٰ منقذ ولا مخلص مما هو فيه(١)؛ لذلك اعتبر القرآن العبدَ المنتفعَ بالإنذار هو العبد الخليق بوصف الحياة في قوله تعالىٰ: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، فمن معاني الإحياء الشرعية التعبير بالحياة عن الإيمان والهداية والفكر المستقيم، والتعبير بالموت عن الكفر والضلال.

وفي السنة النبوية تعبير بالفعل (أحيا) لبيان إحياء أوامر الله في قوله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**»(٢)، فإحياء أمر الله بالعلم والعمل به إحياء للدين، وتركه إماتة له. قال الشاعر:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي(٣)

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ت: ٧٧٤ هـ)، (٣/ ٢٩٦)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، (١/ ٧٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم: (١٧٠٠) واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٨٥٢٥)، كلاهما من حديث البراء بن عازب.

(٣) ينظر: المفردات، للراغب، (ص: ٢٦٨-٢٦٩) والبيت لكثير عزة من قصيدة رثاء خندق الأسدي ينظر: ديوانه (ص:٢٢٣).

المطلب الثالث:
معاني الفعل (أنبت) ودلالته

أولًا: معاني الفعل (أنبت) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (**نبت**) و(**أنبت**) بمعنىٰ، والنَّبْتُ: النبات، وكل ما أنبت الله في الأرض فهو نبْت، والنبات فعله ويجري مجرىٰ اسمه، يقال: أنبت الله النبات إنباتًا؛ قال الفرَّاءُ: إن النبات اسم يقوم مقام المصدر، ونبت الشيء ينبت نبْتًا ونبَاتا وتنبَّت، والـمَنْبَتُ: الأصل، والموضع الذي ينبت الشيء فيه، واختار بعضهم أنبت بمعنىٰ نبت، وأنكره الأصمعي وأجازه أبو عبيدة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، قرئت (**تُنبِتُ**)، و(**تَنبُتُ**)[(١)]، قال الفراء: هما لغتان؛ نَبَتَتْ الأرض وأَنْبَتَتْ، وقال ابن سِيدَه: أمَّا تُنْبِتُ فذهب كثير من الناس إلىٰ أن معناه تُنْبِتُ الدُّهْنَ أي: شجر الدهن، أو حب الدهن، وأن الباء زائدة، ونبت وأنبتت مثل قولهم: مَطَرَت السماءِ وأَمْطَرَت[(٢)]. إذًا يحمل فعل الإنبات معاني ما يلي: **أولاً**: الإخراج من الأرض. **ثانيًا**: التنمية والتغذية.

---

(١) قرأَ ابن كثير وأبو عمرو البصري ورويس: (تُنبِتُ) بضمِّ التاء وكسر الباء، وقرأَ الباقون بفتح التاء وضم الباء: (تَنْبُتُ). ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥)، (ص: ٢٦٥).

(٢) ينظر مادة (نبت) في: (العين)، للخليل بن أحمد (٨/ ١٢٩- ١٣٠)، وتاج اللغة، للجوهري (١/ ٢٦٨)، والمفردات، للراغب (ص: ٧٨٧)، ولسان العرب لابن منظور، (٢/ ٩٥- ٩٦).

ثانيًا: دلالات الفعل (أنبت):

من دلالات الفعل (أنبت) علىٰ الخلق والإيجاد ما يلي:

أولًا: يدل الفعل (نبت) و(أنبت) علىٰ التحدي والإعجاز للبشر، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، حيث عطف أنبت علىٰ أنزل بفاء التعقيب والتفريع، ويبدو ذلك من خلال ما يلي:

١- أسند فعل الإنبات إلىٰ الله تعالىٰ بنون العظمة في قوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ أي: نحن الفاعِلين، كما أن (نون الجمع في ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ التفات من الغَيبة إلىٰ الحضور)[(١)]، والغَيبة التي بالفعل (**خَلَقَ، وأَنْزَلَ**) أي: هو وحده القادر علىٰ الخلق وإنزال الغيث دون سواه، بدليل المشاهدة الحاضرة حسًّا، ثم أثبت فعل الإنبات له سبحانه بضمير الحضور؛ لتأكيد أثر فعل الإنبات منه سبحانه، فـ(رجع من لفظ الغَيبة في قوله: (**خَلَقَ وَأَنْزَلَ**) إلىٰ التكلم في قوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ ثم قال: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ﴾؛ لأن الإنسان قد تَعرض له شبهة أن مُنبِت الشجرة هو الإنسان فإنه يقول: أنا الذي ألقي البذر في الأرض الحرة، وأَسعىٰ فِي سقيها بالماء وحرثها وفاعل السبب فاعل للمسبَّب)[(٢)]؛ ولأن الزارع له أسبابه فلا يركنن إليها، وفيه استحالة قدرة البشر علىٰ إنبات شجر؛ للكون المنفي.

٢- مهما كانت شُبهة الأسباب فإن أفعال خَلْق السماء والأرض، وإنزال الماء؛ لإنبات حدائق بهيجة كلها فعل الله تعالىٰ وخلقه وإنباته، شاهدة بأنه فاعل كل ذلك؛

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٠/ ص: ١١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٤/ ٥٦٣).

لذا قال بعدها: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾؛ للدلالة علىٰ أن الله هو فاعل مطلق لما أراد، غالب علىٰ أمره، فالأمر أمره والتدبير تدبيره.

٣- إذًا نفي فعل إنبات الشجر عن كل إنسان مخاطب عاقل في البشرية فقال: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾؛ لدلالة التحدي والإعجاز، ولبيان تأكيد انتفاء شيء من ذلك عن البشر، فالكون المنفي بعده لام الجحود الملحقة بعد كان المنفية يدل علىٰ تمام الانتفاء؛ ويدل علىٰ أن فعل الإنبات عن غير الله تعالىٰ في حيز الاستحالة والامتناع، وهذا أسلوب منتشر مشتهر في القرآن المجيد؛ لذلك قال: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤]، علىٰ سبيل التقرير والتسليم أن الله فاعل ذلك دون سواه.

ثانيًا: اقتران فعل الإنبات بـ**(سُنَّة الزوجية)**؛ وهي سنة من سنن الله تعالىٰ الكونية، حيث تدل علىٰ إنبات يتعلق بزوج أنثىٰ، وآخر ذكَر في كل نبات وشجر، وفي سائر خلق الله للبشر، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، فكلمة (سبحان) دالة علىٰ تنزيه الله عن كل نقص، وإقرار بأنه تعالىٰ خالق الأزواج كلها وفق سنة الزوجية، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]، وقوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠]، دلالة علىٰ صلة الفعل (أنبت) بالناميات من الزرع والشجر، وتوقفها علىٰ سنة الزوجية، ولما كان تكاثر الأزواج سنة الله فيما يخرج من الأرض قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[الشعراء: ٧]، دلالة علىٰ كثرة الخارج من الأرض بالإنبات، فحرف (كَمْ) أداة دالة علىٰ التكثير، ويشهد له كذلك قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ

﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣]، فكلمة (شَتَّىٰ) أي: متكاثرًا، وهذا موضع امتنان الله علىٰ خلقه وعباده.

ثالثًا: دلالة عامة مستمدة من الفعل (نبت) حيث تدل علىٰ أن النبات ما يخرج من الأرض من الناميات[1] سواء كان له ساق كالشجر، أو لم يكن له ساق كالزرع، والنجم[2]، لكن اختص في التعارف بما لا ساق له، بل قد اختص عند العامة بما يأكله الحيوان، ومتىٰ اعتبرت الحقائق فإن مصطلح (النبات) يستعمل في كل نامٍ زرعًا كان أو شجرًا، والإنبات يستعمل في ذلك، قال تعالىٰ: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ﴾ [النحل: ١١]، وقال: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٥-١٦].

رابعًا: ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية علىٰ خلقه بإخراج النبات والزرع، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]، فأسند فعل الإنبات إلىٰ تلك الأنواع من الزروع والنباتات، وهي واردة علىٰ سبيل إظهار المنة علىٰ بني إسرائيل، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٧- ٣١]، فهذا تعديد

---

(١) الناميات: كل ما ينمو طبيعيًّا عن طريق العناية والتغذية من نبات وحيوان وإنسان، فيدخل الإنسان ضمن الناميات في وجه تشابه هو (النمو)، وهذا إطلاق عام من مفهوم (العالم)، فيقال: عالم النبات نامٍ، وعالم الحشرات نامٍ وعالم الحيوان نامٍ.. إلخ، فيدخل ضمنه البشر، وهذه كلها يشملها كلمة (العَالَم)؛ لأنها محدثة لها محدث، هو الله تعالىٰ خلقها جميعًا من العدم. ينظر: (المفردات)، للراغب، (ص: ٧٨٧).

(٢) النجم يطلق علىٰ شيئين: الأول: الزرع الصغير النابت في الأرض، والثاني: الجسم المضيء في السماء. (الباحث).

لأنواع الخارج من الأرض النافع للإنسان والحيوان، واتضحت علاقة السببية بين فعل الإنبات والماء، قال الخطيب الشربيني رحمه الله: (هذا السياق لمطلق إخراج الزرع، وأول إصلاحه إنما هو لأكل الأنعام ولا يصلح للإنسان، وذكر من طعامه من العنب وغيره ما لا يصلح للأنعام فقدمه)(١)، وهذا موضع امتنان، وتعداد لنعم الرحمن تعالىٰ علىٰ الإنسان حتىٰ ينتهي عن الجحود والطغيان. ومنه قوله: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ﴾ [النحل: ١١]، وفي الفعل (ينبت) قراءتان: بالياء، و(ننبت) بنون التعظيم(٢)، ومنه وقوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ [ق:٩]، أي: المحصود.

خامسًا: ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية علىٰ خلقه بإخراج الشجر مما له ساق وجذر من الشجر، للدلالة علىٰ خصوص إنبات الشجر ذي الساق والجذر، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، فإن (هذا الإنبات من دلائل عظيم القدرة الربانية، فالغرض منه الاستدلال ممزوجًا بالتذكير بالنعمة، وأسند الإنبات إلىٰ الله لأنه الملهم لأسبابه، والخالق لأصوله تنبيهًا للناس علىٰ دفع غرورهم بقدرة أنفسهم، ولذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لكثرة ما تحت ذلك من الدقائق)(٣)، وإن من موضع المنة أن الله أنبت للإنسان

---

(١) ينظر: السراج المنير، للشربيني، (٣/ ٢١٦).

(٢) قرأ شعبة: (ننبت) بالنون علىٰ التفخيم مكان التحتية، وقرأ الباقون: (ينبت) بالياء، ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي، (ص: ٢١٧). قال الواحدي: والياء أشبه بما تقدم.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٤/ ١١٤- ١١٥).

غذاءه، حيث إن (الغذاء النباتي قسمان: حبوب وفواكه، أما الحبوب فإليها الإشارة بلفظ الزرع، وأما الفواكه فأشرفها الزيتون والنخيل والأعناب)(١)، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾ [عبس: ٢٨- ٣٠].

كما ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية بإبنات أقوات الإنسان، وذلك في قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾ [الحجر: ١٩]، علىٰ سبيل الكناية؛ فالشيء الموزون كناية قرآنية عما يزرع ويحصد ويدرس من النباتات ذات الحب المحصود، وهذا من إسناد فعل الإنبات للمزروعات؛ لبيان وجه الإنعام علىٰ البشر التي تقتات أقواتها بأنواع مختلفة منها.

ومنه قوله: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [ق:٩، ١٠]، قال الإمام الرازي(٢): (قوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾ استدلال بنفس النبات أي: الأشجار تنمو وتزيد، ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ فيه حذف تقديره: وحب الزرع الحصيد، وهو المحصود أي: أنشأنا جنات يقطف ثمارها وأصولُها باقية، وزرعًا يحصد كل سَنة، ويزرع في كل عام أو عامين، ويحتمل أن يقال التقدير: ونبت الحب الحصيد، والأول هو المختار، فهو جنس مختلط من الزرع والشجر فكأنه تعالىٰ خلق ما يقطف كل سنة ويزرع، وخلق ما لا يزرع كل سنة ويقطف مع

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (١٩/ ١٨٠- ١٨١).

(٢) الرازي: (٥٤٤-٦٠٦هـ) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: إمام مفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول، وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الري. ينظر: الأعلام، الزركلي (٦/ ٣١٣)، ومعجم المؤلفين، كحالة، (١١/ ٧٩).

بقاء أصلها، وخلق المركب من جنسين في الأثمار؛ لأن بعض الثمار فاكهة ولا قوت فيه، وأكثر الزرع قوت، والتمر فاكهة وقوت)[١]، فالجنات فيها شجر وزرع، ثم خص شجر النخل؛ لكثرة منافعه.

سادسًا: ورد فعل الإنبات في خصوص خلق الإنسان في موضعين، هما:

أولهما: عموم خلق ذرية آدم في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧]، حيث جاء المصدر فيه علىٰ غير وزن الفعل، وجاء نباتًا علىٰ لفظ نبت (في هذه الآية وجهان: أحدهما: معنىٰ قوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أنبت أباكم من الأرض، والثاني: أنه تعالىٰ أنبت الكل من الأرض؛ لأنه تعالىٰ إنما يخلقنا من النطف وهي متولدة من الأغذية المتولدة من النبات المتولد من الأرض)[٢]، والاحتمال الثاني أولىٰ بالقبول لكاف الخطاب، وهم ذرية آدم.

وهو ما رجَّحه الإمام الرازي، فقال: (وهذا الثاني أولىٰ لأن الإنبات صفة لله تعالىٰ، وصفة الله غير محسوسة لنا، فلا نعرف أن ذلك الإنبات إنبات عجيب كامل إلا بواسطة إخبار الله، وهذا المقام مقام الاستدلال علىٰ كمال قدرة الله تعالىٰ، فلا يمكن إدراكه بالسمع، فلما قال: أنبتكم نباتًا كان ذلك وصفًا للنبات بكونه عجيبًا كاملًا، وكون النبات كذلك أمرٌ مشاهد محسوس، فيمكن الاستدلال به علىٰ قدرة الله تعالىٰ)[٣]، وقال الراغب: (قال النحويون: قوله: «**نَباتًا**» موضوع موضع الإنبات وهو مصدر، وقال غيرهم: قوله: «**نَباتًا**» حال لا مصدر، ونبَّه بذلك أن الإنسان هو

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٢٨/ ١٢٩).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٣٠/ ٦٥٤).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٣٠/ ٦٥٤- ٦٥٥).

مِن وجهٍ نبات حيث إن بدءه ونشأته من التراب، وأنه ينمو نموَّه، وإن كان له وصفٌ زائدٌ علىٰ النبات، وعلىٰ هذا نبَّه بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [غافر: ٦٧])[١]، قال الإمام القرطبي[٢]: (يعني آدم عليه السلام خلقه من أديم الأرض كلها، قاله ابن جريج، وقد مضىٰ في سورة الأنعام والبقرة بيان ذلك، وقال خالد بن معدان: خلق الإنسان من طين)[٣].

أقول: إن حمل آية سورة نوح علىٰ تشبيه الإنسان بالنبات أولىٰ من حمله علىٰ حقيقة الإنبات؛ لأنه وصف يحمل إشارة قرآنية إلىٰ ضرورة رعاية الوالدين بالولد تنشئةً وتربية وتعليمًا، مع وصف زائد في الاعتناء بعقل الناشيء ووجدانه، ووصف الإنسان بالإنبات علىٰ الحقيقة يكون بعد ميلاده وبلوغه؛ وفي السُّنة وصَف النبي أحد شباب أصحابه فقال: «**نُوَيْبِتَةٌ**» قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نُوَيْبِتَةُ خَيرٍ أَمْ نُوَيْبِتَةُ شَرٍّ؟ قال: «**بَلْ نُوَيْبِتَةُ خَيرٍ**»[٤]، فالإنبات أمارة البلوغ، والنويبتة تصغير نابتة، أنبت

(١) ينظر: المفردات، للراغب، (ص: ٧٨٧).

(٢) القرطبي: (...-٦٧١هـ) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلىٰ الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي أسيوط، بمصر وتوفي فيها. ينظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٣٢٢)، ومعجم المؤلفين، لكحالة (٨/ ٢٣٩).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (١٩٦٤)، و(١٨/ ٣٠٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، رقم: (١٧٧٤٥) (٢٩/ ٢٨١)، وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير مسلم بن مشكم فقد روىٰ له أبو داود والنسائي وابن ماجة وهو ثقة، والطبراني في «الكبير» رقم: (٥٨٢)، وفي «الأوسط» (٦٧)، من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

الغلام: راهق واستبان شعر عانته، والنوابت: الأحداث الأغمار؛ لأن هذا الوصف يحمل معنىٰ النمو -وهو يطلق علىٰ سبيل الغلبة في الشيء بعد ميلاده وبلوغه-، ولأن الإنسان ككائن مستقل لا يشاهد حسًّا واقعًا بالفعل قبل الميلاد، إنما يكون كذلك بعد ميلاده، فليس ثمة امتهان لآدمية البشر، أو إهانة لكرامته الأصلية.

ثانيهما: خصوص السيدة مريم في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾ [آل عمران: ٣٧]، قال القرطبي: (يعني سوَّىٰ خلقها من غير زيادة ولا نقصان، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام واحد)(١)، أي: جعل نشأتها نشئًا حسنًا، وعلىٰ معنىٰ نبتت نباتًا حسنًا، والنابت من كل شيء الطري حين ينبت صغيرًا، ونبتت لهم نابتة إذا نشأ لهم نشء صغار.

سابعًا: علاقة فعل الإنبات بقانون السببية(٢)، مع ضرورة الإشارة إلىٰ أمرين لإنبات الزرع والشجر، هما: **أولهما**: الماء للري، فبالماء حياة كل كائن حي من إنسان وحيوان ونبات وشجر، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا﴾ [عبس: ٢٤، ٢٥] والأمر بالنظر بقوله: ﴿فَلۡيَنظُرِ﴾ يدل علىٰ تشريع النظر الواجب حيث كلف الله به الإنسان؛ لأن الماء آية مستقلة من آيات الله، فهذا موطن بحث في طبيعة تكوين الماء، وبيان أوجه ارتباط الحياة به، وأنها دعوة للنظر والاعتبار، والإيمان يوضِّح ذلك -أيضًا- قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج: ٥].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤/ ٦٩).

(٢) قانون السببية: علاقة التأثير والتأثر بين الأشياء سواء علىٰ سبيل الإيجاب والإثبات أو السلب والنفي، وفي الحقيقة الله فاعل لكل شيء، والعبد يباشر الأسباب لكنه لا يركن إليها.

ثانيهما: تراب الأرض بيئة إنبات الزرع والشجر، فهما ضرورة لحصول الإنبات، وإلىٰ كلا الأمرين الإشارة في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٦- ٣١]، لأن علاقة فعل الإنبات بالأرض الممهَّدة المهيَّأة لاستخراج النبات، حيث اقترن بها، وأخص صفات الأرض ترابها، وأما علاقة فعل الإنبات بالماء النازل من السماء فهي من علاقة السببية، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]؛ لأن الماء ضروري لنمو كل كائن حي، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٤- ١٦].

تبدو علاقة السببية جلية واضحة بين إنزال الماء مع تهيئة الأرض وبين إنبات الزرع والشجر، وهو موطن اغترار البشر(١)، فلما كان فاعل الإنبات هو الله قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، وهذا التحدي واضح بإنبات الشجر؛ لذلك فإن العبد يزرع شجره ويتوكل علىٰ ربه في إخراج ثمره وحصاده، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨]، كما دعانا الله للنظر والاعتبار في هذا الخلق المعجب، فقال: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

ثامنًا: علاقة فعل الإنبات بالفعل (أخرج)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟

(١) كما اغتر صاحب الجنتين وذكر الله قصته في سورة الكهف.

إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩] (خَضِرًا) بكسر الضاد: نوع من البقول ليس من جيدها، التي ينبتها الربيع بتوالي أمطاره فتحسن وتنعم، ولكنه من البقول التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها، وتسميها العرب الجنبة، فلا ترىٰ الماشية تكثر من أكلها ولا تستمرئها[(١)]، وأما ﴿قِنۡوَانٌ﴾ فإن (القِنْوَ: العذق، وتثنيته: قِنْوَانِ، وجمعه قِنْوَانٌ)[(٢)]، و﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة من القِطاف، و﴿مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ أي: متماثل طعمًا أو لونًا أو شكلًا، والفعل ﴿وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾: نضجه، من (يَنَعَت الثمرةُ تَيْنَعُ يَنْعًا، وأَيْنَعَتْ إِيناعًا فهي يَانِعَةٌ ومُونِعَةٌ، وهو المدرك البالغ)[(٣)]، أي: النضيخ، هذه من مواضع المنن الربانية علىٰ الإنسان.

إذًا يطلق الفعل (نبت) علىٰ كل ما ينمو نموًّا طبيعيًّا برعاية وتغذية من نبات وحيوان عاقلًا أو غير عاقل، ودلالته علىٰ نمو الإنسان والحيوان بعد الميلاد دلالة أغلبية؛ لأنه يدل علىٰ ما ينمو من ذاته، والجنين نموه مستمد من أمِّه، ونمو الإنسان علىٰ ما يخرج من الأرض من زرع وشجر أصلية فيه بعد خروجه للحياة بعد الميلاد؛ لذلك يطلق هذا الفعل علىٰ ذرية آدم؛ لأن آدم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه، قال ابن عاشور: (والنبات: اسم لما ينبت، وهو اسم مصدر نبت، سمِّي به النابت علىٰ طريقة المجاز الذي صار حقيقة شائعة فصار النبات اسمًا مشتركًا مع المصدر)[(٤)]، بهذا يتبين عموم إطلاق النبات في القرآن، فلم يطلق علىٰ الإنسان إلا توسعًا من باب النماء والتغذية.

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٤/ ٣٠٤).

(٢) مادة (قنو) في المفردات، للراغب، (ص: ٦٨٦).

(٣) مادة (ينع)، ينظر: المفردات، للراغب، (ص:٨٩٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧/ ٣٩٨).

المطلب الرابع:
معاني الفعل (أخرج) ودلالته

أولًا: معاني الفعل (أخرج) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (أخرج) أصله (خرج): الخاء والراء والجيم أصلان، وقد يمكن الجمع بينهما، فالأول: النفاذ عن الشيء، والثاني: اختلاف لونين، فأمَّا الأصل الأول فقولنا: خَرَجَ يَخرُج خُروجًا فهو خارجٌ، والخروجُ: نقيضُ الدخولِ، وخَرَجَ خروجًا ومَخْرَجًا، وقد يكون المَخْرَجُ موضع الخروج، يقال: خرج مَخرجًا حسَنًا، وأمَّا المُخْرَجُ فقد يكون مصدرَ قولِك: أَخْرَجَهُ، والمفعولَ به، واسمَ المكان والوقتِ، والخُروجُ والخرج: السحاب أول ما يبدأ وينشأ، والخَرْجُ والخَراجُ: ما يُخرج من المال في السَّنة بقدرٍ معلوم، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، ومنه: ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وهذا مخرجه؛ لأن الفعل جاوز ثلاثة أحرف، فتضم ميمه؛ كدحرج، والاستخراج كالاستنباط.

وأما الأصل الآخر: فالخرج لونان بين سَوادٍ وبياضٍ، ويقال: ظليم أخرجُ، ونعامة خَرْجَاء، وأرض مُخَرَّجَة: ذات لونين، لكون النبات منها في مكان دون مكان[1]، وأفاد الراغب أن الفعل (خرج) يدل علىٰ (البروز من المقرِّ أو الحال، والإِخْرَاجُ أكثر ما يقال في الأعيان)[2]، وفعْلُ الخلقِ إخراجٌ للمخلوق بعد تكوينه.

---

(١) ينظر مادة (خرج) في: (العين)، للخليل بن أحمد، (٤/ ١٥٨)، وتاج اللغة، للجوهري (١/ ٣٠٩-٣١٠)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ١٧٥)، والمفردات، للراغب (ص: ٢٧٨-٢٧٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٧٨).

إذًا معاني الفعل (أخرج) النفاذ والبروز، والإبراز والتجاوز، والانتقال من مكان إلىٰ مكان، أو التنقل من حال إلىٰ حال، ومحل الدراسة في الفعل الرباعي (أخرج).

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (أخرج):

دلالة الفعل (أخرج) علىٰ الخلق والإيجاد:

أولًا: يفيد الفعل (أخرج) إظهار حال الإنسان عند خلقه، وبداية وجوده حينما يخرج من بطن أمه كصفحة بيضاء خالية من العلم، وفي ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [النحل: ٧٨]، فحال الإنسان خلو تام من أيِّ علم ومعرفة، ﴿لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ في موقع الحال أي: غير عالمين شيئًا أصلًا، وهذا يدل علىٰ سنة من سنن الله في خلق الإنسان، وهي سنة (الفطرة) النقية البيضاء التي لم يَشُبْها شائبة من شك أو كفر أو إنكار، حتىٰ يتعرف الإنسان علىٰ الحياة فيهديه الله إلىٰ أيِّ سبيلٍ يختاره من نفع وخير، أو شر وضر.

ثانيًا: علاقة الفعل (أخرج) بخلق النبات وإيجاده، إظهارًا للمنة الربانية، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا﴾ [الأنعام: ٩٩]، حيث عطف علىٰ إنزال الماء إخراج نبات كل شيء، كما عطف عليه إخراج الخضر منه، والفاء في قوله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ للتفريع، وقوله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا﴾ تفصيل لمضمون جملة ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فالله تعالىٰ يخرج نبات كل شيء من زرع وحب -محط الاقتيات-، ويخرج كذلك من كل الثمرات -محط التفكه والرفاه-؛ ليجمع بين القوت والفاكهة

في موطن الامتنان وإسداء النعم.

وفي التفسير: (قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ علىٰ طريقة الالتفات والباء للسببية، والضمير المجرور بالباء عائد علىٰ الماء أي: جعل الله الماء سببًا لخروج النبات، و(شَيْء) يراد به صنف من النبات بقرينة إضافة نبات إليه، والمعنىٰ: فأخرجنا بالماء ما ينبت من أصناف النبات، فالنبات: جنس له أنواع كثيرة، فمنه الزرع، مما له ساق لينة، ومنه الشجر مما له ساق غليظة، ومنه النجم مما ينبت لاصقًا بالتراب، وهذا التعميم يشير لاختلاف الصفات والثمرات والطبائع والخصوصيات والمذاق، وهي كلها نابتة من ماء السماء الذي هو واحد، وذلك آية علىٰ عظم القدرة، قال تعالىٰ: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ﴾ [الرعد: ٤]، وهو تنبيه للناس؛ ليعتبروا بدقائق ما أودعه الله فيها من مختلف القوىٰ التي سببت اختلاف أحوالها، و(مِنْ) ابتدائية أو تبعيضية، والضمير المجرور بها عائد إلىٰ النبات، أي: فكان من النبت خضر ونخل وجنات وشجر، وهذا تقسيم الجنس إلىٰ أنواعه، والخضر: الشيء الذي لونه أخضر، يقال: أخضر وخَضِر كما يقال: أعور وعَوِر، ويطلق الخَضِر اسمًا للنبت الرطب الذي ليس بشجر كالقضب، وجملة ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ صفة لقوله: ﴿خَضِرًا﴾؛ لأنه صار اسمًا)[(١)].

ثالثًا: علاقة الفعل (أخرج) باعتبار أولي النُّهىٰ، حيث ورد الفعل (أخرج) محط تذكرة أولي النهىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٣- ٥٤]، وقوله: ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ أي: (لذوي العقول، واحدها نهية، تنهىٰ عن المحظور، أو ينتهىٰ إليها في

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧/ ٣٩٨-٣٩٩) باختصار يسير.

الأمور)[١]، و(قيل: لأنهم ينهون النفس عن القبائح)[٢]، وواضح أن حكمة تسمية (أولي النهىٰ)؛ لأنهم وفِّقوا إلىٰ فهم وتدبر مواضع منن الخالق، ودلائل الخلق، ويدل علىٰ ذلك قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ الآيات أي: علامات دالة لهم، منها: إثبات التوحيد، وإظهار المنن الربانية في نعمه وآلائه علىٰ العباد في سائر البلاد.

وسبق ذلك بآيات مشاهدة من إنزال ماء السماء، ثم قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ ضمير الغَيبة يعود إلىٰ الماء، نَقَل الكلام من الغَيبة إلىٰ لفظ المتكلم المطاع للافتنان، و﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا، و﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: متفرق متنوع[٣]، ونبات مصدر سمي به النبات فاستوىٰ فيه الواحد والجمع، و﴿شَتَّىٰ﴾ صفة للأزواج أو للنبات، جمع شتيت كمريض ومرضىٰ، أي: إنها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم)[٤]، وقوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ حال من الضمير في ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ والمعنىٰ: (أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها، وتعلفوا بعضها)[٥]، ففي تعديد الخارج من الأرض تعدُّد للمنة للمكلَّفين، وفي كون بعض الخارج للعاقل وبعضها للأنعام منة أخرىٰ للمكلفين بتمام قضاء المصالح.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، (ت:٧١٠هـ)، (٢/ ٣٦٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١/ ٢١٠).

(٣) شتَّ الشيء أي: تفرق، يقال أمرٌ شَتٌّ: متفرِّق، وشتَّ الأمر شتًّا وشَتاتًا: تفرَّق، واستشت مثله، والتشتُّت وشتته تشتيتًا، والشتيت: المتفرق، وقوم شتَّىٰ: أشتاتًا متفرقين، وأشياء شتىٰ: متفرقة. ينظر: تاج اللغة للجوهري (١/ ٢٥٤-٢٥٥).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢/ ٣٦٨).

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢/ ٣٦٩)، وينظر: التفسير الكبير للرازي، (٢٢/ ٦١).

إذًا دلالة الفعل (أخرج) علىٰ تمام منة الله علىٰ عباده في أنْ خلقهم وخلق لهم النبات، فبعد أن ذكر جعل الأرض مهدًا، وسلك سبلها، وإنزال الماء، وإخراج النبات به، أشار إلىٰ أن هذه مواطن اعتبار أهل النهىٰ والعقول.

رابعًا: علاقة الفعل (أخرج) باعتبار أولي الألباب، حيث ورد الفعل (أخرج) محط ذكرىٰ أولي الألباب في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١]، فبعد أن ذكر إنزالَ الماء وسلكه ينابيع في الأرض، وإخراجَ زرعٍ به مختلف لونه، ثم يهيج حتىٰ يذبل ويصير يابسًا أشار إلىٰ أن هذه مواضع الاعتبار والعظة لأولي الألباب، أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون أن الدنيا تكون خضرة حلوة نضرة ثم تعود شوهاء، والشاب يعود شيخًا هرمًا كبيرًا ضعيفًا، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلىٰ خير(١)، فهذا يدل علىٰ قدرة الله علىٰ البعث والمعاد.

خامسًا: علاقة الفعل (أخرج) بآيات الله للإنسان العاقل في قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩] قال الرازي: (وإنما جُعِلُوا كالزرع؛ لأنه أول ما يخرج يكون ضعيفًا، وله نمو إلىٰ حدِّ الكمال، فكذلك المؤمنون، والشَّطء الفرخ)(٢)، وقال ابن عاشور: (هذا يتضمن نماء الإيمان في قلوبهم، وبأنهم يدعون الناس إلىٰ الدين حتىٰ يكثر المؤمنون كما تنبت الحبَّة مائة سنبلة، وكما تنبت من النواة الشجرة العظيمة)(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٨٣).

(٢) التفسير الكبير، للرازي، (٢٨/ ٨٩).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٠٨)، وأتىٰ بفقرات المشابهة من إنجيل متىٰ: [الإصحاح ١٣ فقرة ٣].

سادسًا: علاقة الفعل (أخرج) بالماء والمرعىٰ في قوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١]، وفيه إشارة إلىٰ أن الماء يخرج من ينابيع الأرض كما ينزل غيثًا من السماء، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [النازعات: ٣٠]، فالله هو من يسر سبيل الماء عيونًا وينابيع في الأرض؛ ليستخرج منها الماء، والمرعىٰ وهو الكلأ والعشب الأخضر، وفيه جمع بين الماء والمرعىٰ، أي: الشراب والطعام من باب التذكير بمواضع المنن، والتعرُّض لها بالشكر وذكر المنعم.

سابعًا: اقترن الفعل (أخرج) بالفعل (جعل) في قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٤-٥]، أي: تغير حال الكلأ، ولونه لبيان الفضلات الخارجة من الكائن الحي[1]، (والْمَرْعَىٰ: النبت ترعاه السوائم، وأصله: مصدر ميمي أطلق علىٰ الشيء المُرعَىٰ؛ من إطلاق المصدر علىٰ المفعول، كالخلق بمعنىٰ المخلوق، أو اسم مكان للمرعىٰ، والغُثَاء: ويقال بتشديد المثلثة، هو: اليابس من النبت، والأَحْوَىٰ: الموصوف بالحُوَّة -بضم الحاء وتشديد الواو-، وهي من الألوان: سُمرة تقترب من السواد، وهو صفة غثاء؛ لأن الغثاء يابس فتصير خضرته حُوَّة)[2]، وهذا موضع منَّة ربانية؛ لأن لازم أكل المرعىٰ إخراجه بعد قضمه وهضمه، فمن يسَّر إخراج العباد بخلْقِهم من عدم يسَّر كذلك سبيل (الإخراج) كحالة طبيعية للإنسان.

ثامنًا: علاقة الفعل (أخرج) بالعقائد، في أمور، منها ما يلي:

---

(١) وسيأتي مزيد بيان ذلك مع دراسة معاني الفعل (يعيد) ودلالته.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/ ٢٧٨).

اشتمال علم الله تعالىٰ علىٰ ما يتعلق بالساعة، وإخراج الثمرات، وحمل الأنثىٰ، في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ [فصلت:٤٧] وفي الآية دلالات:

أولًا: يدل علىٰ أمور عطف جملة ﴿وَمَا تَخۡرُجُ﴾ وما بعدها توجيه لصرف العلم بوقت الساعة إلىٰ الله تعالىٰ بذكر نظائر لا يعلمها الناس، مع أنها أمور مشاهدة في الواقع، وهذا وجه الجمع بين تلك النظائر، وهي: (١) لا يعلم ميعاد الساعة وتفصيل أحوالها إلا الله تعالىٰ (٢) لا يعلم حمل الأنثىٰ من الناس والحيوان التي تلقح من التي لا تلقح إلا الله (٣) لا يعلم وقت وضع الأجنة؛ إلا الله تعالىٰ، فإن الإناث تكون حوامل مثقلة، بلا حول أو قوة، والله أعلم بها وما حملت(١).

ثانيًا: علم ما تخرجه أكمام النخيل من الثمر بقدره وجودته وثباته أو سقوطه، وضمير أكمامها راجع للثمرات، والأكمام: جمع كِمٍّ بكسر الكاف وتشديد الميم، وهو وعاء الثمر وهو الجف الذي يخرج من النخلة محتويًا علىٰ طلع الثمر.

ثالثًا: يدل عموم التأنيث في قوله: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ﴾ علىٰ عموم علمه بالعاقل وغير العاقل، كما تشير الآية إلىٰ أن علم الساعة وعلم الله بحمل الأنثىٰ ووضعها كلاهما من الغيبيات الخمسة التي لا يعلمها إلا الله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ [لقمان: ٣٤]، والآية الكريمة في جملة سياقها يدل علىٰ عموم علم الله تعالىٰ، وإحاطته بكل أمر كلي كان أو جزئي، خلافًا للفلاسفة القائلين بأن الله يعلم الأمور الكلية دون التفاصيل الجزئية.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥/ ص: ٥-٦).

ومن دلالة الفعل (أخرج) علىٰ عقيدة البعث والمعاد في الآخرة، ما ورد بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١]، هذا كقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

إن دلالة ذلك هي التنبيه علىٰ أمر المعاد والبعث، وفي التفسير: (كل ما كان في الأرض من الماء فهو ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ثم إنه تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك، أو مختلفًا أصنافه، من بُرٍّ وشعير وسمسم ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾، وذلك بأنه إذا تم جفافه جاز له أن ينفصل عن منابته، وإن لم تتفرق أجزاؤه فتلك الأجزاء كأنها هاجت لأن تتفرق، ثم يصير ﴿حُطَٰمًا﴾ يابسًا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ يعني: أن من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك، وأنه وإن طال عمره فلابد له من الانتهاء إلىٰ أن يصير مصفرَّ اللون، منحطم الأعضاء والأجزاء، ثم تكون عاقبته الموت، فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات تذكِّره حصول مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته، فحينئذ تعظم نفرته من الدنيا وطيباتها)[1] أي: من باب الاعتبار، ومقايسة تغيُّر أحوال الإنسان علىٰ تغير أحوال النبات بدليل المشاهدة، وقرينة الواقع في الحياة.

١- ومن دلالة الفعل (أخرج) بعقيدة الإحياء والموت أن علاقة الفعل مطردة ودالة علىٰ عموم إحياء الله للأرض والبلاد والبشر بإخراج الحي من الميت، يثبت إعجاز الخلق والإيجاد لمن فنِيَ بعد وجود، فعلىٰ سبيل التقابل بين الإحياء والإماتة، في أربعة مواضع عامة نصَّ علىٰ إخراج الله حياة الحيّ إلىٰ موت ميتٍ، وهي:

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٦/ ٤٣٩-٤٤٠).

الموضع الأول: في قوله: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ [آل عمران: ٢٧] أسلوب الخطاب، أي: أنت الله وحدك الحاضر في الذهن، والشاهد القائم الذي لا يغيب، ولا تخفىٰ عليه خافية فاعل ذلك دون سواك، ويدل ذلك علىٰ ضرورة الإقرار لله بكلا الفعلين، وبقية المواضع بأسلوب الغَيبة ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ أي: هو، وهذا الموضع يدل علىٰ (تدبير أرزاق العباد فقال: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧] هو كالتذييل لذلك كله، والرزق ما ينتفع به الإنسان فيطلق علىٰ الطعام والثمار)[١]، وهذا من تمام فضل الله علىٰ العباد فأخرجهم للحياة، ولم يتركهم هملًا، بل يسر أرزاقهم، وأقواتهم في الحياة الدنيا.

الموضع الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥][٢]، (أي: يخرج النبات الحي من الحب والنوىٰ، الذي هو كالجماد الميت)[٣]، وقال: (هو ما نحن فيه من قدرته علىٰ خلق الأشياء المتقابلة، وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها، ليدل خلقه علىٰ كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحَبِّ والحب من النبات، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن)[٤]، ثم أتىٰ بصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾؛ لتدل صيغة الاسمية علىٰ

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ٢١٥).

(٢) قد ورد قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ بأسلوب الغيبة أي: هو سبحانه، في سور: [الأنعام: ٩٥]، و[يونس: ٣١]، و[الروم: ١٩]، وورد قوله: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ أسلوب الخطاب في سورة [آل عمران: ٢٧].

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ٢٧٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ٢٧٧).

دوام واستمرار إخراج الله الميت من الحي، وفيه إشارة للاستدلال علىٰ كمال الله في قدرته ووحدانيته؛ لذا قال بعدها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ أي: الله فاعل ذلك هو الأولىٰ بالتوحيد وتمام التأليه والعبودية دون سواه من الأنداد، دون بقية المواضع فبصيغة الفعل فيهما.

الموضع الثالث: في قوله: ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ﴾ [يونس: ٣١] بأسلوب الاستفهام التقريري، وكذلك يحمل هذا الموضع دليلًا واضحًا علىٰ تدبير الله وحده -دون سواه من آلهة أخرىٰ- لأمور العباد والبلاد في الحياة الدنيا، فقال: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ﴾ [يونس: ٣١]، وهذا تدبير شؤون العباد وفق مراد الله تعالىٰ، ثم أتىٰ بجوابه بعده مباشرة: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وهذا جواب فطري حيث لم يدَّعِ أحد فعلَ الإحياء والإماتة مطلقًا إلا علىٰ سبيل التشغيب من النمرود، وهو باطل، لذلك لم يرد عليه الخليل، بل انتقل إلىٰ دليل مشاهَد أكثر ظهورًا للعيان وهو إشراق الشمس من مشرقها.

الموضع الرابع: فقال: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ [الروم: ١٩]، بصيغة المضارع وبأسلوب الغَيبة فيهما، وهو يحمل دليلًا علىٰ البعث بعد الموت في قوله: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، (لينتظم الدليل علىٰ هذين الأصلين المهمين: أصل الوحدانية، وأصل البعث)(١)، حيث إن كمال قدرة الله تعالىٰ الفاعل لما يشاء، مدبر أمور العباد والبلاد، فهو القادر وحده دون سواه علىٰ أن يبعثهم بعد الممات. لذا فإن التسليم لله تعالىٰ من الواجب.

تاسعًا: دلالة الفعل (أخرج) علىٰ التحدي بالموت والحياة: كما في قوله تعالىٰ:

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١/ ٨٥).

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣]، يظهر ذلك التحدي في حال معالجة الموت وقت السكرات والنزع، والتحدي ممن خلق للإنسان الحياة والموت، وجعل له أجلًا مسمًّىٰ، وإنْ تمنىٰ العبدُ الموتَ لضر أصابه فلن يستطيع إماتة نفسه بإخراج روحه من بدنه إلا إذا اعتدىٰ علىٰ بنيته بالانتحار وهو محرم شرعًا.

لقد تناولت السُّنة هذه الحال وذلك الظرف في توعية الفرد المسلم، ففي حديث أبي هريرة قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قال: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَىٰ الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الغِنَىٰ، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**»(١)، فمعنىٰ الحديث: أن الشح غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها، وتصدق كان أصدق في نيته، وأعظم لأجره، بخلاف من أشرف علىٰ الموت، وأيس من الحياة، ورأىٰ مصير المال؛ لأن وقت النزع -وهو وقت ضيِّق تعد فيه الكلمات ويكون التعبير بكلمات معدودة وعَبَرات- يسارع الكثير من الناس بالوصية في مرضاة الله تعالىٰ مع أنه كان في سعة الحياة يرتع ويربع ويلعب.

ومن ناحية أخرىٰ فإنه تبدو صلة الفعل (أخرج) بتحدي خلق حياة الحي، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٦-٦٧]، حيث استبعد الإنسان الملحد البعث

---

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب الزكاة، بَابُ: فَضْلِ صَدَقَةِ الشَّحِيحِ الصَّحِيحِ، رقم: (١٤١٩) (٢/ ١١٠)، واللفظ له، ومسلم، في «صحيحه» كتاب الزكاة، بَابُ: بَيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الصَّحِيحِ الشَّحِيحِ، رقم: (١٠٣٢) (٣/ ٧١٦).

بعد الموت، والمراد بالإنسان في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ (إمَّا الجنس بأسره، وإسناد القول للكل؛ لوجود القول بينهم، وإن لم يقله الجميع، وإمَّا البعض المعهود منهم، وهُم أهلُ الكفر، أو أُبَي بن خلف، فإنه أخذ عظامًا بالية ففتَّها، وقال أُبَي: «يزعم محمد أنا نُبعث بعدما نموت، ونصير إلىٰ هذا الحال» أي: يقول ابنُ خلف ذلك بطريق الإنكار والاستبعاد، وعن مثل هذا الإنكار قال ربُّنا: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ أي: أُبعث من الأرض، أو من حال الموت)(١)، ووجه الإعجاز بخلق المنكِر ذاته في الدنيا لقوله: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ﴾ الذي فلم يدَّعِ فعل الخلق في الدنيا أحد إلا الله تعالىٰ.

ورجَّح ابن عاشور أن المراد بالإنسان البعض علىٰ احتمالين هما: الأول: أن (المراد بالإنسان جمعٌ من الناس، بقرينة قوله بعده: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ﴾ [مريم: ٦٨] فيراد مَن كانت هذه مقالته -وهم معظم المخاطبين بالقرآن في أول نزوله-. الثاني: يجوز أن يكون وصفٌ حُذِف أي: الإنسان الكافر، فتكون كقوله تعالىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣-٤]، وكذلك إطلاق الناس علىٰ خصوص المشركين ورد في آيات، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١])(٢).

وكان الجواب في قوله: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الاستفهام إنكار وتعجيب من ذهول الإنسان المنكِر للبعث عن خلقه الأول(٣)، وهذا يدل علىٰ العلاقة بين الفعل

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود العمادي، (٥/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٦/ ١٤٤).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٦/ ١٤٥).

(أخرج) بفعل الخلق والإيجاد بصفة عامة، كما يدل على علاقته بالحياة الأخرىٰ (البعث بعد الموت).

قال أبو السعود: من الذكر الذي يراد به التفكر والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكر فيما جرىٰ عليه من شؤون التكوين الموحية بالقلع عن القول المذكور، وهو السر في إسناده إلىٰ الجنس أو إلىٰ الفرد بذلك العنوان، والهمزة للإنكار التوبيخي، والواو لعطف الجملة المنفية علىٰ مقدَّر يدل عليه، أي: أيقول الإنسان ذلك ولا يذكر ﴿وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ أي: والحال أنه لم يكن حينئذ شيئًا أصلًا، فحيث خلقناه، وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الواقع فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة، وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض أولىٰ وأظهر (١).

◆ ◆ ◆

المطلب الخامس:
معاني الفعل (جعل) ودلالته

◆ أولًا: معاني الفعل (جعل) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (جعل) من جَعَلَ جَعْلًا أي: صنع صُنعًا، وجَعَلَ أعمُّ؛ لأنَّكَ تقول: جَعَلَ يأكُلُ، وَجَعَلَ يصنع كذا، ولا تقول: صَنَعَ يأكُلُ، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٣٠]، أي: صيَّرني، وقال: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: ١٩]، أي: سمَّوهم، والجُعْل والـجُعَالة: ما جعلت لإنسان أجرًا له

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/ ٢٧٤-٢٧٥).

علىٰ عمل يعملُهُ، والجُعالاتُ: ما يتجاعل الناس بينهم عند بعث، أو أمر يحزبهم من السلُّطان، والجُعَلُ: دابَّةٌ من هوام الأرض، والجَعْلُ، واحدُها جَعْلَة: وهي النَّخلُ الصِّغار، وَالْجَعْوَلُ: وَلَدْ النَّعامِ(١)، وقد أفاد الإمام الراغب أن الفعل (جعل) يفيد التصيير، فهو (لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعَل وصنَع وسائر أخواتها، ويتصرف علىٰ خمسة أوجه:

الأول: يجري مجرىٰ (أوجد) فيتعدىٰ لمفعول واحد، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [النحل: ٧٨].

الثاني: في إيجاد شيء من شيء، وتكوينه، منه قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، وقال: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنًا﴾ [النحل: ٨١].

الثالث: في تصيير الشيء علىٰ حالة دون حالة، نحو قوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ [النحل: ٨١]، وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦].

الرابع: يجري مجرىٰ صار وطفق، فلا يتعدىٰ، نحو (جعل زيد يقول كذا).

والخامس: الحكم بالشيء علىٰ الشيء حقًّا كان أو باطلًا، فأما الحق فنحو قوله: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، وأمَّا الباطل فنحو قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا

(١) ينظر مادة (جعل) في: (العين) للخليل، (١/ ٢٢٩)، وتاج اللغة، للجوهري (٤/ ١٦٥٦)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٤٦٠-٤٦١)، والقاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ (ت: ٨١٧هـ)، (ص:٩٧٧).

﴿ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ﴾ [النحل: ٥٧]، ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١])[1]. أقول: وهذه الأنواع الثلاثة الأولىٰ محط الخلق والإيجاد من محض العدم عدا النوعين الرابع والخامس.

تبين مما سبق أن الفعل (جعل) تعددت معانيه، ومنها: خلق وصنع، وبمعنىٰ صار، فمن دلالته في اللغة: التحويل والصيرورة، فلما كثرت دلالات الفعل (جعل)، وكان الخلق أحد دلالاته اكتفيت بغيره من أفعال الخلق والإيجاد لوضوح دلالاته.

ثانيًا: دلالات الفعل (جعل):

أولًا: عطف القرآن الفعل (جعل) علىٰ أفعال الخلق والإيجاد الصريحة الأساسية، وهي: (خَلَق وأَنشأ) بالواو العاطفة، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فعطف جعل علىٰ خلق، وفي قوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الملك: ٢٣]، فعطف جعل علىٰ أنشأ، والواو حرف عطف يفيد الترتيب، أو لمطلق الجمع وهو الأولىٰ، وهذا يدل علىٰ أن الفعل (جعل) له دلالة الخلق من عدم؛ لعطفه علىٰ (خَلَق وأَنْشأ)، بينما عطف الفعل (يذرأ) علىٰ (جعل)، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ليدل علىٰ تهيئة المخلوق بعد الإيجاد، لعطف الفعل (يذرؤكم) عليه لبيان النسل والذرية، ويدل علىٰ أنه قبل الخروج للحياة ربما مرحلة التصوير، وقد سبق الارتباط بين الفعل (أخرج وجعل)[2].

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب، (ص:١٩٦-١٩٧).

(٢) تنظر الدلالة السابعة للفعل «أخرج»، ص: ٥١-٥٢.

ثانيًا: دلالة الفعل (جعل) علىٰ سنة الزوجية في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢، والشورىٰ: ١١]، قال الشربيني: (والمعنىٰ أنه تعالىٰ خلق النساء لتتزوَّج بهنَّ الذكور، ومعنىٰ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة، ٥٤]، وقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور، ٦١]، أي: بعضكم بعضًا، ونظيره قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم، ٢١])(١).

وقال ابن عاشور: (جعل للإنسان سنة التناسل بالزوجية، فجعل تناسله بالتزاوج، ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وجعل أزواج الإنسان من صنفه، ولم يجعلها من صنف آخر؛ لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، كما جعل في ذلك التزاوج أنسًا بين الزوجين، ولم يجعله تزاوجًا عنيفًا أو مهلكًا كتزاوج العناكب(٢)، والضفادع، وأنْ جعَل بين كل زوجين مودة ومحبة، فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعَل بينهما رحمة)(٣)، وفي ذلك أوجه لمنة الله في سنة التزواج والزوجية.

ثالثًا: اقترن الفعل (جعل) بالفعل (خلق) بالعطف عليه في قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا﴾ [الأعراف: ١٨٩] للتعبير عن تهيئة الأزواج من أنفس أزواجهم أي: من جنسهم، حيث إن جعْلَ المرأة من جنس الرجل، وهو موضع منة في ذاته لكلا الطرفين -الرجل والمرأة-؛ لأن ما تجانَسَ

---

(١) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٢/ ٢٤٨-٢٤٩).

(٢) تقتل أنثىٰ العناكب الذَّكرَ بعد إتمام التزاوج؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١/ ٧١).

تَآنسَ، فقد ثبت التعليل العام لآدم وذريته؛ لوضوح خلق كلٍّ من الزوجين علىٰ جهة استقلال للآخر علىٰ وجه الامتنان.

رابعًا: ارتباط الفعل (جعل) بخلق الأزواج والحفدة، في قوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النحل: ٧٢]؛ ليبين ارتباط الفعل (جعل) بسنة الزوجية، والجمع بين جعل الأزواج والحفدة دليل المنة بالتناسل، وتكاثر الذرية، و(المشهور أنَّ الحافد ولد الولد من الذكور والإناث)(١)، وتكرر الفعل (جعل) مع الحفدة؛ لتأكيد استقلالية كل منهما عن الآخر، ولإظهار براعة الخلق، ولتفريع الخلق بعضهم من بعض برءًا وذرءًا وبثًّا، وهذه الآية الكريمة دليل منتظمٌ في سلك أدلةِ التوحيد؛ لأن الله لا زوج له ولا ولد، فقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

خامسًا: ارتباط الفعل (جعل) بخلق الإنسان وتهيئة حواسه، في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩] حيث هيَّأ الإنسان للحياة بخلق حواسه عند التَّكوين الذي هو من فعل الله تعالىٰ، بدلالة أصلية للفعل (جعل) لاحقة بالفعل (أخرج) حيث عطفه علىٰ جعل الأزواج، وعلاقة الفعل (جعل) بالخلْق تبدو في التعبير به عن مرحلة تكوين أعضاء الإنسان لتحقيق تمام المخلوق، فجعل السمع والأبصار والأفئدة أي: أَخْرَجَكُم بلا شيء، ثم أعطاكم ومنحكم سمعًا وبصرًا وفؤادًا، وليس فيه دلالةٌ علىٰ تأخر الجعْل المذكور عن الإخراج لأن مدلول الواو هو الجمعُ مطلقًا لا الترتيب علىٰ أن أثر ذلك الجعلِ

(١) السراج المنير، للخطيب الشربيني (٢/ ٢٤٩).

لا يظهر قبل الإخراج أي: جعل لكم هذه الأشياءَ آلاتٍ تحصِّلون بها العلمَ والمعرفة[١]، والتذكير بالحواس لحفظها وصيانتها من الحرام، لذلك قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

كما أظهر الفعل (جعل) مواطن المنة الربانية طلبًا لاستحقاق المنعم شكرًا وحمدًا؛ فأما مواطن المنة الربانية علىٰ خلقه، ففي تهيئة حواسَّ الإنسان الظاهرة، وهي:

١ – (السمع) آلته الأذُن؛ للاستماع والمعرفة، فالسمع محل التفاهم المتبادل بين الناس بسماع الخطاب وردِّ الجواب، وتقديمُ السمعِ علىٰ البصرِ؛ لأنه طريق تلقِّي الوحي، وإدراك السمع أقدمُ من إدراك البصر، وإفرادُه باعتبار كونه مصدرًا في الأصل، ووحدة المسموع.

٢– (الأبصار) آلته العين، وهي جمع (بَصَر) والجمع لتعدد المُبصَرات؛ لتحقيق تعارف الناس، والبَصَر أصل لمنهج التجربة والمشاهدة؛ لتحصيل علوم الطبيعة والتمكن بالنظر فيها من العلوم المكتسبة.

٣– (الأفئدة) محط الإدراك وتعقل الأشياء، وفهم المعارف، والبصيرة المتصلة بالقلب، وهو ما يميز الإنسان عن العجماوات، ومناط التكليف، وجمع الأفئدة لتعدد المعقولات، وذكر الأفئدة لشرفها.

سادسًا: إظهار الفعل (جعل) استحقاق المنعم سبحانه شكرًا وحمدًا بدلالة فاصلة الآيتين السابقتين علىٰ الحض علىٰ شكر الله في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، أي: رجاء شكركم، وفي قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/ ١٣١-١٣٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٤/ ٢٣١-٢٣٢).

دلالة علىٰ علاقة الفعل (جعل) بالمنة الربانية حيث كانت دالة علىٰ أن الفعل جعل مرتبط ارتباطًا وثيقًا بشكر المنعم؛ لأنه أسدىٰ للإنسان حواسَّه كنِعَمٍ ظاهرة مشاهدة للعبد؛ لذا قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وهذا تهديد للإنسان، كما قال: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١] أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلبكم إياها[(١)]، فإن صرَف العبد نظره إلىٰ مواطن الامتنان بنعم الله -تعالىٰ- الظاهرة فضلًا عن نِعَمه الباطنة التي خلقها الله في الإنسان، لأقر بربوبية الله الذي أسداها وأولاها، ولخرَّ ساجدًا لله تعالىٰ حامدًا وشاكرًا ما بقي، لظهور منة الله تعالىٰ الأصلية في تمام خلق الإنسان، ليدفعه إلىٰ الإيمان به، والاعتراف بألوهيته.

◆ ◆ ◆

المطلب السادس:
معاني الفعل (نشر) ودلالته

◆ أولًا: معاني الفعل (نشر) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (نشر) النون والشين والراء أصل صحيح يدل علىٰ فتح شيء وتشعبه، والنَّشْرُ، الرائحة الطيبة، من نشَر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث: أي: بَسطَها، والنُّشور: الحياة بعد الموت يُنشرهم الله إنشارًا، ونَشِرَ الميِّتُ نُشُورًا. وأَنْشَرَ اللهُ الميِّتَ فَنُشِرَ، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] وقيل: نَشَرُوا في معنىٰ انْتَشَرُوا، وقرئ: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة: ١١] أي: تفرَّقوا،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ٢٣٢).

والانْتِشَارُ: انتفاخ عصَب الدابة، والنَّوَاشِرُ: عروق باطن الذراع، والنَّشْرُ: الكلأ اليابس إذا أصابه مطرٌ فيُنْشَرُ أي: يَحْيَا، فيخرج منه شيء كهيئة الحَلَمَةِ، وذلك داءٌ للغنم، يقال منه: نَشَرتِ الأرضُ تنشرُ نُشورًا، إذا أصابها الربيعُ فأنبتت، فهي ناشرةٌ، ويقال: رأيت القوم نشرًا، أي: منتشرين، ونشر المتاع وغيره يَنْشُرُهُ نَشْرًا: بسطه(١). إذًا معاني الفعل (نشر) هي: البسط والتفرُّق والتفريق، والتشعب، وإعادة الخلق بعد الموت.

ثانيًا: دلالات الفعل (نشر):

أولًا: يدل الفعل (نشر) علىٰ الخلق دلالة خفية غير ظاهرة؛ لذلك قال ابن عاشور في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١] (فأولها محكم وآخرها متشابه)(٢)، وهو يقصد بذلك أن إنزال غيث السماء، وإحياء البلد الميت به محكم؛ لأن دلالته المشاهدة المرئية بالنظر في الواقع، وأما تشبيه ذلك بإعادة الموتىٰ للحياة فشأن متشابه، وسبب ذلك أن دلالة الفعل (نشر) علىٰ الخلق دلالة خفية.

ثانيًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ إحياء بلدة ميْتة بجدب ويبس وقحط، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ هذا موضع تعدد نِعَم الله علىٰ البشر جميعًا -مؤمنهم وكافرهم- مسبوق باستفهام تقريري لخلق السماء والأرض، وجعل الأرض مهدًا للسائرين، وتسليك سبلها للطارقين، وتنزيل المطر من السماء، كقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وفي التفسير: ﴿فَأَنشَرْنَا﴾

---

(١) مادة (نشر) ينظر: (العين) للخليل، (٦/ ٢٥١-٢٥٢)، وتاج اللغة، للجوهري (٢/ ٨٢٧- ٨٢٨)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٣٠)، والمفردات، للراغب (ص: ٨٠٥).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ١٥٦).

أي: أحيينا، والفعل يفيد العدول عن الغيبة إلىٰ إخبار للمخاطب لعلم المخاطب بالمراد ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يريد ميِّتًا)(١).

وختمت الآية الكريمة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾؛ لتدل علىٰ إمكانية البعث والنشور بإخراج الناس من قبورهم، ونشرهم لفصل القضاء؛ لذا فإن (الآية حجة عليهم في إنكار البعث)(٢)، وهذا مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، كما أن نشر البلدة الميتة يذكر بإحياء البلدة الميتة في قوله: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان: ٤٩]، فالسقي والإحياء والنشر من مظاهر الامتنان والنِّعَم.

ثالثًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ إرسال السحاب بالغيث منه للعباد علىٰ سبيل الامتنان، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقوله: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣]، في السور الثلاث وفي (بشرًا) أربع قراءات: الأولىٰ: (قرأ الإمام نافع المدني(٣)

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٣/ ٢٦٦- ٢٦٧).

(٢) المصدر السابق، (٣/ ٢٦٧).

(٣) نافع: (...-١٦٧هـ) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني: أحد القراء السبعة، قال أبو قرة: سمعت نافعًا يقول: قرأت علىٰ سبعين من التابعين، واشتهر في المدينة وانتهت إليه رياسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفًا وسبعين سنة، وتوفي بها. قال الليث بن سعد: قدمت المدينة سنة مائة فوجدت رأس الناس في القراءة نافعًا. وقال ابن مجاهد: وكان نافع عالمًا بوجوه القراءات، متبعًا لآثار الأئمة الماضين. ينظر: طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، عبد الوهاب بن يوسف بن =

وابن كثير المكي[(١)] وأبو عمرو البصري[(٢)]: (نُشُرًا) بنون في أوله، وبضمتين، جمع نُشُورٍ، كرسول ورسُل، والثانية: قرأ ابن عامر الشامي[(٣)]: (نُشْرًا) بضم فسكون علىٰ تخفيف

= إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (ت: ٧٨٢هـ)، (ص: ٧٠)، والأعلام للزركلي، (٨/ ص٥).

(١) ابن كثير: (٤٥-١٢٠هـ) هو: عبد الله بن كثير بن المطلب الإمام أبو معبد، مولىٰ عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي إمام المكيين في القراءة. أصله فارسي، وكان داريًّا بمكة، وهو العطار، مأخوذ من قوله عطر دَارِين، ودارين موضع بالبحرين من نواحي الهند. وقيل في نسبته الداري: إنه قرشي من بني عبد الدار، قاله البخاري. مولده ووفاته بمكة، حرفته وأجمع أهل مكة علىٰ قراءته. ينظر: معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، (٤٩-٥٠)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص٦٥)، والأعلام، للزركلي، (٤/ ١١٥).

(٢) أبو عمرو: (٦٨-١٥٤هـ وقيل: ١٥٥) هو: العريان بن العلاء بن عمَّار بن العريان بن عبد الله بن الحصين الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمر بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. اختلف في اسمه فقيل: زبَّان، وقيل: العريان، وقيل: ريَّان، وقيل: عيينة، وقيل: يحيىٰ. نشأ بالبصرة، وأصله من الكازرون، وتوفي بالكوفة عند محمد بن سليمان الهاشمي، في خلافة أبي جعفر المنصور، كان أبو عمرو مقدمًا في عصره، عالما بالقراءة، عارفًا بوجوهها، قدوة في العربية، معوِّلًا علىٰ الخبر، مستمسكًا بالأثر، فضله في علم اللسان، وحفظ الأشعار، وأيام العرب، ومعرفة اللغة، وكان عاليًا في الورع. ينظر: طبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص٧٧-٧٨).

(٣) ابن عامر: (٨-١١٨هـ) هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران الشامي اليحصبي بضم الصاد وكسرها نسبة إلىٰ يحصب بن دهمان،، وقد اختلف في كنيته كثيرًا والأشهر أنه أبو عمران إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، قال ابن مجاهد: وعمل بقراءته أهل الشام والجزيرة أعظم دليل علىٰ قوتها وكيف يسوغ أن يتصور قراءة الأصل لها، وبجمع الناس وأهل العلم من الصدر الأول. كان إمامًا عالمًا ثقة فيما أتاه حافظًا لما رواه متقنًا لما وعاه عارفًا قيمًا فيما جاء به صادقًا فيما نقله من أفاضل المسلمين وخيار التابعين، أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ولد في البلقاء، في قرية رحاب، وانتقل لدمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء محمد بن محمد بن =

الحركة، والثالثة: قرأ حمزة بن حبيب الزيات(١)، والكسائي(٢)، وخلف(٣): (نَشْرًا) بفتح النون وسكون الشين علىٰ أنه من الوصف بالمصدر، وكلها من النشر وهو البسط)(٤)،

= يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، (١/ ٤٢٣- ٤٢٥).

(١) حمزة: (٨٠-١٥٦هـ وقيل: ١٥٨) هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم الزيات: أحد القراء السبعة، كان من موالي التيم فنسب إليهم، وأدرك الصحابة بالسن فلعله رأىٰ بعضهم، كان إمامًا حجة قيما بكتاب الله تعالىٰ، حافظًا للحديث، بصيرًا بالفرائض والعربية، عابدًا خاشعًا قانتًا لله، عالمًا بالقراآت، انعقد الإجماع علىٰ تلقي قراءته بالقبول. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/ ٢٦١)،ومعرفة القراء الكبار للذهبي (ص٦٦-٧١)، والأعلام، للزركلي، (٢/ ٢٧٧).

(٢) الكسائي: (١٢٦-١٨٩هـ) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، الإمام أبو الحسن الأسدي، مولاهم الكوفي المقرئ النحوي، أحد الأعلام، سمع من جعفر الصادق، الكسائي: انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة، إمام في اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة، ولد في إحدىٰ قراها، وتعلم بها، وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، عن سبعين عامًا، وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص٧٢-٧٧)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/ ٥٣٥)، الأعلام، للزركلي، (٤/ ٢٨٣)، ومعجم المؤلفين كحالة، (٧/ ٨٤).

(٣) خلف: (١٥٠-٢٢٩هـ) هو: خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف، ويقال: خلف بن هشام بن طالب بن غراب الإمام العلم أبو محمد البزار بالراء البغدادي الأسدي: أحد القراء العشرة، كان عالمًا عابدًا ثقة، أصله من فم الصِّلح بكسر الصاد قرب واسط، كان ثقة كبيرًا زاهدًا عابدًا عالمًا، واشتهر ببغداد، وتوفي ببغداد وهو مختف من الجهمية. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص١٢٣-١٢٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/ ٢٧٢-٢٧٤)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص٩٦-٩٨)، والأعلام، للزركلي، (٤/ ٣١١-٣١٢).

(٤) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة عبد الفتاح القاضي، (ص:١٤٤)، وينظر: الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية، محمد محمد سالم محيسن، (ص: ١٨٣-١٨٤)، =

والرابعة: قرأ عاصم الكوفي[(1)]، من القراء السبعة قرأها: (**بُشْرًا**) بالباء، وهو القارئ الوحيد الذي قرأها كذلك، أي: من البشارة يبشر الله تعالىٰ بغيث يغيث به عباده.

وفي التعبير عن إرسال الرياح هنا أسلوبان: الأول: خبري مرسل للتقرير في قوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا﴾ [الأعراف:٥٧] وفي قوله: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾ [الفرقان:٤٨]. **الأسلوب الثاني**: أسلوب إنشائي استفهامي في قوله: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾ [النمل:٦٣]، وهذا يعتبر من التحدي القرآني؛ فمن ذا يستطيع الإقرار والاعتراف بهذا الأمر؟! ومن عجيب الأمر ورود قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ عقب المواضع بالسور الثلاث السالفة، ومعناه: الدلالة علىٰ أن السحاب تحمله الرياح مقدِّمة للغيث فيُرسل برحمة الله، أي: تتقدمها مدة وتنشر أسحبتها[(2)] (ولأن المراد التذكر الشامل الذي يزيد المؤمن عبرة وإيمانًا، والذي من شأنه أن يقلع من المشرك اعتقاد الشرك ومن منكر البعث إنكاره)[(3)]، وهذا كقوله: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورىٰ:٢٨]، وقوله: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات:٣]، أي: الملائكة التي تَنْشُرُ الرياح، أو الرياح التي تنشر السَّحاب.

= والتحرير والتنزير، لابن عاشور، (١٩/ ٤٧).

(١) عاصم: (...-١٢٧هـ) هو: عاصم بن بهدلة أبي النَّجُود بفتح النون وضم الجيم وقد غلط من ضم النون أبو بكر الأسدي بالولاء الكوفي الحناط بالمهملة والنون، أبو بكر، معدود من التابعين، شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة، توفي بالكوفة، كان ثقة في القراآت، صدوقًا في الحديث. قيل: اسم أبيه عبيد، قال أحمد: رجل صالح خير ثقة. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص٥١-٥٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/ ٣٤٦- ٣٤٩)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص٨٤)، والأعلام، للزركلي، (٣/ ٢٤٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٨١).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٨٤).

رابعًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ منة الله علىٰ خلقه في (النهار والليل)، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧]، هو عقيب قوله: ﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا﴾ في الليل، فلما كان ذلك كذلك وصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت[١]، أي: (ذا نشور وانتشار ينتشر فيه الناس للمعاش، أو بعث من النوم بعث الأموات، فيكون إشارة إلىٰ أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور)[٢].

وانتشار الناس: تصرُّفهم في الحاجاتِ، فقد جعل الله في النهار انتشارَ العباد ابتغاءً للرزقِ، يشهد لذلك قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]، فالليل سكنٌ بالنوم وسكون للراحة، وأما النهار فابتغاء للرزق بالانتشار.

وعلىٰ هذا جرت السنة النبوية في أن النبيَّ ﷺ كان إذا أصبح وقام من نومه يقول: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَما أماتَنا، وإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[٣]، فقد (سمىٰ النوم موتًا؛ لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلًا وتشبيهًا لا تحقيقًا)[٤]. وبهذا ندرك توافق السنة مع القرآن في تشبيه اليقظة من النوم بالبعث بعد الموت، وهو دال علىٰ أمور، منها:

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، (١٩/ ٢٧٨).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، (٤/ ١٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الدعوات، باب: مَا يَقُولُ إِذَا نَامَ، رقم: (٦٣١٢) (٦/ ٦٩)، من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، ومسلم، في «صحيحه» كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، رقم: (٢٧١١) (٤/ ٢٠٨٣)، من حديث البراء، واللفظ لهما.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٤/ ٣٦٩).

أولًا: أن الرسول ﷺ لم يخالف الرؤية القرآنية بل عنها صدر ونبع ووجَّه الأمة إلىٰ التصور الصحيح.

ثانيًا: أن رؤية الإسلام -قرآنا وسنة- إلىٰ الحياة الدنيا أنها انتشار ويقظة وحركة دؤوبة ودائمة مستمرة علىٰ سبيل الاطراد، فلا تنقطع إلا بموت العبد.

ثالثًا: أن الإسلام يقر في ذاكرة الفرد المسلم أن الدنيا منقطعة لا أبدية فيها أو بقاء إلىٰ الأبد، فالإنسان مخلوق محدَث، وكل محدث لابد له من نهاية بالموت ثم البعث يوم النشور؛ لأن من المحدثات ما لا يلحقه الموت أو النشور؛ كالجمادات.

خامسًا: علاقة الفعل (نشر) بالعقائد، وذلك في أمور:

أولًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ عقيدة البعث[1] والمعاد، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، في التفسير: إثبات البعث مع تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به عنه، والإشارة في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ إلىٰ المذكور من قوله: ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾، والأظهر أن تكون الإشارة إلىٰ مجموع الحالة المصورة، أي: مثل ذلك الصنع المحكم المتقن نصنع صنعًا يكون به النشور بأن يهيِّئَ الله حوادثَ سماوية أو أرضية أو مجموعة منهما، حتىٰ إذا استقامت آثارها وتهيأت أجسام لقبول أرواحها أمر الله بالنفخة الأولىٰ والثانية، فإذا الأجساد قائمة ماثلة نظير أمر الله بنفخ الأرواح في الأجنة عند استكمال تهيئها لقبول الأرواح[2]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، أي: (وإليه نشوركم، وهو المرجعُ

(١) وقد سبق التعريف بالبعث في الدلالة الخامسة من الفعل (أحيا).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٢/ ٢٦٨-٢٦٩).

بعدَ البعثِ لا إلىٰ غيرِه، فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم)[(١)]، فلما خلق الله الأرض جعلها مذلّلةً للمشي في طرقها طلبًا للرزق، وهذا موضع نعَمِ اللهِ تعالىٰ.

ثانيًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ عقيدة النشر[(٢)] في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢] ﴿ثُمَّ﴾ عطف لبيان تراخي ما بين الميلاد والموت ثم تراخي ما بين الموت والبعث، وقوله: ﴿إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ (إشعارًا بأن وقته غير معلوم لنا، فتقديمه وتأخيره موكول إلىٰ مشيئة الله تعالىٰ، وأما سائر الأحوال المذكورة قبل ذلك فإنه يعلم أوقاتها من بعض الوجوه، إذًا الموتُ وإن لم يَعلم الإنسان وقتَه؛ ففي الجملة يعلم أنه لا يتجاوز فيه إلا حدًّا معلومًا)[(٣)]، ومفعول (شَاءَ) دل عليه الفعل (أنشره) للعلم به أي: (شاء إنشاره)[(٤)]، ففيه دلالة الفعل نشر علىٰ الحياة بالبعث بعد الموت، وفي تعليقِ الفعل (أنشر) بمشيئة الله (إيذان بأنَّ وقته غير متعين، بل هو تابعٌ لها)[(٥)]؛ ليدل علىٰ توقف النشر علىٰ إرادة الله.

ثالثًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ إعجاز القرآن، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا

---

(١) مدارك التنزيل، للنسفي، (٣/ ٥١٤)، وينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٩/ ص:٧).

(٢) النشور: جمع عظام الموتىٰ بعد النفخة الثانية في الصور من الفعل نشر، قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال: ﴿بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠]، وقال: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس:٢٢]. ينظر: المفردات للراغب، (ص: ٨٠٥).

(٣) التفسير الكبير، للرازي، (١٣/ ٥٨).

(٤) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٤/ ٤٨٦-٤٨٧).

(٥) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٩/ ١١٠).

﴿وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، هذه الآية الكريمة تحمل من التحدي والإعجاز بالأفعال الدالة على الخلق والإيجاد، والعجيب أن بعض الأفعال الدالة على الخلق والإيجاد وردت لبيان قدرة الله وحده على الخلق والإيجاد من عدم محض -وهي النشأة الأولى-، وبعض الأفعال الدالة على الخلق وردت لبيان الخلق والإيجاد بعد وجود وهي النشأة الأخرى، والتحدي بالأولى يمد قوة احتجاج للتحدي بالثانية، وفي هذه الآية الكريمة من التحدي بعدد أفعال الخلق والإيجاد في المواضع التالية:

١- في قوله: ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ (أي: لا يقدرون على خلق شيءٍ من الأشياءِ أصلًا، وقيل: لا يقدِرون على أن يختلقُوا شيئًا)(١)، انتفاء خلق الآلهة المعبودة شيئًا من الأشياء، أو انتفاء قدرتهم.

٢- في قول الله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ إثبات أن هذه الآلهة المعبودة نفسها محدثة مخلوقة من مواد طبيعية أي: (كسائر المخلوقاتِ، وهم يُختلَقون حيث تختلقهم عبدتُهم بالنَّحت والتَّصويرِ)(٢)، فكيف تتخذ معبودة من دون الله تعالى؟!

٣- في قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ (أي: لا تقدر على الإحياء والإماتة في زمان التكليف، وثانيًا في زمان المجازاة، ومن كان كذلك كيف يسمى إلهًا؟! وكيف يحسن عبادته مع أن حق مَن يحق له العبادة أن ينعم بهذه النِّعَم المخصوصة؟!)(٣). ولقد أوضح الإمام الرازي بـ(زمان التكليف) التحدي بالخلق الأول -النشأة الأولى- أي: في زمان التكليف، كما أوضح بـ(زمان المجازاة)

---

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٠٢).

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) التفسير الكبير، للرازي (٢٤/ ٤٣١).

التحدي بالخلق عند النشأة الأخرىٰ وتكون يوم البعث والنشور، والمعنىٰ أنه (بعد بيان عجز الآلهة عما هو أهون من هذه الأمور، من دفع الضر، وجلب النفع أوضح أنهم لا يقدرون علىٰ التصرف في شيء منها بإماتة الأحياء، وإحياء الموتىٰ وبعثهم؛ للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر علىٰ التفصيل، والتنبيه علىٰ أن الإله يجب أن يكون قادرًا علىٰ جميع ذلك)(١)، فالله هو المحيي المميت، والتعبير بالاسم الموت والحياة؛ ليدل علىٰ نفي أصل قدرة الأصنام علىٰ الإحياء والإماتة، فضلًا عن أن يملكوا نشورًا بعد الموت، وبعد النفخة الثانية.

رابعًا: مناسبة الفعل (نشر) للرد علىٰ منكري البعث، في قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠]، وهم قوم لوط، أي: بل كانوا قومًا كفرة بالبعث لا يخافون بعثًا، فلا يؤمنون، أو لا يأملون نشورًا كما يأمله المؤمنون؛ لطمعِهم في الوصول إلىٰ ثواب(٢)، (اكتفىٰ عن التَّصريحِ بإنكارِهم ذلك بذكرِ ما يستلزمُه من إنكارهم للجزاءِ الأُخرويِّ الذي هو الغاية من خلق العالمِ، وقد كُني عن ذلك بعدم النُّشورِ أي: عدم توقُّعهِ كأنَّه، قيل: بل كانُوا ينكرون النُّشورَ المستتبع للجزاءِ الأُخرويِّ، ولا يرَون لنفسٍ من النُّفوسِ نُشُورًا أصلًا مع تحقُّقهِ حتمًا، وشمولِه للنَّاسِ عمومًا واطِّرادِه وقوعًا)(٣).

خامسًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ الإعادة كما في قوله: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فاقترن الفعل (نشر) بالعظام مثلما اقترن

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٠٢) بتصرف وتقديم وتأخير.

(٢) مدارك التنزيل، للنسفي، (٢/ ٥٣٨).

(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٢٠).

كلٌّ من الفعل (**أحيا، وأنشأ**) بالعظام كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ﴾ [يس: ٧٨-٧٩]، وفي أسلوب استفهام إنكاري؛ لينكر عليهم جحودهم عقيدة النشر والمعاد.

سادسًا: وفي الفعل (**نَنْشُرُهَا**) في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٩] قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي) وابن عامر: (ننشزها) بزاي معجمة من النشز، وهو الارتفاع، أي: يرتفع بعضُها علىٰ بعض للتركيب وافقهم الأعمش، وقرأ الباقون: (ننشرها) بالراء المهملة من النشر، أنشر الله الموتىٰ أحياهم[1]؛ لأن (أنشرها أي: أحياها، يقال: أنشر الله الميت ونشره أحياه، وأنشزها؛ أي: رفع بعضَها إلىٰ بعض حتىٰ التَأَمَت، فيجتمع المعنيان في القراءتين أخيرًا في معنىٰ واحد)[2]، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢] قال الفراء: كأنه ذهب إلىٰ النشر بعد الطي، وذلك أن بالحياة يكون الانبساط في التصرف، فهو كأنه مطوي ما دام ميتًا، فإذا عاد صار كأنه نشر بعد الطي، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنه: (**كَيْفَ نَنْشُرُهَا**)، وقرأ الحسن: (ننشرها)، كما قال الشاعر:

طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ   كَذَاكَ خُطُوبُهُ طَيًّا وَنَشْرًا[3]

سابعًا: دلالة الفعل (نشر) علىٰ أول الخلق واعتقاد الخلافة في الأرض،

---

(١) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي، (ص: ٢٠٨)، البدور الزاهرة القاضي، (ص:٦٦)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/ ٣٧).

(٢) مدخل في علوم القراءات، د. السيد رزق الطويل (ت: ١٤١٩هـ)، (ص: ٢٨).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٧/ ٣٣)، وتاج اللغة، للجوهري (٢/ ٨٢٨)، والمفردات، للراغب، (ص: ٨٠٥).

وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، فالبعث والانتشار سمة البشَر بالنهار، (وهي حجة ظاهرة وآية باهرة من جملتها خلق الإنسان من تراب، وتقريره: أن التراب أبعد الأشياء عن درجة الأحياء، وذلك من حيث كيفيته، فإنه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة، ومن حيث لونه فإنه كدر والروح نير، ومن حيث فعله فإنه ثقيل والأرواح التي بها الحياة خفيفة، ومن حيث السكون فإنه بعيد عن الحركة والحيوان يتحرك يمنة ويسرة، وفي الجملة فالتراب أبعد من قبول الحياة عن سائر الأجسام)(١).

قوله: (بَشَرٌ) إشارة للقوة المدركة؛ لأن (البشر بشرٌ لا بحركته، فإن غيره من الحيوانات كذلك، وقوله: ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ إشارة للقوة المحركة، وكلاهما من التراب عجيب، أما الإدراك فلكثافته وجموده، وأما الحركة فلثقله وخموده، وقوله: ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ إشارة إلىٰ أن العجيبة غير مختص بخلق الإنسان من التراب بل خلق الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب فضلًا عن خلق البشر)(٢)، و﴿تَنتَشِرُونَ﴾ مضارع دالٌّ علىٰ لزوم صفة الانتشار للبشر في الماضي، واستمرارٍ في الحاضر إظهارًا لوجه المنة للبشر العاقل؛ فانتشار ذرية آدم في الحياة بحركة وتصريف؛ طلبًا للرزق والسفر والانتقال قديم قدم آدم أبي البشرية.

ولقد فرَّق الإمام الرازي بين قوله: ﴿إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ وبين قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، فقال: (هنا ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ وقال في خلق الإنسان أولًا: ﴿إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ فنقول في الآية الأولىٰ:

---

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٥/ ٨٩).

(٢) المصدر السابق، (٢٥/ ٩٠).

﴿تَنتَشِرُونَ﴾ يكون خلق وتقدير وتدريج وتراخٍ حتىٰ يصير التراب قابلًا للحياة فينفخ فيه روحه، فإذا هو بشر، وأما في الإعادة؛ أي: في الآية الأخرىٰ ﴿تَخْرُجُونَ﴾ فلا يكون تدريج وتراخٍ، بل يكون نداء وخروج)(١)، هذا موضع يدل علىٰ إعجاز المفردة القرآنية.

يدل كلا الفعلين (نشر وخرج) علىٰ الابتعاث والانتشار والبروز في الدنيا والآخرة، وإن الدلالة الأَوْلَىٰ بالفعل (نشر) البعثُ في الآخرة، وقد ورد في شأن الخلق الدنيوي كما في الآية الأولىٰ، وأن الدلالة الأَوْلَىٰ بالفعل (خرج) الصدورُ والبروز في الدنيا، وقد ورد في شأن أخروي، كما في الآية الثانية لبيان فائدة فرعية بالإشارة إلىٰ عموم فعل الخلق والإيجاد سواء بداية خلْق من العدم إلىٰ الحياة الدنيا، أو إعادة الخلق في القبور يوم النشور.

وبعد، فهذا أوان بيان فائدة دراسة أفعال القرآن الدالة علىٰ الخلق والإيجاد لعصرنا الذي نحياه بخيره وشره، وحلوه ومرِّه؛ فما عَلاقة دراسة هذه الأفعال القرآنية بحياتنا الفكرية المعاصرة؟ فيما يلي جواب ذلك مستعينًا بالله تعالىٰ مالك القُوىٰ والقُدر.

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٥/ ٩٦)، والسراج المنير، للخطيب الشربيني (٣/ ١٦٥).

المبحث الثاني

مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد

المطلب الأول: ضرورة النظر في أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد

إن انتشار الإلحاد[١] اليوم بين بعض الشباب في العالم العربي المسلم، وبصور عديدة حيث أطلق عليهم (لادينيِّين)[٢]، وهو اتجاه فكري نشأ بانجلترا يرفض مرجعية الدين في حياة الإنسان، ثم انتشر في العالم، واتجاه آخر أطلق عليه

---

(١) الإلحاد: انحراف وميل عن الحق والصواب والاستقامة، قال الراغب: أَلْحَدَ فلان: مال عن الحقِّ، والإِلْحَادُ ضربان: إلحاد إلىٰ الشِّرك بالله، وإلحاد إلىٰ الشِّرك بالأسباب، فالأوَّل ينافي الإيمان ويبطله. والثاني: يوهن عراه ولا يبطله. ينظر: المفردات للراغب (ص٧٣٧).

(٢) اللادين: يؤمن بحق الإنسان في رسم حاضره ومستقبله واختيار مصيره بنفسه دون وصاية من دين، ودون التزام بشريعة دينية، ويرىٰ أن النص الديني مجرد نص بشري محض لا ينطوي علىٰ قداسة خاصة، ولا يعبّر عن الحقيقة المطلقة، ويمكن تعريفه بأنه: «اعتقاد ببشرية الأديان، بغض النظر عن الاعتقاد بفكرة وجود إله أو آلهة أو عدم الاعتقاد بذلك»، فإن اللاديني هو شخص لا يملك إيمانًا بوجود الخالق الأعظم، وفي نفس الوقت لايملك قناعة بعدم وجود الخالق الأعظم، كما أنها مرحلة وسطية بين الإيمان والإلحاد وهناك البعض ممن يعرف اللادينية كإلحاد ضعيف. ينظر: الدين والعلم لبرتراند راسل، ترجمة: رمسيس عوض، (ص: ٣-١٢)، وينظر: (ص: ١٨٩).

(اللاأدريِّين)، ويقال: مبدأ (عدم اليقين)[1]، حيث ظهور الاعتراض علىٰ بعض المعتقدات السمعية، وإظهار سلوكيات دالة علىٰ الإنكار والضجر من الحياة، والسخط من مقدور الله، والقنوط أو اليأس من رحمته، وهذه مظاهر انتشرت اليوم بصورة تدعو أهل الفكر والدين والدعوة إلىٰ مزيد الاهتمام بالدعوة الاعتقادية؛ لأن هذا أمر يحتمه أزمة الواقع من انتشار الإلحاد، والسعي في بناء وعي المدعو والعمل علىٰ تحقيق رسوخ الإيمان في القلوب، وزيادة اليقين وتثبيته علىٰ أصول وأسس قوية من الأدلة والبراهين عسىٰ أن يعين ذلك علىٰ استعادة النقاء الإيماني، والجلاء عن فطرة الإنسان.

وإن الإسلام -قرآنًا وسنة- قد حثَّ علىٰ البحث، والنظر في آيات الأنفس وآفاق الكون؛ لأن الإسلام يحث المسلم علىٰ التدبر، وذلك بالنظر في أدلة الكتاب الدالة علىٰ ذلك، فقد قال تعالىٰ: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١]، وهذا أمر يدل علىٰ تكليف النظر في خلق الله تعالىٰ؛ للاعتبار الموصل إلىٰ الإيمان، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، فهذا حض علىٰ النظر، فإن النظر في آيات الأنفس وآفاق الكون عبادة مأمور بها في الإسلام تتعلق بكتاب الله تعالىٰ.

---

(١) اللاأدرية: اتجاه فكري قديم ما زال قائمًا بين البعض يقوم علىٰ فوضوية الرؤية وعشوائية النظرة، لا يمكنه الركون للمسلمات أو الثوابت، فأصحاب هذا الاتجاه يحملون فكرًا لا أدريًّا يقوم علىٰ ثبوت انتفاء اليقين بأي شيء. ينظر: علاقة الكتب السماوية بالعلم، د. الأمير محفوظ محمد، (ص: ٣٠٨-٣١٣).

وإن الصحابة والتابعين لم يبحثوا في أفعال الخلق والإيجاد علىٰ سبيل الخصوص؛ لأنهم عَلِموا دلالاتها بفطرتهم النقية، وفهموا دلالتها ومعانيها اللغوية لسلامة ألسنتهم فرسخت معانيها في قلوبهم؛ إذ فهموها فَلَمْ يبحثوا عن جزئياتها الفرعية لعدم الداعي لإفرادها بالبحث والدراسة، ولعدم توفر ضرورة ذلك.

وإن تدبر مواضع أفعال القرآن الدالة علىٰ الخلق والإيجاد بالوقوف علىٰ دلالتها، وإن المسلم بين أن يترك هذا الزاد القرآني المعرفي في أفعال الخلق والإيجاد، وهذا مخالف للمقصد الأساسي من نزول القرآن للتدبر، أو أن يستثمر هذه المعرفة القرآنية فيما يتفق مع حقائق العلم، لأن ما يكتشفه أهل العلم الطبيعي إما أن يرفض مطلقًا، أو أن يقبل مطلقًا، أو أن يقبل إن صح دليله، واحتفت به القرائن والأدلة، والصواب أن دلائل أفعال الخلق والإيجاد مقبولة بشروط هي:

(١) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للنقل الصحيح، وهذا ورد كثيرًا من خلال تلك الأفعال الواردة في كتاب الله تعالىٰ الدالة علىٰ الخلق، وقد سبقت نماذجها التطبيقية.

(٢) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للحسِّ والمشاهدة والواقع القائم علىٰ التجربة الصحيحة، وقد وردت تلك الإشارة -أيضًا- كثيرًا من خلال أفعال الخلق والإيجاد الواردة في كتاب الله تعالىٰ.

(٣) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للنظر القائم علىٰ الخبرة النظرية الصحيحة؛ لأن القرآن يحث علىٰ سؤال أهل الذكر، فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، إذ النظر في أفعال الخلق والإيجاد من التكلف أو التهوك والتهور.

وقد دعت اليوم الضرورة إلىٰ النظر في (أفعال الخلق والإيجاد) بغية نشرها بين الشباب؛ ليثبت إيمانهم، ويزدادوا إيمانًا بالله رب العالمين، فمن خلال دراسة أفعال الخلق في القرآن تحقيق هذه الأهداف، واستعادة ثقة الإنسان بإيمانه من خلال إثبات وإسناد (أفعال الخلق والإيجاد) إلىٰ الله تعالىٰ، وتحقيق معرفته بالله، وتوثيق صلته به، لاتصاف الله ربنا بكل كمال من قدرة وإرادة وعلم؛ لأن النظر في خلق الأكوان والإنسان والحياة والأحياء التي تساعد علىٰ دفع الإلحاد، ومواجهته كانت -ولا تزال- سرًّا مكنونًا لم يدعُ لذلك إلا الله تعالىٰ في القرآن المجيد، وبالتالي فهو أكبر شاهد علىٰ دفع الإلحاد ومواجهته.

◆ ◆ ◆

المطلب الثاني
علاقة الأفعال الدالة على الخلق بمعالجة الإلحاد

أولًا: لقد أورد الشيخ محمد الغزالي ﷺ تصريحًا لبعض علماء الكونيات، فقال: (**لقد استفتت إحدىٰ المجلات عددًا من علماء الذرة والطاقة والفلك وعلم الأحياء، فأكدوا جميعًا أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة تثبت وجود من ينظم هذا الوجود، ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذي لا حدَّ له**)(١)، وهذا التصريح يثمن، ويؤكد علىٰ ضرورة دراسة كل ما يدل علىٰ خلق الله تعالىٰ لجميع الخلق المشهود في كل الوجود، وإن أفعال الخلق والإيجاد خير شاهد علىٰ ذلك، وفي هذا يقول الله تعالىٰ في كتابه وهو أصدق القائلين: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فمعرفة الله أمر فطري، لكن قد يطلب البعض الدليل عليه.

---

(١) ينظر: عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي، (ص: ٣١).

ثانيًا: لما كانت الأفعال الدالة علىٰ الخلق متعلقة في كثير من مواضعها بأدلة مشاهدة ومحسوسة فهي متوفرة للرد علىٰ شبهات الملحدين؛ لأن من شبهات الإلحاد: طلب دليل محسوس علىٰ خلق الله للخلق، ويدَّعون أن الصدفة والأسباب هي الفاعلة للخلق، ويقال لهؤلاء: إن الأسباب الظاهرة من (خلق الماء وتهيئة التراب) كأسباب ظاهرة في إنبات الزرع، والشجر مع أنه لا فعل للماء، أو التراب، ولا عقل حتىٰ ينبتوا زرعًا أو شجرًا؛ فكيف ولماذا تسير في طريق إنبات النبات إلا بإذن الله الذي فطرها علىٰ شيء أذن له بقدرته، وفطرها علىٰ القيام به، فلزم التعرُّف علىٰ أفعال القرآن الدالة علىٰ الخلق والإيجاد؛ لأنها مُسنَدة إلىٰ الله حتىٰ يزداد أهل اليقين إيمانًا ويقينًا، ويستفيدوا دوامًا وثباتًا علىٰ ما هم عليه، كما يعالج أهل الشك ما هم فيه من حيرة وتردُّد، فيحصِّل الملحد تصديقًا تامًّا بأن الله موجود متصف بكل أوصاف الكمال.

ثالثًا: الإنسان إذا أراد معرفة الله فإن أهم أسباب النظر علىٰ الإطلاق التعرف علىٰ الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأنه واجب الوجود، فقد أوجد كلَّ موجود، وأن كل ما في الكون من دلائل حسية دالة علىٰ عظمة الله ووحدانيته سبحانه، واتصافه بكل كمال، كما تدل علىٰ أن النظر في الأنفس والآفاق من الضرورة بمكان من أجل معرفة الإنسان ربه تعالىٰ، ومن الأدلة علىٰ ذلك، (دليل الإبداع والإتقان - ودليل الخلق والإيجاد - ودليل العناية والرعاية - ودليل الحركة والحدوث)، كما أن الإنسان إذا أراد الانتفاع بما خلقه الله له، فإن عليه القيام بالكشف عن مساتير الكون وإتقان النظر في الكون والتدبر للآيات.

رابعًا: إن مظاهر إثبات وجود الله تعالىٰ وقدرته وإرادته وعلمه، مما يحقق

قيوميَّة الحق تعالىٰ علىٰ خلقه مهما أنكر المنكرون الملحدون، أو تأبوا علىٰ طاعة الله تكبُّرًا عن الاعتراف به سبحانه، وهي في ذات الوقت تشتمل علىٰ أوضح استدلال علىٰ قدرة الله علىٰ إيجاد الممكنات وإعدامها، وتخصيص إرادته تعالىٰ، وتَمام انكشاف علمه.

إذًا فإن قيام المعرفة علىٰ أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ضرورة تربط هؤلاء الشباب بالقرآن من خلالها، وهي مدخل علمي يُشبع رغبة شباب الأمة في اكتشاف الكون، ويصونه عن الانكباب في هويس الإلحاد واللادين، واللاأدرية؛ فإن قطع العُمر -وبخاصة مرحلة الشباب- فيما يفيد، والمحافظة عليه، والانشغال بما ينفع أمور لها قدرٌ كبيرٌ من الأهمية في الإسلام؛ لذا قال النَّبيُّ: «**لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»(١)، فذكَرَ عامة العُمْر ثم خصَّ مرحلة الشباب منه؛ للأهمية والخطورة لقصد شباب الأمة من موجات عاتية، وهجمات مغالية من الإلحاد، ومن دعاوىٰ اللادين، وإن العبء ثقيل، والمسؤولية كبيرة، ودعوة الإيمان فريضة واجبة، وعلىٰ الله توكلنا لا رب لنا سواه.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» أبواب صفة القيامة باب في القيامة، رقم: (٢٤١٦)، (٢٤١٧)، (٤/ ٦١٢)، واللفظ له، وقال: «هذا حديث غريب» من حديث ابن مسعود، والدارمي، في «سننه» باب من كره الشهرة والمعرفة، رقم: (٥٥٤)، (١/ ٤٥٢) كلاهما من حديث أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن أبي شيبة، في «مصنفه» كتاب الزهد، رقم: (٣٤٦٩٤)، (٧/ ١٢٥) من حديث معاذ.

وبعد، فهذه علاقة الأفعال الدالة علىٰ الخلق والإيجاد التي تعم خلق الإنسان والأكوان بمواجهة ومعالجة الإلحاد، وتلك دلالاتها الوفية ببيان براهين الإيمان الصحيح لكافة أبنائنا وبناتنا من شباب الأمة، وخاصة من انحرف فكرهم بالإلحاد في حياتنا المعاصرة.

كما تجدر الإشارة إلىٰ أن بعض الأفعال الدالة الخلق والإيجاد تشير إلىٰ النشأتين الأولىٰ والأخرىٰ، كما تبقىٰ أفعال للخلق والإيجاد تختص بالأكوان، وأفعال أخرىٰ تختص بخلق الإنسان، وأسأل الله أن يعين علىٰ التمام.

الخاتمة

يمكن الوقوف علىٰ بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وهي:

١) عموم الدلالة علىٰ خلق الأكوان والإنسان؛ لأن معظم أفعال الخلق والإيجاد تدل علىٰ ذلك العموم؛ لنعرف أن فعل الخلق معجزة مستقلة أيًّا كان المخلوق عاقلًا، أو غير عاقل، سواء أكان ناميًا بالتغذية، أو غيرَ نامٍ بها كالجماد.

٢) ظهرت دلالة أفعال الخلق والإيجاد علىٰ إظهار المنن الربانية علىٰ سائر خلقه حتىٰ ينظروا فيما قدَّر لهم من مننٍ ونِعَم تقصر قُواهم عن تحقيقها لأنفسهم؛ فسبحان من أولاها وأسداها لآدم وذريته من غير طلب.

٣) في دلالة أفعال الخلق والإيجاد الرد المفحم علىٰ الملحد المنكر للبعث بعد الموت، وهي شبهة ظهرت قديمًا بين الناس، ولا يزال صداها يتردد في الفكر الإنساني.

٤) انصبت دلالات أكثر أفعال الخلق والإيجاد علىٰ إثبات العقائد، ومن أظهرها عقيدة البعث والمعاد.

ويوصي الباحث عموم الباحثين بالاعتناء بدراسة المفردة القرآنية بصفة عامة، والمفردة الدالة علىٰ أفعال الخلق والإيجاد في القرآن الكريم بصفة أخص، وهي مستفيضة فيه علىٰ أن يبحثوها سواء من حيث اللغة، أو التفسير، أو العلم الطبيعي.

وبعد، فإنه لن يوفِّيَ أحدٌ القرآن حقَّه من التدبر لمعانيه، واستخراج دلالاته

واستثمار إشاراته، لكنه جهد المقل، وليس من ضعف الإنسان مفرٌّ؛ إذ خلقه الله -تعالىٰ- ضعيفًا، فاللهم اجبر كسرنا، وقَوِّ في رضاك ضعفَنا، وخُذْ بنواصينا إليك أخذَ الكرام لديك، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله، وصحبه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا آمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته/

الأمير محفوظ محمد أبو عيشة

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم كتاب الله المجيد.

ثانيًا: كتب السنة المطهرة.

ثالثًا: كتب التفسير والقراءات:

١- «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر»، الدمياطيّ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ٣، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٢- «الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية»، محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥).

٣- «إرشاد العقل السليم»، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفىٰ، (ت: ٩٨٢هـ) ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د: ط. ت).

٤- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، البيضاوي، ناصر الدين (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة (١٤١٨هـ).

٥- «البدور الزاهرة في القراءت العشر المتواترة» القاضي، عبد الفتاح القاضي، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥).

٦- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ)، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: الدار التونسية للنشر، سنة (١٩٨٤م).

٧- «تفسير الخواطر» الشعراوي، محمد متولىٰ، (ت: ١٤١٨هـ)، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة (١٩٩٧م).

٨- «التفسير الكبير»، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي أبو عبد الله فخر الدين خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار إحياء التراث العربي، سنة (١٤٢٠).

٩- «تفسير القرآن العظيم»، أبو الفداء ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت:٧٧٤ هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة (١٤١٩هـ).

١٠- «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة سنة (١٩٦٤).

١١- «جامع البيان عن تأويل القرآن»، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة (٢٠٠٠م).

١٢- «السراج المنير في كلام ربنا الحكيم الخبير»، الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، (ت: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق الأميرية - القاهرة، (١٢٨٥هـ).

١٣- «العَذْب النَّمير من مجالس الشَّنْقِيطِيِّ في التفسير» الشنقيطي، محمد، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، الطبعة: الثانية، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، سنة (١٤٢٦هـ).

١٤- «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود، (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، الطبعة: الأولىٰ،

الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، سنة (١٩٩٨م).

١٥- «مدخل في علوم القراءات»، الطويل، السيد رزق الطويل، دكتور (ت: ١٤١٩هـ)، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: المكتبة الفيصلية، سنة (١٩٨٥م).

١٦- «المفردات في غريب القرآن»، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار القلم والدار الشامية، دمشق بيروت، سنة (١٤١٢هـ).

رابعًا: كتب اللغة العربية:

١٧- «تهذيب اللغة»، الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة (٢٠٠١م).

١٨- «الصحاح تاج اللغة»، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة: الرابعة، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت لبنان، سنة (١٩٨٧).

١٩- «العين» الخليل الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار الهلال، القاهرة، (د: ط. ت).

٢٠- «الفروق اللغوية»، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (توفي نحو: ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د: طـ. ت).

٢١- «القاموس المحيط»، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، الطبعة: الثامنة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، سنة (٢٠٠٥م).

٢٢- «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»، أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسىٰ

الحسيني القريمي الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، (د: ط.ت).

٢٣- «لسان العرب» ابن منظور، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الطبعة الثالثة، طبع: دار صادر، بيروت، (سنة ١٤١٤هـ).

٢٤- «النهاية في غريب الحديث والأثر»، ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ، محمود محمد الطناحي، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، سنة (١٩٧٩م).

خامسًا: كتب أخرى:

٢٥- «الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» الجويني، إمام الحرمين، تحقيق: د. أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة، سنة (٢٠٠٩).

٢٦- «الإصابة في تمييز الصحابة»، الحافظ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلىٰ محمد معوض، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، سنة (١٤١٥هـ).

٢٧- «أصول الدين» الغزنوي، أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي، تحقيق: د. عمر وفيق الداعوق، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، سنة (١٩٩٨).

٢٨- «الأعلام» الزركلي، خير الدين، طبعة رقم: (١٥)، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت لبنان، سنة (٢٠٠٢).

٢٩- «سير أعلام النبلاء» الإمام الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة: الثالثة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٣٠- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق بيروت، سنة (١٩٩٣).

٣١- «شرح الصاوي علىٰ جوهرة التوحيد» الصاوي، أحمد محمد المالكي الصاوي (ت: ١٢٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح البزم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، سنة (١٩٩٩).

٣٢- «شرح صحيح مسلم»، الإمام النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف (ت: ٦٧٦هـ) الطبعة: الثانية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة (١٣٩٢هـ).

٣٣- «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، (د: ط. ت).

٣٤- «طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم» ابن السَّلَّار، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (ت: ٧٨٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد عزوز، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: المكتبة العصرية – صيدا بيروت، سنة (١٤٢٣هـ).

٣٥- «عقيدة المسلم» الغزالي، محمد، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الدعوة، مصر، سنة (١٩٩٠).

٣٦- «غاية النهاية في طبقات القراء» ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ) عني بنشره المستشرق الألماني برجستراسر، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: مكتبة ابن تيمية، سنة (١٣٥١هـ).

٣٧- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، الحافظ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة، بيروت سنة (١٣٧٩هـ) (د: ط).

٣٨- «معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار» الإمام الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٣٩- «معجم المؤلفين»، كحالة، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنىٰ-بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت (د: ط. ت).

سادسًا: البحوث والمجلات:

٤٠- بحث «أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتُها» أبو عيشة، الأمير محفوظ محمد، منشور في «مجلة تدبر» التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس، السنة الثالثة، عدد رجب (١٤٤٠هـ) مارس (٢٠١٩).

٤١- بحث «علاقة الكتب السماوية بالعلم وموقف العلماء منها وآثارها المترتبة»، أبو عيشة، الأمير محفوظ محمد، المجلة العلمية لكلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف، بالقاهرة، العدد (٢٨)، سنة (٢٠١٥/ ٢٠١٦).

(والله ولي التوفيق)

References and Sources

First: The Holy Quran

Second: The Sunna Books

Third: Interpretation of the Holy Quran References

1. (***Al-Irshdat Al-Jaliah fi Al-Qiraat Al-Sabei m'n Tariq Alshatibiyah***) Muhaisen, Muhammed Mohammed Mohammed Salem Muhaisen, Publisher: Al-Azhar Al-Sharif, Al-Azhar Institutes Sector, (2005).
2. (***Guiding Sound Mind***), Abu Al-Saud Al-Emadi, Mohammed bin Mohammed bin Mustafa, (Died.: 982 AH) Edition: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, Lebanon, (without publishing date).
3. (***Anwaru Tanzil wa Asraru Tawail***), Al-Baydawi, Nasser Al-Din (Died.: 685 AH), Investigated by: Mohammed Abdul Rahman Al-Mara'ashli, Edition: First, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (1418 AH).
4. (***Al-Bodor Al-Zahirah fi Al-Qiraat Al-Ashr Al-Motawatirah***) Alqadi, Abdulfattah Alqadi, Publisher: Al-Azhar Al-Sharif, Al-Azhar Institutes Sector, year (2005).
5. (***Al-Tahrir wat Tanwir***), Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Ashour, (Died: 1393 AH), Edition: First, Publisher: Tunisian Publishing House, (1984 AD).
6. (***Tafsir Al-Khawatir***), Al-Shaarawy, Mohammed Metwally, (Died: 1418 AH), Edition: First, Publisher: Akhbar Al-Youm Press, (1997 AD).
7. (***Al-Tafseer Al-Kabeer***), Al-Razi, Mohammed bin Omar bin Al-Hasan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi Abu Abdullah Fakhr Al-Din Khatib Al-Reyy (Died.: 606 AH), Edition: Third, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, (1420 AH).
8. (***Tafseer Al-Quran Alazeem***), Abo Alfidaa Ibn Katheer, Ismail bin Omar bin Katheer Alqurashi Albasri Aldemashqi (Died: 774 AH):, investigated by: uham-

mad Hussein Shams Al-Din, Edition: First, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Elmiyah - Beirut, (1419 AH).

9. (***Aljamei li Ahkam Al-Quran***), Alqurtobi, Mohammed bin Ahmed ibn Abi Bakr ibn Farah Al-Ansari Alkhazraji, (Died: 671 Ah), Investigated by: Ahmed Al-Baradouni, and Ibrahim Atfish, Edition: Second, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Masryah, Cairo (1964).
10. (***Jamiu al-Bayan A'n Taweel El-Quran***), Al-Tabari, Mohammed bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb, (Died: 310 AH), Investigated by: Ahmed Mohammed Shaker, Edition: First, Publisher: Al-Risala Foundation, (2000 AD).
11. (***Asserajul Munir fi Kalam Rabbina Al-Hamimul Khabir***), Al-Sherbini, Shamsu Ddin Mohammed bin Ahmed Al-Khatib Al-Sharbeni Al-Shafei, (Died: 977 AH) Publisher: Bulaq Al-Amiriyah Press, Cairo, (1285 AH).
12. (***Al-Azbul Namir m'n Majalis Al-Shanqeeti fi Tafsir***) Al-Shanqeeti, Mohammed, Investigated by: Khalid bin Othman Al-Sabt, Edition: Second, Publisher: Dar Alam Al-Fawa'id Publishing and Distribution, Makkah Al-Mukarramah, (1426 AH).
13. (***Madarik Attanzil wa Haqaiqu atawil***) Al-Nasafi, Abu Al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud, (T.: 710 AH), Investigated by: Youssef Ali Badawi, Reviewed by: Mohieddin Deeb Misto, Edition: First, Publisher: Dar Al-Kalim Al-Tayyib, Beirut, (1998 AD).
14. (***Introductory to the Sciences of Recitations***), Al-Taweel, Al-Sayyid Rizk Al-Taweel, Doctor (Died.: 1419 AH), Edition: First, Publisher: Al-Faisaliah Library, (1985 AD).
15. (***Al-Mofradat fi Ghrib Al-Qur'an***), Al-Raghib Al-Asfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Mohammed (Died.: 502 AH), Investigated by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Edition: First, publisher: Dar Al-Qalam and Al-Dar Al-Shamiyah, Damascus Beirut, (1412 AH).

Fourth: Arabic Language References

16. (***Tahzeebul Loghah***), Al-Harawi, Mohammed bin Ahmed bin Al-Azhari

Al-Harawi, Abu Mansour (Died: 370 AH), Investigated by: Mohammed Awad Mereib, Edition: First, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (2001 AD).

17. (***Al- Sehah Tajul Loghah***), Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad, (died.: 393 AH), Investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Fourth Edition, Publisher: Dar El Ilm Lil Malayin - Beirut, Lebanon, year (1987).
18. (***Al-Ayn***), Abu Abdrrahman Al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr Al-Farahidi Al-Basri (died: 170 AH), Investigated by: Dr. Mahdi Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, publisher: Dar Al-Hilal, Cairo, (without publishing date)
19. (***Al-Forouq Al-Lughawiyah***), Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah (died about: 395 AH), Investigated by: Mohammed Ibrahim Selim, Dar Al-Ilm wa Al-Thaqafah for Publishing and Distribution, Cairo, (without publishing date)
20. (***Al-Qamous Al-Moheit***), Al-Fayrouzabadi, Mohammed Bin Yaqoub (Died: 817 AH), Investigated by: Mohammed Naim Al-Erqsusi, Edition: Eighth, Publisher: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, (2005 AD).
21. (***Al-kolliyyat; Lexicon of Lingual Idioms and Differences***), Abu Al-Baqa Al-Kafwi, Ayoub bin Musa Al-Hussaini Al-Quraimi Al-Hanafi (Died: 1094 AH), Investigated by: Adnan Darwish, and Mohammed Al-Masry, Publisher: Al-Resala Foundation, Beirut, (without publishing date)
22. (***Lisan Al-Arab***), Ibn Manzur, Mohammed Ibn Makram Ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamalu Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifa'i Al-Ifriqi (died: 711 AH), edition: third, printed by: Dar Sader, Beirut, (1414 AH).
23. (***Al-Nihayah fi Gharib Al-Hadith wal Athar***), Ibn Al-Atheer, Abu Al-Saadat Al-Mubarak Bin Mohammed Bin Mohammed Bin Mohammed Bin Abdul Karim Al-Shaibani Al-Jazari Ibn Al-Atheer (T.: 606 AH) Investigated by: Taher Ahmad Al-Zawi, Mahmoud Mohammed Al-Tanahi, Edition: First, Publisher: Al-Maktabah Al-Ilmiyyah - Beirut, year (1979 AD).

Fifth: Other Refences

24. (***Al-Irshad Ila Qawatei Al-Adellah fi Asoul Al-Etiqad***), Al-Juwayni, Imam of

the Two Holy Mosques, investigated by: Dr. Ahmed Abdel Rahim Al-Sayeh, and Tawfiq Ali Wahba, Edition: First, Publisher: Religious Culture Library, Cairo, (2009).

25. (***Al-Esabah fi Tameiz Al-Sahabah***), Al-Hafiz Ibn Hajar, Abu Al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar Al-Asqalani Al-Shafi'i, Investigated by: by: Adel Ahmed Abdel-Mawgod and Ali Mohammed Moawad, Edition: First, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, year (1415 AH).
26. (***Usoul Al-Din***) Al-Ghaznawi, Ahmed bin Mohammed Al-Ghaznawi Al-Hanafi, investigated by: Dr. Omar Wafiq Daouk, first edition, publisher: Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah, Beirut, in the year 1998.
27. (***Al-Alam***) Al-Zarkali, Khair Al-Din, Edition No.: (15), Publisher: Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, Lebanon, year (2002).
28. (***Siyar Alaamu Noblaa***), Imam Al-Zahabi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz (Died: 748 AH), Investigated by: a group of investigators under the supervision of Sheikh Shuaib Arnaout, Edition: Third, Publisher: Al-Resala Foundation, Beirut, (1405 AH/ 1985 AD).
29. (***Shazarat Alzahab fi Akhbar m'an Zahab***), Ibn Al-Imad, Abd Al-Hai bin Ahmed bin Mohammed Ibn Al-Imad Al-Akri Al-Hanbali, Abu Al-Falah (died: 1089 AH), Investigated by: Mahmoud Arnaout, publisher: Dar Ibn Kathir, Damascus Beirut, (1993).
30. (***Sharhu Assawi ala Jawhaatu Attawhid***) Al-Sawy, Ahmed Mohammed Al-Maliki Al-Sawy (Died: 1241 AH), Investigated by: Dr. Abdel Fattah Al-Bazam, Edition: Second, Publisher: Dar Ibn Kathir, Damascus, Beirut, (1999).
31. (***Sharhu Sahih Muslim***), Imam Al-Nawawi, Abu Zakaria Muhyi Al-Din Yahya bin Sharaf (T.: 676 AH) Edition: Second, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (1392 AH).
32. (***Addaw Allamei Liahl Al-Qarnu Atasei***), Al-Sakhawi, Mohammed bin Abdurrhman bin Mohammed bin Abi Bakr bin Othman bin Mohammed (died: 902 AH), Publisher: Al-Hayat Library Publications - Beirut, (without publishing date.).

33. (***Tabaqat Al-Quraa Al-Sabaa wa Zikru Manaqiihim wa Qiaatihim***), Ibn al-Sallar, Abd al-Wahhab ibn Yusuf ibn Ibrahim, Ibn al-Sallar al-Shafei (died: 782 AH), Investigated by: Ahmed Mohammed Azzouz, Edition: First, publisher: Al-Maktabah Al-Asriyag – Saida, Beirut, (1423 AH).
34. (***Muslim's Creed***) Al-Ghazali, Mohammed, Edition: Second, Publisher: Dar Al-Da`wah, Egypt, in the year (1990).
35. (***Ghayau Al-Nihayah fi Tabaqat Al-Quraa***) Ibn al-Jazari, Shams al-Din Mohammed ibn Mohammed ibn Yusuf ibn al-Jazari, (Died: 833 AH), published by the German orientalist Bergstrasser, Edition: First, Publisher: Ibn Taymiyyah Library, year (1351 AH).
36. (***Fath al-Bari, Sharh Sahih al-Bukhari***), al-Hafiz Ibn Hajar, Abu al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar al-Asqalani al-Shafi'i, publisher: Dar al-Maarifa, Beirut (1379 AH) (without publishing date).
37. (***Maifatu al-Quraa Al-Kibar al Altabaqat wa Al-Aasar***) Imam Al-Dhahabi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz (Died: 748 AH), Edition: First, Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (1417 AH / 1997 AD).
38. (***Glossary of Authors***), Kahala, Omar Reda Kahala, Publisher: Al-Muthanna Library - Beirut, Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut (without publishing date).

Sixth: Researches and Journals

39. (***Verbs of Creation and Existing in the Holy Quran and their Implications***) research, Abo Eisha, Al-Amir, Mahfouz Mohammed, published in (Tadabor Journal), affiliated to Saudi Ministry of Information, Issue Six, Third Year, Rajab Issue (1440 AH) March (2019).
40. (***The Relationship Between Heavenly Books and Science and scholars position of such Relationship and its Implications***) Research, Abu Eisha, Al-Amir, Mahfouz Mohammed, the scientific journal, College of Islamic Call, Al-Azhar University, Cairo, No. (28), (2015/2016).

فهرس الموضوعات

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله.

مجلة تدبر



الفُرُوقُ الحَرَكِيَّةُ فِيمَا اتَّحَدَتْ حُرُوفُهَا مِنَ القِرَاءَاتِ الفَرْشِيَّةِ وَأَثَرُهَا فِي المَعْنَىٰ وَالتَّدَبُّرِ

"دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ"

مُحَمَّد بن عَبْدِ الكَرِيم بن بَيْغَام

طالب بمرحلة الدكتوراة بقسم القرآن الكريم وعلومه
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٧/١١
قبل للنشر في: ١٤٤٢/٨/١٧
نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- حصل علىٰ درجة الماجستير من قسم القراءات، كلية الشريعة والأنظمة بجامعة الطائف عام ١٤٣٩هـ بأطروحته: «الدرّ المنثور في النهج المنشور في قراءات الأئمة العشرة للإمام محمد بن أحمد العوفي (ت بعد ١٠٥٤هـ) - من بداءة الكتاب إلىٰ نهاية باب المدّ والقصر (دراسةً وتحقيقًا)».
- سجّل موضوع رسالة الدكتوراة بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم عام ١٤٤١هـ بعنوان: «توجيه القراءات الفرْشيّة المتواترة بلغات العرب وأثره في المعنىٰ (جمعًا ودراسةً)».

النتاج العلمي:

١- «الارتياق في توجيه المتشابه اللفظي بالسياق في كتب توجيه المتشابه اللفظي».
٢- «منهج المنتَجَب الهمذاني في توجيه القراءات في كتابه: (الدرّة الفريدة في شرح القصيدة)».
٣- «الاحتجاج للقراءات الفرْشيّة المتواترة بالفاصلة القرآنية في كتب توجيه القراءات».
٤- «الاحتجاج للقراءات الفرْشيّة المتواترة بالقراءات الشاذّة في كتاب: (الدرّة الفريدة في شرح القصيدة) للمنتَجَب الهمذاني».
٥- «الاحتجاج للقراءات الفرْشيّة المتواترة برسم المصحف في كتاب: (الشافي في علل القراءات) لابن القرّاب».
٦- «الاحتجاج للمختلَفِ فيه من القراءات الفرْشيّة المتواترة بالمجمَعِ عليه منها في كتاب: (الشفاء في علل القراءات) لأبي الفضل البخاري».
٧- «التعقّبات علىٰ حاشية ابن المنيّر علىٰ الكشّاف للزمخشري الموسومة بـ (الانتصاف من الكشّاف)».

البريد الشبكي: m.paigham@gmail.com

المُستَخلَص

يتعلَّق البحث بالقراءات الفرشيَّة التي اتَّحدتْ حروفُها واختلفتْ حركاتُها، وأثَّر هذا الاختلاف في معنىٰ القراءات، وتدبرها، ودلالاتها؛ لِما للحركة في بناء الكلمة من أهمية في تحديد المعنىٰ، والإسفار عن دلالتها، والحركة المقصودة في البحث ليست هي حركة الإعراب، بل إنها الحركة الثابتة في أصل الكلمة، والتي تعتبر الرمز الصوتي للكلمة، التي لو تغيّرتْ؛ تغيرتْ قيمة الكلمة، واختلف معناها، واختلفتْ دلالتها، ورمزها الصوتي، وجرسها التعبيري.

وعليه.. جاء هذا البحث منتَهِجًا المنهجَ الاستقرائي التحليلي القائم علىٰ الدراسة التطبيقية؛ ليحاول إبراز الجانب التدبري للقراءات القرآنية من خلال بيان أهمية الحركة للقراءة التي اتَّحدتْ حروفُها، واختلفتْ حركاتها؛ ليتجلىٰ بذلك أثرها في اختلاف المعنىٰ، واختلاف الدلالة، وغير ذلك من الاختلافات التي تلحقها، وأنَّ العناية بدلالات ألفاظ القراءات من حروف وحركات من أصول تدبر القراءات، وأنَّه لا إدراك لإعجاز القرآن عامة والقراءات خاصة دون إتقان اللسان العربي المبين الذي نزل به، وأنَّ القراءات وعاء ومستودع لكثير من لغات العرب، وأنَّ العناية بكتب علل القراءات من الأصول العملية المُفضية إلىٰ تدبر القراءات، وأنَّ النظر إلىٰ ما وراء الألفاظ والحروف والحركات من المعاني والعبر والمقاصد هو الذي يثمر العلوم النافعة، والأعمال الزاكية، وهو المقصد الأعظم من تنزيل القرآن العظيم.

الكلمات المفتاحية: القراءة الفرشية - الحركة - اتحاد المعنىٰ - اختلاف المعنىٰ - تدبر القراءات.

marks is crucial for understanding these readings. It is not possible to comprehend the miracles of the Quran in general and the readings in particular without mastering Arabic language. Readings) are repositories for many Arab dialects. Giving attention to the references dealing with the rationale behind readings is one of the practical principles of reflecting on them. Focusing on meanings, lessons and purposes underlain by words, letters and diacritical marks results in useful sciences and significant accomplishments, which constitutes the major purpose of revealing the Holy Quran.

Keywords:

Farshi readings- diacritical marks- - the same meaning different meaning - reflecting on readings.

Diacritical Marks Differences in Farshi Readings with Identical Letters and their Effects on Meaning and Understanding: An Empirical Study

Prepared by

Mohammad bin Abdul-Kareem bin Paigham

A PhD student at the Holy Quran and its Sciences Department,
College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University

Abstract

This paper is about the Farshi readings with identical letters and different diacritical marks and the effect of this variation on the meanings and reflection of these readings. This is due to the fact that a diacritical mark is essential for determining the meanings and semantics of words. The diacritical marks we mean are not the inflectional ones; rather they are the fixed marks of root words, which represent the phonetic symbols of words which if are changed, the values of words, their meaning, semantics, phonetic symbols and expressive sounds will differ as well.

Accordingly, this paper followed an inductive analytical method based on an applied study to highlight the reflective aspect of the Quranic readings by showing the importance of the diacritical marks of readings with identical letters but different diacritical marks in order to demonstrate the effect of the diacritical marks on meaning and semantics in addition to other variations. Paying attention to the semantics of reading words in terms of their letters and diacritical

المُقَدِّمَةُ

حمدًا لله مستحقِّ الحمد، والصلاة والسلام علىٰ نبيِّه وآله مِن بعد .. وبعدُ:

فإنَّ شرف كلِّ علم بما يتَّصل به من مباحث ومسائل؛ لهذا كانتْ علوم القرآن الكريم أشرف العلوم، وأرفعها منزلةً، وأعلاها قدرًا، وأجلَّها شأنًا؛ لصلتها بأعظم كتابٍ أُنزل، علىٰ أعظم نبيٍّ أُرسل ﷺ، وأهلها هم خير النَّاس، وأشرف الخلق؛ لصلتهم الوثيقة به.

ولا شكَّ أنَّ علم القراءات وتوجيهها من أكثر العلوم تعلُّقًا بالقرآن؛ والأمر يشرفُ بما به يتعلَّق، ومن هنا فقد اهتمَّ بها العلماء، فصنَّفوا فيها وأبدعوا، وألَّفوا فأجادوا؛ إذْ بالقراءات تُحفظ ألفاظ الحروف ومبانيها، وبالتوجيه تُعرف وجوه الكلمات ومعانيها.

وإنَّ المتأمِّل في القراءات القرآنيَّة ليجد فيها أوجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وأنَّ في تنوُّعها براهينَ وأدلةً علىٰ أنَّ القرآنَ كلامُ الله العزيز؛ حيث إنَّها مع كثرتها لا تضادَّ فيها ولا تناقض، بل يصدِّق بعضُها بعضًا، ويشهد بعضها لبعض، مع اتفاقٍ فيما بينها علىٰ علوِّ الأسلوب، وغاية السموِّ في التعليم والهداية؛ وذلك يفيد تعدد أوجه الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

ومن أوجه إعجاز القراءات: اختلاف القراءات لاختلاف المعاني، واتحادها لاتحاد معانيها، واختلافها واتحاد معانيها؛ فالقرآن يُعجِزُ بهذه القراءة، وبتلك القراءة؛ لتَتَعدَّد أوجه الإعجاز بتعدُّد تلك الوجوه والحروف والمعاني.

ولأجل هذا وذاك.. فإنِّي أرجو أن أكون قد أحسنتُ في اختيار البحث الذي وسمتُه بـ: **(الفروق الحركيَّة فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيَّة وأثرها في المعنىٰ والتدبر - دراسة تطبيقية)**، وآمل -أيضًا- أن أكون عند حسن الظن، وأن أوفِّيه حقَّه، وما توفيقي إلا بالله، وهو وحده المستعان، وعليه التكلان.

موضوع البحث:

جاء هذا البحث مهتمًّا بالقراءات الفرشيَّة التي اتَّحدتْ حروفُها واختلفتْ حركاتُها، وأثر هذا الاختلاف في معنىٰ القراءات، ودلالاتها، وتدبرها، وما يثمره من علوم نافعة، وأعمال زاكية، وتوجيهات تربوية، ولطائف بيانية.

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

١) اتِّصال البحث بعِلمَين من أشرف العلوم، وهما: علم القراءات، وعلم العربية، وهما علمان مهمَّان متلازمان، لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر؛ فازدان بهما رُواءً وجمالًا، وازداد رفعةً وكمالًا.

٢) اهتمام البحث بتوجيه القراءات الذي به تُفسَّر الآيات، وتُعرف وجوه الألفاظ ومعانيها، ويُكشف غامضها وما أُبهم منها.

٣) عناية البحث بتدبر القراءات الذي هو من أعظم أسباب صلاح القلب وتزكية النفس؛ لما يحويه من فوائد إيمانية، وتوجيهات تربوية، ولطائف ربانية تفضي به إلىٰ سعادة الدنيا والآخرة، وهو من ثمار توجيه القراءات.

٤) إظهار البحث لإعجاز القراءات؛ حيث إنَّ الاختلاف في القراءات علىٰ كثرتها لا تضادَّ فيها ولا تناقض، بل يصدق بعضها بعضًا؛ وذلك يفيد تعدد أوجه الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

٥) كثرة ووفرة القراءات التي اتَّحدتْ حروفُها واختلفتْ حركاتُها، وهذا يشكل ظاهرةً لا يُمكن إغفالُها وتجاوزُها دون أن يُلمَّ شملُها وتُبرز، وتُدرس وتُشهر.

٦) قلَّة الدراسات التي اهتمَّتْ بتدبر القراءات الذي هو من تدبر القرآن العظيم.

أهداف البحث:

١) استقراء القراءات الفرشيَّة التي اتَّحدتْ حروفُها واختلفتْ حركاتُها؛ إجلاءً لأنواعها، وبيانًا لأقسامها.

٢) دراسة مواضع من تلك القراءات؛ إظهارًا لأهمية الحركة في بناء اللفظ القرآني من تحديد المعنىٰ، والإسفار عن دلالته، ودقة وعمق تعبيراته.

٣) إبراز الجانب التدبري للقراءات، والنظر إلىٰ ما وراء الألفاظ والحروف والحركات من المعاني والعبر والمقاصد والتوجيهات؛ لأنَّ العناية بألفاظ القراءات القرآنية وتحقيقها وترقيقها وإمالتها وغير ذلك مهمَّة، غير أنَّ الأولىٰ أن تجتمع العناية بتلك الألفاظ وكيفيات أدائها مع العناية بفهم كلام الله وتدبره.

٤) تسليط الضوء علىٰ هذا النوع المستظرف من البحوث، وضمُّها إلىٰ قوائم الدراسات القرآنية التدبرية.

حدود البحث:

حددتُّ موضوع بحثي هذا بدراسة اثني عشر مثالًا للقراءات الفرشية المتواترة والشاذَّة مما اتَّحدتْ حروفُها واختلفتْ حركاتُها؛ ليظهر أثر هذا الاختلاف في معناها، ودلالاتها، وتدبرها، وخرج بذلك: أصول القراءات، والقراءات التي لم

تتَّحدْ حروفها، والفروق الإعرابية في القراءات الفرشيَّة[١].

الدراسات السابقة:

بعد أن راسلتُ عددًا من المراكز المتخصصة في الأبحاث العلمية وكنتُ منها في إفادة، وبحثتُ عبر الشبكة العنكبوتية وقواعد البيانات والمعلومات والمراصد والمكانز العلمية وكنتُ معها في زيادة، وسألتُ بعض الباحثين في القرآن والقراءات وكنتُ معهم في وفادة؛ تبيَّن لي أنَّ البحث لم يُفرَدْ علىٰ سبيل الانفراد والاستقلال وكنتُ بذا في أتمِّ سعادة، غير أنِّي وقفتُ علىٰ بحث لطيف مما قد يُظنُّ أنَّ له علاقة بموضوع بحثي موسوم بـ(القراءات من قبيل اللغات بين اتحاد المعنىٰ أو اختلافه - دراسة تطبيقية مقارنة) للأستاذ الدكتور عبدالله بن حماد القرشي[٢]، غير أنَّ بحثي يختلف عن بحثه في: عنوانه، وموضوعه، وحدوده، وإجراءاته[٣].

ثم إني أحبُّ قبل ختام الدراسات السابقة أن أفردَ -استقلالًا- بالذِّكر بحثَ الدكتور شبيل أبو الغيث إبراهيم الحكمي الموسوم بـ(الفروق الحركية في القرآن الكريم فيما اتَّحدتْ حروفُها واختلفتْ حركاتُها لاختلاف معناه)[٤]؛ إذْ إنِّي استلهمتُ فكرة بحثي منه عملًا بتوصيته في بحثه حين قال: «وبدأتُ أتتبَّع مادته في القرآن العظيم، ورأيتُ أنَّه ينقسم إلىٰ قسمين: قسم موجود في موضعين مختلفي

---

(١) اعتبرتُ الحرفَ المشدَّدَ حرفين علىٰ مذهب متقدمي أهل اللغة كالأخفش (٢١٥هـ): يُنظر: تداخل الأصوات العربية وأثره في بناء المعجم للدكتور عبدالرزاق الصاعدي: (١/ ١٧٨).

(٢) منشور كبحث علمي محكّم في مجلة كلية التربية بجامعة طنطا بالجزء الثاني من العدد الرابع في عام ٢٠١٥م.

(٣) يُراجع: مقدمة البحث: (ص:٣ – ٥).

(٤) مطبوع بنادي المدينة المنورة الأدبي في مجلد واحد في عام ١٤٤٠هـ.

الحركات، وقسم يدل عليه اختلاف القراءات، أي: في قراءة بحركة، وفي أخرىٰ بغيرها ... ورأيتُ أنَّ الثاني – وهو ما ورد في موضع واحد إلا أنَّه بقراءتين مختلفتي الحركات – أكثر عددًا، ويستحق أن يكون رسالة علمية مستقلة حافلة»(١)، ولم أشأْ أن أؤثر بنصيبي من هذا البحث أحدًا؛ فكانتْ قطرةَ سماء، وومضةَ سناء، ووردةَ بستان، ونبضةَ جنان، وبضاعتي تُردُّ إليه؛ فأحسن الله به وإليه، إلا أنَّ الاختلافَ بينهما في أنَّ بحثه يتعلق باختلاف حركات اللفظ القرآني الذي اتَّحدتْ حروفُه في موضعين من رواية حفص عن عاصم، وبيان أثره في المعنىٰ، وأما بحثي فهو متعلِّق باختلاف حركات القراءات الفرشيَّة المتواترة والشاذَّة مما اتَّحدتْ حروفُها في موضع واحد، وبيان أثره في معنىٰ القراءات، ودلالاتها، وتدبرها.

منهج البحث:

يعتمد البحث علىٰ منهجين:

١) المنهج الاستقرائي لمواضع القراءات الفرشيَّة المتواترة والشاذَّة مما اتَّحدتْ حروفُها واختلفتْ حركاتُها؛ لتَتَجلَّىٰ بذلك أنواعها وأقسامها كما هي مبيَّنة في فصول هذا البحث.

٢) المنهج التحليلي؛ وذلك من خلال دراسة بعض تلك المواضع دراسة تحليلية؛ ليظهر بذلك أثر اختلاف حركاتها مع اتحاد حروفها في المعنىٰ، والدلالة، والتدبر.

---

(١) الفروق الحركية في القرآن الكريم فيما اتحدت حروفه واختلفت حركاته لاختلاف معناه للدكتور شبيل أبو الغيث إبراهيم حسن الحكمي: (ص:١٤).

◆ إجراءات البحث:

أوَّلًا: الإجراءات الخاصة:

التمهيد لكل فصل من فصول البحث بتوطئة تحوي تعريفًا به، وذكرًا لأنواعه وأقسامه، ثم أمثلة تطبيقية مراعيًا فيها ومتَّبِعًا الإجراءات الآتية:

١) ذكر الآية القرآنية المشتملة علىٰ القراءة المراد دراستها، ثمَّ ذكر اللفظ القرآني المختلف فيه.

٢) ذكر القراءات المتواترة والشاذَّة(١) الواردة في اللفظ القرآني المختلف فيه مع عزوها لأصحابها، وتوثيقها.

٣) توجيه القراءات المذكورة مستعينًا بكلام أهل التوجيه والتفسير واللغة في توجيهها، والكشف عن معانيها.

٤) عند اتفاق أهل العلم علىٰ اتحاد معنىٰ القراءات أو اختلاف معناها؛ فإني أكتفي بتوجيهها، وأما عند اختلافهم في معناها بين اتحاده أو اختلافه؛ فإن كانت المعاني محتملة ومتقاربة؛ حملتُها علىٰ معنىٰ كلي تدخل فيه المعاني جميعها، وإلا قدَّمتُ الأَولىٰ، ورجَّحته بالحجة والبرهان مع الاعتضاد بأقوال مَن وافقتُهم في الترجيح والتقديم.

٥) بيان أثر اختلاف الحركة في القراءات التي اتَّحدتْ حروفُها في معناها، وتدبرها،

---

(١) إن وافقت القراءةُ الشاذةُ القراءةَ المتواترةَ بحروفها وحركاتها كما قرئتْ: ﴿ٱلْقُدْسِ﴾ بإسكان الدال متواترة وشاذة؛ فإني عندها أثبت كلتا القراءتين؛ وذلك لتعلق البحث بالقراءات المتواترة والشاذة، وحتىٰ يتَّحد منهجُ ذكرِ القراءات الواردة في اللفظ القرآني المختلف فيه.

وما يثمره من فوائد علمية، وتوجيهات تربوية، ولطائف تدبرية، ونكت لغوية.

ثانيًا: الإجراءات العامة:

١) كتابة الآيات القرآنيَّة، والقراءات المتواترة بالرَّسم العثمانِيِّ بين قوسين مزهرين هكذا: ﴿ ﴾، والقراءات الشاذَّة بالرسم الإملائي بين قوسين مزهرين هكذا: ﴿ ﴾؛ تمييزًا لها، مع عزو الآيات، بإيراد اسم السُّورة ورقم الآية في المتن دون الحاشية.

٢) توثيق النُّصوص، والآثار، والأقوال، وذلك من المصادر الأصليَّة الأصيلة لكلٍّ ممَّا سبق.

٣) التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في البحث مكتفيًا بذكر تاريخ وفياتهم دون التعرض لتراجمهم ما لم يكونوا من الصحابة والقراء العشرة ورواتهم لشهرتهم.

٤) كتابة البحث وفق قواعد الإملاء الحديثة، واستخدام علامات التَّرقيم الحديثة.

٥) ضبط ما يحتاج إلىٰ ضبط مع مراعاة الإيجاز والاختصار في البحث بشكل عام.

خطة البحث:

اقتضتْ طبيعة البحث تقسيمه إلىٰ: مقدمة، وثلاثة فصول رئيسة، وخاتمة، ثم فهارس، وذلك علىٰ النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل علىٰ: موضوع البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة فيه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

الفصل الأول: الفروق الحركية فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيَّة مع اتحادِ المعنىٰ.

الفصل الثاني: الفروق الحركية فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيَّة مع اختلافِ المعنىٰ.

الفصل الثالث: الفروق الحركية فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيَّة مع اختلافٍ في المعنىٰ.

الخاتمة: وتشتمل علىٰ: النتائج، والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل علىٰ: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأحمد الله سبحانه وأثني عليه في الختام علىٰ تيسيره وإعانته، وأستغفره من كل تقصير، والشكر لكل من ساهم وأعان، وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.

الفصل الأول:

الفروق الحركيَّة فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيَّة مع اتحادِ المعنى

هذا الفصل مختصٌّ بالقراءات الفرشيَّة التي اتَّحدتْ حروفُها، واختلفتْ حركاتُها مع اتحاد المعنىٰ؛ وليس ذلك إلا لأنَّها أوجهٌ ولغاتٌ يتعدَّد بها نطق الكلمة الواحدة باختلاف حركاتها دونما تأثير علىٰ اتحاد المعنىٰ بينها.

ويتجلَّىٰ في هذا النوع: التيسير، ورفع الحرج؛ لأنَّ القرآن لو أُنزل بلغة واحدة دون مراعاة الألسن ولغات العرب؛ لكان ذلك القصر عليها حائلًا بينهم وبين كثير من القرآن الذي لم تعتدْ ألسنتهم علىٰ اللغة التي نزل بها.

قال ابن جني (ت٣٩٢هـ): «واعلم أنَّ العرب تختلف أحوالها في تلقِّي الواحد منها لغةَ غيره، فمنهم مَن يخفُّ ويسرعُ قبولَ ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم علىٰ لغته ألبتَّة، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقتْ به ووُجدتْ في كلامه»(١).

ويتجلَّىٰ هذا في الأمثلة التالية:

❖ **المثال الأول**: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿ٱلْقُدُسِ﴾.

---

(١) «الخصائص» لابن جني: (١/ ٣٨٤).

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفُها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ الإمام ابن كثير المكّي بإسكان الدال: ﴿ٱلْقُدْسِ﴾، وقرأ الباقون بضمِّها: ﴿ٱلْقُدُسِ﴾(١).

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ ابن محيصن (ت١٢٣هـ) بإسكان الدال: ﴿ٱلْقُدْسِ﴾(٢).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿ٱلْقُدْسِ﴾، ﴿ٱلْقُدُسِ﴾.

توجيه القراءتين: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: توجيه قراءة مَن قرأ بضمِّ الدال: ﴿ٱلْقُدُسِ﴾: أنَّ الضمَّ علىٰ الأصل، وهي: لغة أهل الحجاز(٣).

وقد استشهد أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) علىٰ هذه القراءة بقول الشاعر:

لَا نَوْمَ حَتَّىٰ تَهْبِطِي أَرْضَ القُدُسْ   وَتَشْرَبِي مِنْ خَيْرِ مَاءٍ بِقُدُسْ(٤)

ثانيًا: توجيه قراءة مَن قرأ بإسكان الدال: ﴿ٱلْقُدْسِ﴾: أنَّ الإسكانَ تخفيفٌ من الضمِّ الذي هو الأصل، وللعرب لغتان فيما كان علىٰ وزن: (فُعُل): ضمُّ وسطه

---

(١) يُنظر: «التيسير في القراءات السبع» للداني: (ص:٧٤)، و«تحبير التيسير في القراءات العشر» لابن الجزري: (ص:٢٩١).

(٢) يُنظر: «المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي» لسبط الخياط: (ص:٣٤٦)، و«المغني في القراءات» للنوزاوازي: (١/ ٤٤٠).

(٣) يُنظر: «معاني القراءات» للأزهري: (١/ ١٦٤)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي: (١/ ٤٩٧).

(٤) «معاني القراءات»: (١/ ١٦٤)، ولم أقف علىٰ قائله.

علىٰ الأصل، وإسكانه للتخفيف؛ استثقالًا لتوالي الضمَّتين، كما يُقال: الرُّعُب والرُّعْب، ونحوهما، والإسكان: لغة أهل نجد(١).

قيل: إنَّما خُفِّف: ﴿ٱلْقُدُسِ﴾ لمجاورته: ﴿بِرُوحِ﴾؛ لأنَّه علىٰ ثلاثة أحرف، وأوسطه ساكن، فسكِّن الدال مِن: ﴿ٱلْقُدُسِ﴾؛ ليكونا جميعًا علىٰ لفظ واحد(٢).

وقيل: خفَّفه لمعناه، فإنَّ معناه: (الطُّهْر)؛ فرام أن يكون اللفظ مطابقًا لمعناه(٣).

وقيل: إنَّما خفَّفه لأنَّهما كالاسمين جُعلَا اسمًا واحدًا من حيث إنَّ كلَّ واحد منهما لا يُستعمل إلا مع صاحبه، فصارا كالاسم الواحد، فخفَّفه لطول الاسم(٤).

قال الفارسي (ت٣٧٧هـ): «و﴿ٱلْقُدُسِ﴾، و﴿ٱلْقُدْسِ﴾: التخفيف والتَّثقيل فيه حسنان»(٥).

والقُدس: الطُّهر، والتقديس: التطهير، والبيت المقدَّس: المطهَّر، وروح القدس: جبريل عليه السلام؛ لأنَّه لا يقترف ذنبًا، ولا يأتي مأثمًا؛ فلأجله سمِّي به، وهو الأصح(٦).

وقيل: القُدس: هو الله كالقدوس جل جلاله، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾،

---

(١) يُنظر: «الحجة للقراء السبعة» للفارسي: (٢/ ١٤٨)، و«الدر المصون»: (١/ ٤٩٧).

(٢) يُنظر: «الشافي في علل القراءات» لابن القراب: (١/ ٥٤٦)، و«الشفاء في علل القراءات» لأبي الفضل البخاري: (١/ ١٢٢).

(٣) يُنظر: «الحجة للقراء السبعة»: (٢/ ١٤٨)، و«الشافي في علل القراءات»: (١/ ٥٤٦).

(٤) يُنظر: «الشفاء في علل القراءات»: (١/ ١٢٢).

(٥) «الحجة للقراء السبعة»: (٢/ ١٥٠).

(٦) يُنظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس: (٥/ ٦٣) (قدس)، و«تفسير ابن عطية»: (١/ ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان: (١/ ٢٣٣).

أي: وأيّد عيسىٰ بنصرٍ منه، والقدس والقدوس واحد[1]، وتعضده: قراءة مَن قرأ: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُّوسِ﴾[2].

الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات وعاء ومستودع لكثير من لغاتهم ولهجاتهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، وليس ذلك إلا من إعجاز القرآن وقراءاته، ودراسة لغة العرب التي نزل بها القرآن من الأصول العلمية التي يُعتمد عليها في فهم كلام الله وتدبره.

٢) للعرب لغتان فيما كان علىٰ وزن: (فُعُل): ضمُّ وسطه علىٰ الأصل، وإسكانه للتخفيف؛ استثقالًا لتوالي الضمَّتين؛ لأنَّ حروف الكلمة كما أنَّها قد تتنافر؛ فكذلك حركاتها قد تتثاقل[3]، وعناية القارئ المتدبر بقواعد الفصاحة المستخرجة من القراءات القرآنية مما يؤول به ويفضي إلىٰ التدبر.

٣) الله ﷻ يؤيِّد رسله وأولياءه بالملائكة الكرام، ومن جملة تسخير الملائكة للخلق أنَّهم يؤيِّدون مَن أمرهم الله ﷻ بتأييده؛ تأمَّله في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾[4].

٤) في القراءتين دليل علىٰ مكانة جبريل عليه السلام عند الله ﷻ، فهو سيد الملائكة، قال الله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١][5].

---

(١) يُنظر: «تفسير الطبري»: (٢/ ٣٢٢)، و«تفسير ابن عطية»: (١/ ١٧٦)، و«البحر المحيط»: (١/ ٤٨١).

(٢) وهي قراءة أبي حيوة: يُنظر: «تفسير ابن عطية»: (١/ ١٧٦).

(٣) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص:٣٣).

(٤) يُنظر: «تفسير ابن عثيمين - سورة الفاتحة والبقرة»: (١/ ٢٨٦).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - الحزب الثاني من سورة البقرة»: (ص:٤٠).

٥) جبريل عليه السلام هو الطاهر المطهَّر الذي لا يقترف ذنبًا، ولا يأتي مأثمًا، وهو أمين الوحي الذي لا حياة للقلوب إلا به، فكما أنَّ الوحيَ موكَّلٌ به طاهرٌ مطهَّرٌ؛ فمعاني القرآن لا تحيي إلا القلوب الطاهرة المطهَّرة، وهي قلوب المتقين، قال الله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩].

٦) عِلم أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ من أشرف علوم التوحيد والإيمان، وفي تأمُّلها من الهدايات التي لا تنتهي، والأسرار التي لا تنقضي، مما تقصر العبارة عن ذكرها بالتفصيل، وتعجز الإشارة عن إحاطتها علىٰ وجه التكميل؛ تأمَّله علىٰ القول بأنَّ: (القُدس) اسمٌ من أسماء الله ﷻ كالقدوس، وما يثمره هذا القول من إشارة لطيفة إلىٰ طهارة مريم وعفَّتها في سياق قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧]، والعناية بسياق القراءة، ودلالة ما قبلها وما بعدها عليها مما يعين في بيان التوجيه الصحيح لها، واستخراج الهدايات منها.

٧) الله ﷻ يؤيِّد بنصره من يشاء، وهو القوي العزيز، والحكيم الخبير؛ تأمَّله في قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

٨) مَن جاور السعيد يسعد؛ تأمَّله في علَّة تخفيف قراءة: ﴿ٱلۡقُدۡسِ﴾ بالإسكان مجاورةً لقوله: ﴿بِرُوحِ﴾؛ ليكونا جميعًا علىٰ لفظ واحد.

٩) الاحتجاج للقراءة بالشِّعر من أهم موارد الاحتجاج للقراءات؛ إذْ إنّه يُثبتُ موافقتها للغة العرب ولو بوجه، وأنَّها ليستْ مما لم تستعملها العرب، كما احتجَّ أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) بالشعر لقراءة ضمِّ الدال: ﴿ٱلۡقُدُسِ﴾ كما بُيِّن؛ لأنَّ جهل الإنسان بألفاظ وأساليب العرب في خطابهم وكلامهم مما هو منثور في شعرهم ونثرهم من موانع التدبر وعوائقه.

❖ **المثال الثاني:** قوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران:٣٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ المدنيَّان والمكِّي والبصريَّان وابن عامر بفتح الفاء مخففَّة: ﴿وَكَفَلَهَا﴾[١].

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ ابن السَّمَّال[٢] بكسر الفاء مخففَّة: ﴿وَكَفِلَهَا﴾[٣].

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿وَكَفَلَهَا﴾، ﴿وَكَفِلَهَا﴾.

توجيه القراءتين: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: توجيه قراءة مَن قرأ: ﴿وَكَفَلَهَا﴾: أنَّها علىٰ الإخبار عن الغابر والماضي، وأنَّ الفعل فيها مسندٌ إلىٰ زكريا عليه السلام، مِن: كَفَلَ يَكْفُلُ، ويعضدها: قوله: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٤٤][٤].

ثانيًا: توجيه قراءة مَن قرأ: ﴿وَكَفِلَهَا﴾: أنَّها لغة، مِن: كَفِلَ يَكْفَلُ، وتعضدها: قراءة مَن قرأ[٥]: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفَلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٤٤][٦].

---

(١) يُنظر: «التيسير»: (ص:٨٧)، و«التحبير»: (ص:٣٢١).

(٢) لم أقفْ له علىٰ تاريخ وفاة.

(٣) يُنظر: «المغني في القراءات»: (٢/ ٥٧٨)، و«شواذ القراءات» للكرماني: (ص:١١١).

(٤) يُنظر: «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه: (ص:١٠٨)، و«الكتاب المختار» لابن إدريس: (١/ ١٤٨).

(٥) عن ابن المنادي عن نافع، والمُرِّي عن ابن كثير: يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص:٥١٦)، و«المغني في القراءات»: (١/ ٥٨٤).

(٦) يُنظر: «معاني القرآن» للأخفش: (١/ ٢١٥)، و«إعراب القراءات الشواذ» للعكبري: (١/ ٣١٣).

قال المنتجَب الهمذاني (ت٦٤٣هـ): «﴿وَكَفَلَهَا﴾: يُقال: كَفَلَ يَكْفُلُ - بفتح العين في الماضي، وضمِّها في الغابر - وعليها الجمهور، وكَفِلَ يَكْفَلُ - بكسر العين في الماضي، وفتحها في الغابر - وبها قرأ بعض القراء: ﴿وَكَفِلَهَا﴾»[(١)].

ومعنى الآية على القراءتين: أنَّ زكريا عليه السلام ضمنها، وضمن القيام بأمرها وتربيتها[(٢)].

والكاف والفاء واللام أصل صحيح يدلُّ على تضمن الشيء للشيء، ومنه: الكفيل، وهو: الضامن، ومنه أيضًا: الكافل، وهو: الذي يكفل إنسانًا يعوله[(٣)].

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات مصدر أصيل لكثير من لغاتهم، ومع ذلك عجزوا عن أن يأتوا بعشر سور مثله، وهذا من إعجاز القرآن وقراءاته، والإعداد الروحي بإدراك عظمة المنزِل للكتاب المعجِز من الجوانب المهمة التي لا يستغني عنها القارئ المتدبر.

٢) الفعل: (كفل) مِن الأفعال التي يجوز فيها فتح عينها وكسرها في الماضي، غير أنَّك لو فتحتَ عينها في الماضي؛ فإنَّك تضمُّها في المضارع، وأما لو كسرتَها في الماضي؛ فإنَّك تفتحها في المضارع، نحو: حَبَطَ يَحْبُطُ، وحَبِطَ يَحْبَطُ، وعناية القارئ المتدبر بقواعد الصرف المستنبطة من القراءات القرآنية مما يُستعان بها في توجيه القراءة المفضي به إلى التدبر والإسفار عن الدلالة.

---

(١) «الفريد في إعراب القرآن المجيد» للهمذاني: (٢/ ٤٣).

(٢) يُنظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج: (١/ ٤٠٣)، و«معاني القراءات» للأزهري: (١/ ٢٥٢).

(٣) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٥/ ١٧٨) (كفل)، و«المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده: (٧/ ٣٧) (كفل).

٣) في قراءتي: ﴿وَكَفَلَهَا﴾، ﴿وَكَفِلَهَا﴾: إشارة إلىٰ أنَّ زكريا عليه السلام لم يكفلْها إلا بأمر الله عز وجل بقرينة القراءة المتواترة الأخرىٰ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾(١)، أي: وأكفلها الله زكريا وضمَّها إليه، وأنَّ الله لم يكفِّلْها زكريا إلا بدعاء أم مريم بقرينة القراءة الشاذة الأخرىٰ علىٰ الدعاء: ﴿وَكَفِّلْهَا﴾(٢).

٤) فيهما العناية الخاصة من الله لمريم، وفي ذلك إشارة لعظم شأنها، وأنها سيكون لها دور في الأسوة والإصلاح(٣).

٥) فيهما إشارة إلىٰ أهمية البيئة الصالحة لبناء الشخصية الصالحة(٤).

٦) فيهما أنَّ الله قد ييسر للعبد من يكفله من أهل الخير والصلاح؛ فيكون ذلك من أسباب فوزه وسعادته(٥).

٧) فيهما إشارة إلىٰ فضل زكريا عليه السلام وكرمه وحسن خلقه وحبه للخير؛ حيث إنَّه كفل مريم واعتنىٰ بها(٦).

٨) بقدر صلاح المربِّي يكتسب من يربِّيه من خُلُقه وصلاحه ودينه، وفي كفالة زكريا لمريم فضيلةٌ تزيد من فضائلها(٧).

---

(١) وهي قراءة الكوفيين: يُنظر: «التيسير»: (ص:٨٧)، و«التحبير»: (ص:٣٢١).

(٢) وهي قراءة مجاهد: يُنظر: «المغني في القراءات»: (٢/ ٥٧٨)، و«شواذ القراءات»: (ص:١١١).

(٣) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص:٨٤).

(٤) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص:٨٥).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص:٨٥).

(٦) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص:٨٥).

(٧) يُنظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور: (٣/ ٢٣٥)، و«تفسير ابن عثيمين - سورة آل عمران»: (١/ ٢٣١)، و«التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة آل عمران»: (ص:١٧٦).

٩) الاحتجاج للقراءة بالنظائر القرآنية هو من الاحتجاج للقرآن بالقرآن، وخير ما يُحتجُّ به للقرآن هو القرآن نفسه؛ فقراءة: ﴿وَكَفَلَهَا﴾ احتُجَّ لها بالنظائر القرآنية كما بُيِّن.

١٠) القراءات الشاذة مورد عذب من موارد الاحتجاج للقراءات؛ فقراءة: ﴿وَكَفِلَهَا﴾ احتُجَّ لها بالقراءة الشاذة: ﴿يَكْفَلُ﴾ كما بُيِّن، وأيضًا هي من المصادر الأصيلة لمعرفة لغات العرب، وأساليب خطابهم.

❖ **المثال الثالث**: قوله تعالىٰ: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿لِلسُّحْتِ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وخلف بضمِّ السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلسُّحْتِ﴾، والباقون بضمِّهما: ﴿لِلسُّحُتِ﴾(١).

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ عبيد بن عمير (ت٧٤هـ) بكسر السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلسِّحْتِ﴾، وقرأ شيبة بن نصَّاح (ت١٣٠هـ) بضمِّ السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلسُّحْتِ﴾، وقرأ خارجة بن مصعب (ت١٦٨هـ) عن نافع بفتح السين والحاء: ﴿لِلسَّحَتِ﴾، وقرأ زيد بن علي (٣٥٨هـ) بفتح السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلسَّحْتِ﴾(٢).

---

(١) يُنظر: «التيسير»: (ص:٩٩)، و«التحبير»: (ص:٣٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري: (٢/٢١٦).

(٢) يُنظر: «المغني في القراءات»: (٢/ ٧١٥)، و«شواذ القراءات»: (ص:١٥٤).

مجموع القراءات: خمس قراءات: ﴿لِلسُّحُتِ﴾، ﴿لِلسُّحْتِ﴾، ﴿لِلسَّحَتِ﴾، ﴿لِلسَّحْتِ﴾، ﴿لِلسِّحْتِ﴾.

توجيه القراءات: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: توجيه قراءة مَن قرأ بضمَّتين: ﴿لِلسُّحُتِ﴾: أنَّها اسم للشيء المسحوت، وأنَّ الضمَّ فيها علىٰ لغة أهل الحجاز(1).

ثانيًا: توجيه قراءة مَن قرأ بضمَّة ثمَّ سكون: ﴿لِلسُّحْتِ﴾: أنَّ الإسكان فيها للتخفيف؛ لأنَّ الاسم إذا كان علىٰ ثلاثة أحرف، وكان أوله مضمومًا، فمنهم مَن ثقَّل وسطه بالضم، ومنهم من خفَّفه بالإسكان، كالعُسُر والعُسْر، واليُسُر واليُسْر، والحُلُم والحُلْم، والرُّعُب والرُّعْب، والإسكان لغة تميم(2).

ثالثًا: توجيه قراءة مَن قرأ بفتحتين: ﴿لِلسَّحَتِ﴾: أنَّها لغة، وهي أيضًا اسم للشيء المسحوت(3).

رابعًا: توجيه قراءة مَن قرأ بفتحة ثمَّ سكون: ﴿لِلسَّحْتِ﴾: أنَّها لغة، والإسكان فيها طلبًا للخفَّة، وهي مخفَّفة من قراءة الفتحتين(4).

---

(1) يُنظر: «الحجة» للفارسي: (٤/ ٢٢١)، و«الكتاب المختار»: (١/ ٤٩٩)، و«الدر المصون»: (١/ ٤١٨).

(2) يُنظر: «الكشاف» للزمخشري: (٢/ ٧٢٥)، و«تفسير البيضاوي»: (٣/ ٢٨٢)، و«تفسير ابن جزي»: (١/ ٤٤٦).

(3) يُنظر: «الكشاف» للزمخشري: (٢/ ٧٢٥)، و«تفسير الرازي»: (١١/ ٣٦٠)، و«الدر المصون»: (١/ ٤١٨).

(4) يُنظر: «إعراب القراءات الشواذ» للعكبري: (١/ ٤٣٨)، و«الدر المصون»: (١/ ٤١٨).

خامسًا: توجيه قراءة مَن قرأ بكسرة ثمَّ سكون: ﴿لِلسِّحْتِ﴾: أنَّها لغة، والإسكان فيها أيضًا طلبًا للخفَّة استثقالًا لتوالي المحركات(١).

قال العكبري (ت٦١٦هـ) عن القراءات المذكورة آنفًا: «وكلُّ ذلك لغات»(٢).

ومعنىٰ الآية علىٰ القراءات: أنَّه ذمَّهم علىٰ أكلهم الحرام وكل ما لا يحلُّ كسبه؛ لأنَّهم كانوا يأخذون الرشوة والمال الحرام علىٰ الأحكام وتحليل الحرام(٣).

والسين والحاء والتاء أصل صحيح يدلُّ علىٰ استئصال، ومنه: سحت الله الكافر بعذاب، إذا استأصله، وسُمِّي المال الحرام سُحتًا؛ لأنه يَسحَت البركة منه، أي: يمحقها ويستأصلها، ولأنه يستأصل صاحبه بالهلاك(٤).

الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات وعاء ومستودع لكثير من لغاتهم، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يأتوا بسورة منه، ولن يستطيعوا، والإعداد الروحي بإدراك عظمة القرآن المجيد المنزَل من الجوانب المهمة التي لا يستغني عنها القارئ المتدبر.

٢) يظهر من خلال القراءات وتوجيهها: رحمة الله بالأمة في تلقي القرآن

(١) يُنظر: «الكشاف» للزمخشري: (٢/ ٧٢٥)، و«تفسير الرازي»: (١١/ ٣٦٠)، و«الدر المصون»: (١/ ٤١٨).

(٢) «إعراب القراءات الشواذ»: (١/ ٤٣٩).

(٣) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٠/ ٣٢٤)، و«معاني القراءات»: (١/ ٣٢٩)، و«الكشاف» للزمخشري: (١/ ٦٣٤).

(٤) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٣/ ١٤٣) (سحت)، و«المحكم والمحيط الأعظم»: (٣/ ١٧٩) (سحت).

وتلاوته؛ إذ روعي فيه اختلاف اللغات؛ ليسهل علىٰ الأمة حفظ القرآن ونقله، وما ورود قراءة إسكان الحاء في القراءات المذكورة إلا دليل وشاهد علىٰ ذلك؛ لأنَّ الحاء لم تسكن فيهنَّ إلا طلبًا للخفَّة استثقالًا لتوالي المحركات.

٣) كل قراءة مرجعها اختلاف اللغات؛ فمهما عَسُر أداؤها عند قوم، فليس لذلك أثر علىٰ فصاحتها(١).

٤) في القراءات دلالة علىٰ تحريم أكل الحرام، وأنَّ الإكثار من ذلك من صفات اليهود(٢).

٥) فيها دعوة إلىٰ العناية بأكل الحلال الطيب، والبعد عن الحرام الخبيث، والله ﷻ لم يذكر أكل اليهود للسحت والمال الحرام إلا لنحذره ونحذر من اتباعهم في ذلك(٣).

٦) السحت يشمل جميع المال الحرام، كالربا والرشوة وأكل مال اليتيم والمغصوب(٤).

٧) في وصف المال الحرام بالسحت دلالة عميقة، وهي أنَّ أصلها مِن: كَلَبِ الجوع، يُقال: فلان مسحُوت الـمَعِدَة، إذا كان أكولًا لا تجده أبدًا إلا جائعًا، وإنما سُمِّي المال الحرام سُحتًا؛ تشبيهًا بذلك، كأنَّ بآكله من الشَّرَه إلىٰ أخذ ما يُعطاه من

(١) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص:٣٥).

(٢) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة المائدة»: (ص:١٠٥).

(٣) يُنظر: «التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة المائدة»: (ص:٢٣١).

(٤) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٦/ ٢٠٢).

ذلك مثل الذي بالمسحوت المعدة من الشَّرَه إلىٰ الطعام(١)، وفهم معاني الألفاظ وفق دلالاتها في اللغة، ثم ضبط ذلك بمراعاة دلالاتها في السياق من مسالك العلماء في استخراج اللطائف التدبرية، والهدايات القرآنية.

٨) في القراءات مجاز مرسل، علاقته: السببية؛ لأنَّ المال الحرام لم يُسمَّ سحتًا إلا لأنَّه يسحت البركةَ ويمحقها، والاهتمام بالجانب البلاغي في القراءة مما يعين القارئ المتدبر علىٰ التدبر.

❖ **المثال الرابع:** قوله تعالىٰ: ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ﴾ [الأنعام:٦٣].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ شعبة بكسر الخاء: ﴿وَخِفۡيَةً﴾، والباقي بضمِّها: ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾(٢).

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ الأعمش (ت١٤٨هـ) بكسر الخاء: ﴿وَخِفْيَةً﴾(٣).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾، ﴿وَخِفۡيَةً﴾.

توجيه القراءتين: أنَّهما لغتان فاشيتان بمعنىٰ واحد، نحو: رُشْوة ورِشْوة، وحُبْوة وحِبْوة، وهما ضدُّ الجهر، مِن: أخفيتُ الشيء، إذا سترتُه، والمعنىٰ: إسرار الدعاء، والضمُّ أشهر(٤).

---

(١) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٠/ ٣٢٤).

(٢) يُنظر: «التيسير»: (ص:١٠٣)، و«التحبير»: (ص:٣٥٦)، ويأخذ حكمه أيضًا: آية: (٥٥) من سورة الأعراف.

(٣) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص:٥٤٢)، و«المغني في القراءات»: (٢/ ٧٦٦).

(٤) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٢/ ٢٠٢) (خفي)، و«إعراب القراءات الشواذ»: (١/ ٤٨٨)، و«الفريد» للهمذاني: (٢/ ٦٠٥).

قال الأزهري (ت٣٧٠هـ): «هما لغتان، والضمُّ أجودهما، ومعناهما: ضد الجهر»(١).

الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات وعاء ومستودع لكثير من لغاتهم ولهجاتهم، وإتقان اللسان العربي الذي نزل به القرآن من الأصول العلمية التي يُعتمد عليها في التدبر.

٢) استعمال غير المشهور من كلام العرب من أسباب إخراجه عن حدِّ الفصاحة إلا ما كان من كلام الله؛ فقراءة الضمِّ: ﴿وَخُفْيَةً﴾ أشهر من قراءة الكسر: ﴿وَخِفْيَةً﴾، غير أنَّ ورودها في القرآن كافٍ في فصاحتها، بل ورودها في القرآن أفصح مما في غيره(٢).

٣) في القراءتين توجيه إلىٰ أنَّ الإسرار بالدعاء سبب في إجابته، وأدعىٰ إلىٰ قبوله(٣).

٤) إخفاء الدعاء أعظم إيمانًا ويقينًا؛ لأنَّ صاحبه يعلم أنَّ الله ﷻ يسمع دعاءه الخفي(٤).

٥) إخفاء الدعاء أعظم أدبًا وإجلالًا وتعظيمًا؛ ولهذا لا تُسأل الملوك برفع

---

(١) «معاني القراءات»: (١/ ٣٦٢).

(٢) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص:٣٦).

(٣) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية – سورة الأنعام»: (ص:١٢٥).

(٤) يُنظر: «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/ ١٥).

الأصوات، ومن فعل ذلك مقتوه - ولله ﷻ المثل الأعلىٰ -، فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به(١).

٦) إخفاء الدعاء أبلغ تضرعًا وخشوعًا؛ فإنَّ الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتىٰ إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته إلىٰ أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق(٢).

٧) إخفاء الدعاء أبلغ إخلاصًا، ويعين علىٰ جمع القلب علىٰ الله؛ لأنَّ رفع الصوت يفرقه ويشتته(٣).

٨) إخفاء الدعاء أدعىٰ إلىٰ دوام الطلب والسؤال؛ فإنَّ اللسان لا يمل، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يمل اللسان، وتضعف قواه(٤).

٩) الله ﷻ يحب أن يُسأل سرًّا لكمال غناه وعزته، ويحب ابن آدم أن يُسأل علانية لحاجته وضعفه ومنَّته(٥).

١٠) في إخفاء الدعاء دلالة علىٰ قرب صاحبه من الله، يسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنىٰ الله علىٰ عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣]، فلما استحضر قرب ربه، وأنه أقرب إليه من كل قريب؛ أخفىٰ دعاءه ما أمكنه(٦).

(١) يُنظر: «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/ ١٦).

(٢) يُنظر: «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/ ١٦).

(٣) يُنظر: «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/ ١٦).

(٤) يُنظر: «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/ ١٧).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأعراف»: (ص:١١٦).

(٦) يُنظر: «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/ ١٦).

١١) في إخفاء الدعاء اقتداء بنبي الله زكريا عليه السلام، والذي رضي الله فعله واستجاب دعاءه: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم:٣](١).

١٢) في إخفاء الدعاء امتثال لأمر الله لما قال: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف:٥٥](٢).

١٣) في سياق القراءتين إشارة إلىٰ أنَّ الدعاء جهرًا وسرًّا من أسباب دفع البلاء، وإزالة الشدائد والمحن(٣).

١٤) سياق القراءتين يفيد: أنَّ كفر المشركين صادر عن مكابرة ومعاندة؛ لأنَّهم عند الشدائد والمحن يلجؤون إلىٰ الله وحده، ويدعونه جهرًا وسرًّا؛ تأمل قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ﴾ [الأنعام:٦٣](٤).

---

(١) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأعراف»: (ص:١١٦).

(٢) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأعراف»: (ص:١١٦).

(٣) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأنعام»: (ص:١٢٥).

(٤) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأنعام»: (ص:١٢٥).

الفصل الثاني:

الفروق الحركيَّة فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيَّة مع اختلافِ المعنى

هذا الفصل مختصٌّ بالقراءات التي اتَّحدتْ حروفُها، واختلفتْ حركاتُها مع اختلاف المعنىٰ، غير أنَّ هذا الاختلاف ينقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: اختلاف تنوع.

القسم الثاني: اختلاف تغاير.

فأما القسم الأول، وهو: أن تتَّحد حروف القراءات مع اختلاف حركاتها واختلاف معانيها اختلاف تنوع، غير أنَّ مقتضىٰ تلك المعاني واحد، وكلها تفيء إلىٰ معنىٰ جامع، وهذا الخلاف مما تستعمله العرب وتعرفه في لسانها الذي نزل به القرآن.

قال سيبويه (ت١٨٠هـ): «اعلم أنَّ من كلامهم: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنىٰ واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين»(١).

ويتجلَّىٰ هذا في المثالين الآتيين:

❖ **المثال الأول**: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:١٦٥].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿يَرَوْنَ﴾.

(١) «الكتاب» لسيبويه: (١/ ٢٤).

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ ابن عامر بضمِّ الياء: ﴿يُرَوْنَ﴾، والباقون بفتحها: ﴿يَـرَوْنَ﴾(١).

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ أبو حيوة (ت٢٠٣هـ) بضمِّ الياء: ﴿يُرَوْنَ﴾(٢).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿يُرَوْنَ﴾، ﴿يَـرَوْنَ﴾.

توجيه القراءتين: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: توجيه قراءة مَن قرأ: ﴿يُرَوْنَ﴾: أنَّها علىٰ حذف الفاعل وبناء الفعل للمفعولين إيجازًا وتفخيمًا؛ لأنَّ حذف الفاعل يوجب تفخيم الأمر؛ لأنَّه يتسع تقديره، ومعناها: أنَّ الله يريهم بأن يجعلهم يعاينونه، ويعضدها: قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة:١٦٧]، وقوله: ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الزلزلة:٦](٣).

ثانيًا: توجيه قراءة مَن قرأ: ﴿يَـرَوْنَ﴾: أنَّها علىٰ البناء للفاعل، وإسناد الفعل إلىٰ ضمير الفاعلين، وهو الواو، ومعناها: يعاينونه، ويعضدها: قوله تعالىٰ: ﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ [البقرة:١٦٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ [النحل:٨٥](٤).

(١) يُنظر: «التيسير»: (ص:٧٨)، و«تحبير التيسير»: (ص:٢٩٨).

(٢) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص:٤٩٥)، و«المغني في القراءات»: (١/ ٤٧٦).

(٣) يُنظر: «حجة ابن زنجلة»: (ص:١٢٠)، و«الدرة الفريدة» للهمذاني: (٣/ ٩٥)، و«الشفاء في علل القراءات»: (١/ ١٤٨).

(٤) يُنظر: «الشافي في علل القراءات»: (١/ ٦٩)، و«الكتاب المختار»: (١/ ٨٤)، و«الدرة الفريدة» للهمذاني: (٣/ ٩٥).

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) الاختلاف في القراءتين اختلاف تنوع؛ لأنَّ مقتضىٰ معناهما واحد، والمعنىٰ الجامع لهما: رؤيتهم ومعاينتهم العذاب.

٢) في القراءتين إثبات اليوم الآخر والحساب والجزاء[(١)].

٣) ليس مَن رأىٰ كمَن سمع؛ فالذين ظلموا حين يرون العذاب يعلمون عندها يقينًا أنَّ القوة والقدرة لله، ويعلمون شدة عذابه لمن كفر به وأشرك، وأنَّه ليس للأنداد التي اتخذوها شيء من تلك القدرة الإلهية؛ فيتبين عندئذ عجزها وضعفها، وأنها لا تدفع ضرًّا، ولا تجلب لهم نفعًا: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٦][(٢)].

٤) أوثر في القراءتين صيغةُ المستقبل لجريانها مجرىٰ الماضي في الدلالة علىٰ التحقيق في أخبار علام الغيوب[(٣)].

٥) كل معنىٰ أُدِّي بتمامه فصيحًا بيِّنًا بأوجز لفظ؛ فهو الإيجاز[(٤)]؛ فقراءة: ﴿يُرَوْنَ﴾ تدلُّ علىٰ قراءة: ﴿يَرَوْنَ﴾ وزيادة؛ لأنَّهم إذا أُرُوا رَأَوا، وعناية القارئ المتدبر بالقواعد البلاغية المستنبطة من القراءات القرآنية مما يُستعان بها في توجيه القراءة المفضي به إلىٰ التدبر والإسفار عن الدلالة.

---

(١) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية – الحزب الثالث من سورة البقرة»: (ص:٨١).

(٢) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٢/ ٩٣)، و«التفسير المحرر للقرآن الكريم – سورة الفاتحة والبقرة»: (ص:٤٦١).

(٣) يُنظر: «تفسير أبي السعود»: (١/ ١٨٦).

(٤) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص:٧٤).

٦) الأصل في المسند إليه ذكره، وقد يُحذف لتعظيم الأمر وتفخيمه، كما حُذف الفاعل من قراءة: ﴿يُرَوْنَ﴾؛ ليذهب السمع إليه كل مذهب.

٧) الاستشهاد بالمواضع المجمع علىٰ قراءتها في توجيه المواضع المختلف في قراءتها، وهو من توجيه القرآن بالقرآن، وهو من الأصول التي يعتمد عليها في توجيه القراءات.

❖ **المثال الثاني:** قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف:٣٣].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿سُقُفًا﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح السين وإسكان القاف: ﴿سَقْفًا﴾، والباقون بضمِّهما: ﴿سُقُفًا﴾(١).

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ شيبة بن نصَّاح (ت١٣٠هـ) بفتح السين وإسكان القاف: ﴿سَقْفًا﴾، وقرأ مجاهد بن جبر (ت١٠٤هـ) بضمِّ السين وإسكان القاف: ﴿سُقْفًا﴾(٢).

مجموع القراءات: ثلاث قراءات: ﴿سَقْفًا﴾، ﴿سُقُفًا﴾، ﴿سُقْفًا﴾.

توجيه القراءات: وذلك علىٰ النحو التالي:

---

(١) يُنظر: «التيسير»: (ص:١٩٦)، و«التحبير»: (ص:٥٤٨).

(٢) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص:٥٨٤)، و«المغني في القراءات»: (٤/ ١٦٤٦)، و«شواذ القراءات»: (ص:٤٢٧).

أوَّلًا: توجيه قراءة فتح السين وإسكان القاف: ﴿سَقْفًا﴾: أنَّها بلفظ الواحد، غير أنَّ الواحد هنا علىٰ إرادة الجنس؛ لأنَّه مصدر في الأصل، وهو يدلُّ علىٰ الجمع، ودلَّ علىٰ الجمع: قوله تعالىٰ: ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزخرف:٣٣]، علىٰ أنَّ لكل بيت سقفًا(١).

قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): «﴿سَقْفًا﴾ بفتح السين وإسكان القاف علىٰ الإفراد، والمراد من المفرد: الجنس؛ بقرينة قوله: ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾، كأنَّه قيل: لكل بيت سقف»(٢).

ثانيًا: توجيه قراءة ضمِّ السين والقاف: ﴿سُقُفًا﴾: أنَّها بلفظ الجمع، وواحدها: سَقْف، نحو: رَهْن ورُهُن، علىٰ أنَّ ما كان بزنة: (فَعْل)؛ فإنه يُجمع علىٰ: (فُعُل)، أو واحدها: سقيفة، نحو: سفينة وسُفُن؛ لأنَّ الـمُخبَر عنهم جمع، ولكل واحد منهم بيت، ولكل بيت سَقْف؛ فجُمع ليكون اللفظ موافقًا للمعنىٰ، ويعضدها: ما جاء بعدها في سياقها بلفظ الجمع، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَعَارِجَ﴾ [الزخرف:٣٣]؛ ليكون الكلام علىٰ نظم واحد(٣).

قال المنتَجَب الهمذاني (ت٦٤٣هـ): «﴿سُقُفًا﴾ بضمِّ السين والقاف، وهو: جمع: (سَقْف)»(٤).

---

(١) يُنظر: «الحجة» لابن خالويه: (ص:٣٢١)، و«حجة ابن زنجلة»: (ص:٦٤٩)، و«الدرة الفريدة» للهمذاني: (٥/ ٧٩).

(٢) «التحرير والتنوير»: (٢٥/ ٢٠٦).

(٣) يُنظر: «حجة الفارسي»: (٦/ ١٤٨)، و«الشافي في علل القراءات»: (٣/ ٣١٣)، و«حجة ابن زنجلة»: (ص:٦٤٩).

(٤) «الفريد في إعراب القرآن المجيد»: (٥/ ٥٥٢).

ثالثًا: توجيه قراءة ضمِّ السين وإسكان القاف: ﴿سُقْفًا﴾: أنَّها بلفظ الجمع، وهي مخففَّة من قراءة: ﴿سُقُفًا﴾، وواحدها: سَقْف، علىٰ لغة مَن يجمع ما كان بزنة: (فَعْل) علىٰ: (فُعْل)، وهي: لغة تميم(١).

قال العكبري (ت٦١٦هـ): «ومنهم من يسكن القاف، وهو من تخفيف المضموم»(٢).

الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) الاختلاف في القراءات اختلاف تنوع؛ لأنَّ مقتضىٰ معناها واحد، وهو: أنَّها أتتْ علىٰ إرادة الجمع، علىٰ أنَّ لكل واحد من المخبر عنهم بيتًا، ولكل بيت سَقْفٌ؛ فقراءة: ﴿سَقْفًا﴾ بلفظ الواحد علىٰ إرادة الجمع، وقراءتا: ﴿سُقُفًا﴾، و﴿سُقْفًا﴾ بلفظ الجمع علىٰ إرادة الجمع.

٢) الاحتجاج للقراءة بالسياق يبيِّن مجملاتها، ويرجِّح محتملاتها، ويقرِّر واضحاتها؛ فلما قُرئتْ قراءة: ﴿سَقْفًا﴾ بلفظ المفرد؛ بيَّن توجيهها أنَّ المراد منها: الجمع بقرينة قوله قبلها: ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾.

٣) في القراءات وسياقها دلالة علىٰ هوان الدنيا علىٰ الله، وأنَّها لو كانت تساوي عنده جناح بعوضة؛ ما سقىٰ كافرًا منها شربة ماء؛ تأمل قوله في نهاية سياق الآيات: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٣٥].

---

(١) يُنظر: «تفسير القرطبي»: (١٦/ ٨٤)، و«إعراب القراءات الشواذ»: (٢/ ١٢٧٢)، و«البحر المحيط»: (٩/ ٣٧١).

(٢) «إعراب القراءات الشواذ»: (٢/ ٤٤٦).

٤) التنكير في قراءة: ﴿سَقْفًا﴾ يدلُّ على التكثير، وهذا يتناسب مع سياق الآية في قوله: ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾.

٥) كما أنَّ حروف الكلمة قد تتنافر؛ فكذلك حركاتها قد تتثاقل(١)؛ تأمله في تخفيف القاف بالإسكان في قراءة: ﴿سُقْفًا﴾ من قراءة: ﴿سُقُفًا﴾.

٦) إسهام القراءات في بيان لغات العرب الواردة في كتاب الله، وحفظها من الضياع والاندثار.

وأما القسم الثاني، وهو: أن تتَّحد حروف القراءات مع اختلاف حركاتها واختلاف معانيها اختلاف تغاير، غير أنَّ هذه المعاني المتعددة لا يمكن أن تتناقض؛ لاستحالة كون ذلك في القرآن، والفرق بين هذا القسم والذي سبقه هو: أنَّ المعاني في هذا القسم متعددة، ولا يمكن اجتماعها في شيء واحد؛ لأنَّ الله أنزل القراءات محتملة هذا التعدد، وقابلة لجميع الأغراض المأخوذة منها خلافًا للقسم السابق الذي معانيه على تعددها متحدة المقصود.

قال ابن الجزري (ت٨٨٣هـ): «... وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء؛ فإنَّ اختلاف القراء كله حق وصواب نزل من عند الله، وهو كلامه لا شك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي، والحق في نفس الأمر فيه واحد، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر نقطع بذلك ونؤمن به»(٢).

---

(١) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص:٣٣).

(٢) «النشر»: (١/ ٥٢).

وكل قراءة مع صحتها وصحة معناها في هذا القسم هي بمنزلة آية قائمة بنفسها.

وأما القراءة الشاذة فهي مفسرة ومبينة وناصرة للقراءة الصحيحة غالبًا، ويُحتجُّ بها للمتواترة، وبها يُستأنس.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ): «المقصد من القراءة الشاذة: تفسير القراءة المتواترة، وتبيين معناها»[(١)].

ويتجلَّىٰ هذا في المثالين الآتيين:

❖ **المثال الأول:** قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء: ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾، والباقون بكسرها: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾[(٢)].

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ الحسن البصري (ت١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت١١٨هـ) بفتح الخاء: ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾[(٣)].

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾، ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾.

توجيه القراءتين: وذلك علىٰ النحو التالي:

---

(١) «فضائل القرآن» لأبي عبيد: (٢/ ١٥٤).

(٢) يُنظر: «التيسير»: (ص:٧٦)، و«تحبير التيسير»: (ص:٢٩٤).

(٣) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص:٤٩٢)، و«المغني في القراءات»: (١/ ٤٦٠).

أوَّلًا: توجيه قراءة مَن قرأ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾: أنَّها على الخبر عطفًا على ما قبلها، وهو: قوله: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ [البقرة:١٢٥]، وهو خبر، ويعضدها: ما جاء بعدها في سياقها على الخبر أيضًا، وهو: قوله تعالى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ [البقرة:١٢٥]؛ فحُمل الكلام عليهما ليكون الكلام على نظم واحد(١).

فالقراءة تدل على أنَّ الله أخبر محمدًا ﷺ عمن كانوا قبله بأنَّهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى الذي وسم به لاهتمامه به، وإسكان أهله عنده؛ ليُقتدى بهم، ويُستنَّ بسنتهم.

ثانيًا: توجيه قراءة مَن قرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾: أنَّها على الأمر، ويعضدها: ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قال لرسول الله ﷺ: «لو اتخذْنا من مقام إبراهيم مصلى؛ فنزلتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾»(٢)، واحتجَّ الأزهري (ت٣٧٠هـ) لهذه القراءة بهذا الحديث، ثم قال: «فكان الأمر على هذا الخبر أبين وأحسن»(٣)، واحتجَّ به ابن إدريس (من علماء القرن السادس) أيضًا، ثم قال: «وهي تفيد شرعًا لا يُستفاد مِن قراءة مَن قرأ على الخبر»(٤).

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) الاختلاف في القراءتين اختلاف تغاير دون تناقض وتضاد؛ لصحة معنى

---

(١) يُنظر: «معاني القراءات»: (١/ ١٧٤)، و«الكتاب المختار»: (١/ ٧٥)، و«الدرة الفريدة» للهمذاني: (٣/ ٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (١/ ٨٩) برقم: (٤٠٢).

(٣) «معاني القراءات»: (١/ ١٧٤).

(٤) «الكتاب المختار»: (١/ ٧٥).

كل منهما في حال استقلالها، وكل منهما مع صحتها بمنزلة آية قائمة بنفسها.

٢) قراءة الأمر أبلغ في المعنىٰ؛ لدلالة لفظها علىٰ لزوم الفرض علىٰ العموم، وإن كان في قراءة الخبر أيضًا معنىٰ الأمر من جهة الثناء عليهم، وكل ما أثنىٰ الله به علىٰ قوم ففيه معنىٰ الأمر به والترغيب فيه؛ لأنَّهم لم يفعلوا ذلك إلا بأمره(١).

٣) الترغيب قبل التكليف؛ ففي قراءة: ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾: ترغيب بكون المقام كان مصلىٰ لمن كان قبلنا، ثم جاء الأمر والتكليف علىٰ قراءة: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾؛ لنقتديَ بهم، ونستنَّ بسنتهم(٢).

٤) الله ﷻ يثيب العامل بأكثر من عمله؛ فإبراهيم عليه السلام لما أتمَّ الكلمات، جعله الله إمامًا للناس، وأمرهم أن يتخذوا من مقامه مصلىٰ(٣).

٥) في القراءتين تشريف لمقام إبراهيم عليه السلام، ورفعة لمنزلته، وإظهار لفضيلته وتكرمته؛ إذْ كان فعلُ مَن اتخذه مصلىٰ محمودًا عليه، وممدوحًا به، ولم يكن اتخاذُه مصلىٰ إلا بأمرٍ من الله ﷻ(٤).

٦) في القراءتين دلالة علىٰ عظمة ومنزلة البيت العتيق، ومن تعظيم الله ﷻ: تعظيم ما عظَّمه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢](٥).

٧) القراءتان تقتضيان أنَّ اتخاذ مقام إبراهيم مصلىٰ كان من عهد إبراهيم عليه السلام، ولم

---

(١) يُنظر: «الشفاء في علل القراءات»: (١/ ١٣٨).

(٢) يُنظر: «الشافي في علل القراءات»: (١/ ٥٦٦)، و«الدرة الفريدة»: (٣/ ٧٥).

(٣) يُنظر: «تفسير ابن عثيمين – سورة الفاتحة والبقرة»: (٢/ ٤٣).

(٤) يُنظر: «الشافي في علل القراءات»: (١/ ٥٦٦).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية – الحزب الثاني من سورة البقرة»: (ص: ١٤٢).

يكن الحجر الذي اعتلىٰ عليه إبراهيم في البناء مخصوصًا بصلاة عنده، ولكنه مشمول للصلاة في المسجد الحرام، ولما جاء الإسلام بقي الأمر علىٰ ذلك إلىٰ أن كان عام حجة الوداع أو عام الفتح؛ دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام ومعه عمر بن الخطاب كما في الحديث المذكور آنفًا، ثم سُنَّت الصلاة عند المقام في طواف القدوم(١).

٨) الاحتجاج بالسياق من أهم الموارد القرآنية التي يُحتجُّ بها للقراءات القرآنية، كما احتُجَّ لقراءة: ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ بما قبلها وما بعدها في سياقها؛ ليكون الكلام علىٰ نظم واحد، وعناية القارئ المتدبر بالسياق هو الجانب الأهم في تدبره.

٩) معرفة سبب نزول الآية مما يعين علىٰ توجيه القراءة، ويكشف وجهها، ويوضح مرادها، وهي من الأصول التي يعتمد عليها في توجيه القراءات، وفي تفسير الآيات كذلك.

١٠) القراءة الشاذة: ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ تؤيِّد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بلفظها ومعناها.

❖ **المثال الثاني**: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [آل عمران:٣٦].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿وَضَعَتۡ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ ابن عامر وشعبة ويعقوب بإسكان العين وضمِّ التاء: ﴿وَضَعۡتُ﴾، والباقون بفتح العين وإسكان التاء: ﴿وَضَعَتۡ﴾(٢).

---

(١) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (١/ ٧١١).

(٢) يُنظر: «التيسير»: (ص:٨٧)، و«التحبير»: (ص:٣٢١).

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ ابن عباس بإسكان العين وكسر التاء: ﴿وَضَعْتِ﴾، وقرأ الحسن البصري (ت١١٠هـ) بإسكان العين وضمّ التاء: ﴿وَضَعْتُ﴾[1].

مجموع القراءات: ثلاث قراءات: ﴿وَضَعْتُ﴾، ﴿وَضَعَتْ﴾، ﴿وَضَعْتِ﴾.

توجيه القراءات: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: توجيه قراءة مَن قرأ: ﴿وَضَعْتُ﴾: أنَّها من قول أم مريم حملًا علىٰ ما قبلها وعلىٰ ما بعدها من كلامها، فالذي قبلها: قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦]، والذي بعدها: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦]؛ فحُمل الكلام عليهما ليكون الكلام علىٰ نظم واحد[2].

ثانيًا: توجيه قراءة مَن قرأ: ﴿وَضَعَتْ﴾: أنَّها من قول الله ﷻ عن أم مريم؛ وذلك أنَّها لما قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦]؛ أخبر الله أنَّه أعلم بما وضعتْ، وهو العليم الحكيم[3].

ثالثًا: توجيه قراءة مَن قرأ: ﴿وَضَعْتِ﴾: أنَّها من قول الله ﷻ لأم مريم؛ وذلك أنَّها لما قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦]؛ خاطبها الله أنَّه أعلم بما وضعتْ، وهو العليم الحكيم[4].

---

(١) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص:٥١٥)، و«المغني في القراءات»: (١/ ٥٧٧)، و«شواذ القراءات»: (ص:١١٠).

(٢) يُنظر: «معاني القراءات» للأزهري: (١/ ١٧٤)، و«الكتاب المختار»: (١/ ٧٥)، و«الدرة الفريدة» للهمذاني: (٣/ ٧٥).

(٣) يُنظر: «الحجة» لابن خالويه: (ص:١٠٨)، و«حجة الفارسي»: (٣/ ٣٢)، و«حجة ابن زنجلة»: (ص:١٦٠).

(٤) يُنظر: «الدرة الفريدة»: (٣/ ٢١٩)، و«الشفاء في علل القراءات»: (١/ ٢١٥).

الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) الاختلاف في القراءات اختلاف تغاير دون تناقض؛ لصحة معنىٰ كل منها في حال استقلالها.

٢) في قراءة: ﴿وَضَعْتُ﴾: تسلية لنفسها، وأنَّ لله حكمةً، ولعلَّ هذه الأنثىٰ خير من الذكر[١].

٣) في قراءة: ﴿وَضَعْتُ﴾: معنىٰ الخضوع لله، وهي كقولهم: (رب قد أذنبت وأنت أعلم به)[٢].

٤) في قراءة: ﴿وَضَعْتُ﴾: اعتذار منها إلىٰ الله ﷻ؛ حيثُ أتتْ بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة[٣].

٥) في إظهار اسم الجلالة علىٰ قراءة: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾ التفات من الخطاب إلىٰ الغَيبة، ويكون قرينة لفظية علىٰ أنَّ الخبر مستعمل في التحسر[٤].

٦) في قراءة: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: حسن مناجاة منها لله ﷻ لما قالتْ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، ولم تقل: وأنت أعلم بما وضعتُ؛ لأنَّ العرب تخبر عن غائب ثم تخاطب، وتخاطب ثم تخبر، كما في سورة فاتحة الكتاب، وهذا التفات

---

(١) يُنظر: «تفسير الزمخشري»: (١/ ٣٥٦).

(٢) يُنظر: «الدرة الفريدة»: (٣/ ٢١٩).

(٣) يُنظر: «تفسير أبي السعود»: (٢/ ٢٨).

(٤) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٣/ ٢٣٣).

من الخطاب إلىٰ الغيبة؛ إظهارًا لغاية الإجلال(١).

٧) في قراءة: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾: إسراع منها إلىٰ تنزيه الله عن الجهل؛ لئلا يتوهَّم السامع من قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ أنَّها أضافتْ إلىٰ الله علمًا لم يكن حاصلًا له(٢).

٨) في قراءة: ﴿وَضَعْتُ﴾: مشاكلة لفظية لقوله تعالىٰ قبلها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾.

٩) في قراءتي: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتِ﴾: تعظيم الله نفسه بإثبات العلم له.

١٠) في قراءتي: ﴿وَضَعَتْ﴾، ﴿وَضَعْتِ﴾: تعظيمٌ للمولود وما يكون منه، وتجهيلٌ لها بقدر ما وهب لها منه، وهو أنه يجعله للعالمين آية، وهي جاهلة بذلك(٣).

١١) القراءة الشاذة: ﴿وَضَعْتِ﴾ تؤيد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿وَضَعَتْ﴾ بمعناها؛ لأنَّ القراءتين دالَّتان علىٰ أنَّ القول من الله عنها ولها.

---

(١) يُنظر: «الشافي في علل القراءات»: (١/ ١٤٣).

(٢) يُنظر: «تفسير ابن عثيمين – سورة آل عمران»: (١/ ٤٢٥).

(٣) يُنظر: «تفسير الزمخشري»: (١/ ٣٥٦)، و«الدرة الفريدة»: (٣/ ٢١٨).

الفصل الثالث:

الفروق الحركيَّة فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيَّة مع اختلافٍ في المعنى

هذا الفصل مختصٌّ بالقراءات التي اتَّحدتْ حروفُها، واختلفتْ حركاتُها مع اختلافٍ في المعنىٰ، غير أنَّ هذا الاختلاف ينقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: أن تكون الأقوال محتملة، غير أنَّه يمكن الجمع بينها، والقول بمقتضىٰ جميعها.

القسم الثاني: أن تكون الأقوال محتملة دون تعارض، غير أنَّ بعضها أولىٰ من بعض لحجة تدل علىٰ ذلك.

فأما القسم الأول، وهو: أن تكون الأقوال محتملة، غير أنَّه يمكن الجمع بينها بمعنىٰ كلي تدخل جميع الأقوال فيه؛ لأنَّه لا دليل يدل علىٰ تقديم بعضها أو ترجيحه.

والعلماء سلكوا في الجمع بين الأقوال من هذا القسم مسالك لطيفة، وهي علىٰ النحو التالي(١):

١) أن يعبر كل قول عن اللفظ العام ببعض أفراده؛ فتُحمل الأقوال علىٰ المعنىٰ العام الذي يدل عليه اللفظ.

---

(١) يُنظر: «منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية» للدكتور حسين الحربي: (١/ ٧٢).

٢) أن تكون الأقوال مختلفة ألفاظ قائليها مع تقارب المعنىٰ أو اتفاقه؛ فهذا خلاف لفظي لا يؤثر في توجيه القراءة.

٣) أن يكون معنىٰ أحد الأقوال كليًّا يدخل تحته باقي الأقوال؛ فتُحمل بقية الأقوال علىٰ هذا المعنىٰ الكلي الذي به تُوجَّه القراءة.

٤) أن يكون في أحد الأقوال تنبيه ودلالة علىٰ بقية الأقوال؛ فهذا القول هو الذي يجمع الأقوال في توجيه القراءة لدلالته علىٰ بقيتها.

٥) أن يكون بين الأقوال تلازم.

٦) أن تكون بعض الأقوال من ثمرات ونتائج البعض.

قال الطبري (٣١٠هـ): «وأما إذا كانت المعاني في جميعها متفقة، فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولىٰ»(١).

وقال أيضًا: «والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنىٰ؛ فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب»(٢).

ويتجلَّىٰ هذا في المثالين الآتيين:

❖ **المثال الأول:** قوله: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾ [النحل:٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿بِشِقِّ﴾.

---

(١) «تفسير الطبري»: (٥/ ١٣٧).

(٢) «تفسير الطبري»: (٢٣/ ٦٤٨).

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ أبو جعفر بفتح الشين: ﴿بِشَقِّ﴾، والباقي بكسرها: ﴿بِشِقِّ﴾[(١)].

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ شيبة بن نصّاح (ت ١٣٠ هـ) بفتح الشين: ﴿بِشَقِّ﴾[(٢)].

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿بِشَقِّ﴾، ﴿بِشِقِّ﴾.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيه: ﴿بِشَقِّ﴾، ﴿بِشِقِّ﴾ بين اتحاد المعنىٰ أو اختلافه علىٰ قولين:

القول الأول: أنَّهما بمعنىٰ[(٣)].

القول الثاني: أنَّ لكلٍّ منهما معنىٰ[(٤)].

توجيه القول الأول: أنَّهما بمعنىٰ، وهما علىٰ إرادة المصدر، مِن: المشقة، أي: بمشقة الأنفس[(٥)].

---

(١) يُنظر: «النشر»: (٢/ ٣٠٢)، و«التحبير»: (ص:٤٣٠).

(٢) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص:٦٠٦)، و«المغني في القراءات»: (٣/ ١٣١٨).

(٣) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص:٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢/ ٢٧٩).

(٤) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٩/ ٥٤)، و«معاني القرآن» للنحاس: (٤/ ٤٧٦)، و«حجة ابن خالويه»: (ص:٢٥٨).

(٥) يُنظر: «الشافي في علل القراءات»: (٣/ ٨٦)، و«تفسير البغوي»: (٥/ ١٠)، و«زاد المسير»: (٢/ ٥٥١).

توجيه القول الثاني: وذلك علىٰ مذهبين:

المذهب الأول: أنَّهما علىٰ إرادة المصدر، غير أنَّ الفتح مِن: شَقَّ الأمر عليه شَقًّا، أي: مشقة النفس، والكسر مَن: (الشِّقّ) بمعنىٰ: النِّصف، كأنَّه يذهب نصف قوَّته لما يناله من الجهد والتعب، ويعضد هذا المعنىٰ: قوله ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشِقٍّ تمرة**»(١).

المذهب الثاني: أنَّ الفتح علىٰ إرادة المصدر، والكسر علىٰ إرادة الاسم(٢).

القول الراجح من القولين:

لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو: أنَّ المعاني المذكورة في اختلاف العلماء بين اتحاد القراءتين في المعنىٰ أو اختلافهما كلها محتملة ومتقاربة بدلالة اللفظ وأصل اشتقاقه وسياق الآية والمعهود من كلام العرب؛ فقراءة: ﴿بِشَقِّ﴾ علىٰ إرادة المصدر بمعنىٰ: بمشقتكم علىٰ أنفسكم، وقراءة: ﴿بِشِقِّ﴾ تحتمل معنىٰ: ﴿بِشَقِّ﴾ علىٰ أنَّها مصدر بمعنىٰ: المشقة، وتحتمل معنىٰ: النصف، أي: بنصف قواكم، وتحتمل أن تكون علىٰ إرادة الاسم(٣).

قال الطبري (ت٣١٠هـ): «وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢/ ١٠٩) برقم: (١٤١٧).

(٢) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٧/ ١٧١)، و«الشافي» لابن القراب: (٣/ ٨٦)، و«الدر المصون»: (٧/ ١٩٥).

(٣) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٧/ ١٧١)، و«الشافي في علل القراءات»: (٣/ ٨٦)، و«زاد المسير»: (٢/ ٥٥١)، و«تفسير الرازي»: (١٩/ ١٧٦)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢/ ١١٩)، و«الدر المصون»: (٧/ ١٩٤).

المصدر، مِن: شَقَقْتُ عليه أَشُقُّ شَقًّا، وبالكسر إلىٰ الاسم، وقد يجوز أن يكون الذين قرؤوا بالكسر أرادوا: إلا بنقص من القوَّة وذهاب شيء منها حتىٰ لا يبلغه إلا بعد نقصها، فيكون معناه عند ذلك: لم تكونوا بالغيه إلا بشِقِّ قُوىٰ أنفسكم، وذهاب شِقِّهَا الآخر»(١).

وقال الرازي (ت٦٠٦هـ): «والشَّقُّ: المشقة، والشِّقُّ: نصف الشيء، وحمل اللفظ هاهنا علىٰ كلا المعنيين جائز، فإن حملناه علىٰ المشقة كان المعنىٰ: لم تكونوا بالغيه إلا بالمشقة، وإن حملناه علىٰ نصف الشيء كان المعنىٰ: لم تكونوا بالغيه إلا عند ذهاب النصف من قوتكم أو من بدنكم، ويرجع عند التحقيق إلىٰ المشقة»(٢).

الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) إذا كانت المعاني تؤيِّدها دلالة اللفظ وأصل اشتقاقه؛ فلا وجه للحكم لبعضها بأنَّه أولىٰ(٣).

٢) إذا كانت المعاني تنصرها قرائن في السياق؛ فالقول بمقتضىٰ تلك المعاني جميعها أولىٰ(٤).

٣) أبلغ الكلام أوجزه في تمام(٥)؛ فقراءة: ﴿بِشِقِّ﴾ انطوتْ علىٰ معنيين لطيفين، وهما: المشقة، والشِّق الذي هو نصف الشيء، وهذا من إعجاز القراءات القرآنية.

---

(١) «تفسير الطبري»: (١٧/ ١١٧).

(٢) «تفسير الرازي»: (١٩/ ١٧٦).

(٣) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص:٣٤٩).

(٤) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص:٢٩٩).

(٥) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص:٤٠).

٤) في قراءة: ﴿بِشِقِّ﴾: معنىً مجازي بليغ، وهو: ذهاب نصف الأنفس، وكأنَّها تذوب تعبًا ونصبًا لما ينالها من المشقة، كما يُقال: لا تقدر علىٰ كذا إلا بذهاب جُلِّ نفسك أو قطعة من كبدك(١).

٥) في القراءتين دلالة علىٰ عظيم رأفة الله بنا ورحمته لنا حيث سخر لنا الأنعام التي تحمل ما ثَقُل من أمتعتنا إلىٰ البلدان البعيدة والأقطار الشاسعة مما لم نكن بالغيه إلا بجهد شديد من أنفسنا ومشقة عظيمة، إنَّ ربنا لرؤوف رحيم.

٦) السفر قطعة من العذاب؛ لما فيه من ألم المشقة وفراق الديار والأحباب، والمنع من لذيذ الطعام والشراب، والتقلب بين الأغراب والمخاطر والصعاب، قال ﷺ: «**السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدَكم طعامَه وشرابَه ونومَه، فإذا قضىٰ نهمته؛ فليعجِّل إلىٰ أهله**»(٢).

٧) اقتضتْ حكمة الله ﷻ أن خلق لنا دارًا نتزوَّد منها إلىٰ الدار التي خُلقتْ لنا، غير أنَّا لا ننالها ونبلغها إلا بزاد التقوىٰ؛ تأمل قوله في هذه الدار: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ [النحل:٧]؛ فهذا شأن الانتقال في الدنيا من بلد إلىٰ بلد؛ فكيف الانتقال من الدنيا إلىٰ دار القرار؟(٣).

٨) الاحتجاج للقراءة بالسنة يبيِّن العلاقة القوية بين القراءات القرآنية والسنة النبوية؛ فقراءة: ﴿بِشِقِّ﴾ احتُجَّ لها بالسنة النبوية المطهرة كما بُيِّن في أحد معانيها.

٩) حمل كلام الله علىٰ المعهود من كلام العرب مما يعين علىٰ فهم القرآن،

---

(١) يُنظر: «روح المعاني» للألوسي: (٧/ ٣٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢/ ١٠٩) برقم: (١٤١٧).

(٣) يُنظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم: (١/ ١٠).

وغير جائز حمله علىٰ غير المعهود من كلامهم وله في المفهوم الجاري بين الناس وجه صحيح موجود، وكان معروفًا بينهم، ووظفوه في خطاباتهم(١).

١٠) القراءة الشاذة: ﴿بِشَقِّ﴾ تؤيِّد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿بِشِقِّ﴾ بلفظها ومعناها، ومن أبصر كتب توجيه القراءات وجد اهتمامًا بالغًا بالاحتجاج للقراءة المتواترة بالقراءة الشاذة؛ حيث يُردفون القراءة المتواترة بشاذة تكون لها عاضدة ومؤيدة ومفسرة، وهذا في كتبهم كثير ووفير.

١١) إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأنَّ الاعتناء والاهتمام بالأصل الاشتقاقي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجّه عمقًا في معرفة دلالات الألفاظ، ومعرفة مناسبة توجيهات أهل العلم لأصل اللفظ.

❖ **المثال الثاني:** قوله تعالىٰ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿تَهْجُرُونَ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ نافع بضمِّ التاء وكسر الجيم: ﴿تُهْجِرُونَ﴾، والباقون بفتح التاء وضمِّ الجيم: ﴿تَهْجُرُونَ﴾(٢).

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ ابن محيصن (ت١٢٣هـ) بضمِّ التاء وكسر الجيم: ﴿تُهْجِرُونَ﴾(٣).

---

(١) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص:٣٦٩).

(٢) يُنظر: «التيسير»: (ص:١٥٩)، و«التحبير»: (ص:٤٧٦).

(٣) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص:٦٠٦)، و«المغني في القراءات»: (٣/ ١٣١٨).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿تُهْجِرُونَ﴾، ﴿تَهَجُرُونَ﴾.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيه: ﴿تُهْجِرُونَ﴾، و﴿تَهَجُرُونَ﴾ بين اتحاد المعنىٰ أو اختلافه علىٰ قولين:

القول الأول: أنَّهما بمعنىٰ(١).

القول الثاني: أنَّ لكلٍّ منهما معنىٰ(٢).

توجيه القول الأول: أنَّهما بمعنىٰ، وهما: من الـهُجْر، أي: الإفحاش في المنطق، والسيئ من القول، يعني: تقولون الـهُجر في النبي ﷺ والقرآن(٣).

توجيه القول الثاني: وذلك من وجهين:

الوجه الأول: وجهُ مَن قرأ: ﴿تُهْجِرُونَ﴾: أنَّه من الـهُجر، أي: فُحْش المنطق، ويعضده: قوله ﷺ: «**ألا إني قد كنت نهيتكم عن ثلاث، ثم بدا لي فيهن: نهيتكم عن زيارة القبور، ثم بدا لي أنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، فزوروها ولا تقولوا هُجْرًا ...**»(٤).

---

(١) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص:٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢/ ٢٧٩).

(٢) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٩/ ٥٤)، و«معاني القرآن» للنحاس: (٤/ ٤٧٦)، و«حجة ابن خالويه»: (ص:٢٥٨).

(٣) يُنظر: «الصحاح»: (٢/ ٨٥١) (هجر)، و«مفاتيح الأغاني»: (ص:٢٩٢)، و«تفسير البغوي»: (٥/ ٤٢٣).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢١/ ١٤١) برقم: (١٣٤٨٧)، وقال ابن عبدالبر في «التمهيد»: (٣/ ٢١٤): «وهو حديث صحيح».

الوجه الثاني: وجهُ مَن قرأ: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾، وذلك على مذهبين[(١)]:

المذهب الأول: أنَّه من الـهَجْر، وهو: الترك، يقال: هجره هجْرًا وهجرانًا، إذا تركه، والمعنى: تهجرون النبي ﷺ والقرآن بالإعراض عنهما.

المذهب الثاني: أنَّه من الـهَجْر، وهو: الهذيان، يقال: هجر في نومه يَهجُرُ هَجْرًا، إذا هذى، والمعنى: تقولون في النبي ﷺ والقرآن ما لا يضرُّه وما لا فائدة منه كالهذيان.

القول الراجح من القولين:

لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو: أنَّ المعاني المذكورة في اختلاف العلماء بين اتحاد القراءتين في المعنى أو اختلافهما كلها محتملة بدلالة اللفظ وتصريفه وأصل اشتقاقه وسياق الآية والنظائر القرآنية والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ؛ فالقراءتان تحتملان أن تكونا من: (الـهُجْر)، أي: فُحْش القول وسيئه، وتحتمل قراءة: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾: أن تكون من: (الـهَجْر)، وهو: الترك، ويُراد به أيضًا: الهذيان؛ فيتحصَّل من مجموع القراءتين: أنَّهم كانوا يجتمعون حول البيت ليلًا يسمرون، وكانت عامة سمرهم: إعراضهم عن النبي ﷺ والقرآن؛ وذلك بذكرهما بالسيئ من القول، وتسميتهم القرآن سحرًا وشعرًا، وأنَّ النبي ﷺ ساحر وشاعر، وغير ذلك مما لا فائدة منه كالهاذي الذي يهذي في نومه ومرضه.

ولو أنعمنا النظر في سياق الآيات والنظائر القرآنية والأحاديث الصحيحة عن

(١) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٩/ ٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج: (٤/ ١٨)، و«الدرة الفريدة»: (٤/ ٤٣٢).

النبي ﷺ الدالَّة علىٰ تلك المعاني المذكورة في توجيه القراءتين؛ لتبيَّن لنا صحتها، وأنَّه لا ضير من القول بمقتضىٰ جميعها.

في: (الصحاح) للجوهري (ت٣٩٣هـ): «الـهَجْرُ: ضد الوصل، وقد هَجَرَهُ هَجْرًا وهجْرانًا، والاسم: الهِجْرَةُ، والهجرتان: هجرة إلىٰ الحبشة، وهجرة إلىٰ المدينة، والـمُهاجرة من أرضٍ إلىٰ أرضٍ: تركُ الأولىٰ للثانية، والتهاجُرُ: التقاطعُ، والـهَجْرُ أيضًا: الـهَذَيان، وقد هَجَرَ المريض يَهْجُرُ هَجْرًا، فهو هاجِرٌ، والكلام مَهْجورٌ ... والـهُجْرُ بالضم: الاسم من الإهْجارِ، وهو الإفْحاشُ في المنطق»[(١)].

وقال المنتَجَب الهمذاني (ت٦٤٣هـ): «وجهُ مَن قرأ: ﴿تُهْجِرُونَ﴾: أنَّه جعله مِن: الإهجار، وهو الإفحاش في المنطق، يقال: أهجر فلان يُهْجِرُ إهجارًا، إذا نطق بالفحش، ووجهُ مَن قرأ: ﴿تَهْجُرُونَ﴾: أنَّه مِن: الـهَجْر، وهو الترك، يقال: هجر فلانٌ فلانًا يَهجُر هَجْرًا وهجرانًا، إذا تركه، علىٰ معنىٰ: تهجرون بيتي وكتابي، أو من الـهَجْر، وهو الهذيان، يقال: هجر فلان في نومه يَهْجُر هَجْرًا، إذا هذىٰ .. وقيل: هما لغتان بمعنىٰ»[(٢)].

الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) إذا كانت المعاني يؤيِّدها تصريف اللفظ وأصل اشتقاقه؛ فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولىٰ[(٣)].

---

(١) «الصحاح»: (٢/ ٨٥١) (هجر).

(٢) «الدرة الفريدة»: (٤/ ٤٣٢).

(٣) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص:٥١١).

٢) إذا كانت المعاني تنصرها قرائن في السياق؛ فالقول بمقتضىٰ تلك المعاني جميعها أولىٰ[(١)].

٣) إذا كانت المعاني تؤيدها النظائر القرآنية والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ الدالَّة عليها؛ فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولىٰ[(٢)].

٤) أبلغ الكلام أوجزه في تمام[(٣)]؛ فقراءة: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾ انطوتْ علىٰ ثلاثة معانٍ لطيفة، وهي: الترك، والهذيان، وفحش القول.

٥) في القراءتين إشارة إلىٰ أنَّ فُحْشَ القول وسيئَه لا يجتمع مع طهارةِ كلام الله وحسنِه؛ فالقرآن لا يحيي إلا أصحاب القلوب النقيَّة، وأرباب الألسن الزكية، وهي قلوب المتقين، وألسنة الصالحين، قال الله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]، ومن الأصول العملية المعينة علىٰ التدبر: البعد عن فاحش القول والعمل.

٦) في قراءة: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾: تعريض بمن يهجر كتاب الله تلاوةً وحفظًا وتدبرًا وعملًا به، والتعريض نوع من الكناية، والكناية أسلوب بياني مأثور.

٧) في قراءة: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾: إشارة إلىٰ العناية بتدبر القرآن وفهم معانيه؛ لأنَّ الذي يقرأ القرآن دون تدبرٍ وفهمٍ لمعانيه كالذي يهذي بكلام لا يُفهم ولا معنىٰ له بقرينة قوله بعدها: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، ومن الأصول العملية المعينة علىٰ التدبر: تلاوته بتفهُّم وتمهُّل.

---

(١) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص:٢٩٩).

(٢) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص:٣١٢).

(٣) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص:٤٠).

٨) الاحتجاج للقراءة بالسنة يبين العلاقة القوية بين القراءات القرآنية والسنة النبوية؛ فقراءة: ﴿تُهْجِرُونَ﴾ احتُجَّ لها بالسنة النبوية المطهرة كما بُيِّن.

٩) القراءة الشاذة: ﴿تُهْجِرُونَ﴾ تؤيِّد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿تُهْجِرُونَ﴾ بلفظها ومعناها.

١٠) إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأنَّ الاعتناء بالأصل الاشتقاقي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجّه عمقًا في معرفة دلالات الألفاظ، ومعرفة مناسبة توجيهات أهل العلم لأصل اللفظ.

وأما القسم الثاني، وهو: أن تكون الأقوال محتملة، وليس بينها تعارض، غير أنَّ بعضها أولىٰ من بعض؛ لكون القرآن ودلالة ألفاظه تشهد لقول دون غيره، أو السنة تشهد لأحدها، أو لغة العرب، أو قرائن في السياق، أو حجج أخرىٰ تقضي بتقديم أحد الأقوال، وهذا ما يسمىٰ بتقديم الأولىٰ.

ويتجلَّىٰ هذا في المثالين الآتيين:

❖ **المثال الأول:** قوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٢].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك علىٰ النحو التالي:

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ المدنيَّان بضمِّ الياء وكسر الميم: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾، والباقي بفتح الياء وضمِّ الميم: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾(١).

(١) يُنظر: «النشر»: (٢/ ٢٧٥)، و«التحبير»: (ص:٣٨٢).

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ ابن محيصن (ت١٢٣هـ) بضمِّ الياء وكسر الميم: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾(١).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾، ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيه: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾، ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ بين اتحاد المعنىٰ أو اختلافه علىٰ قولين:

القول الأول: أنَّهما بمعنىٰ(٢).

القول الثاني: أنَّ لكلٍّ منهما معنىٰ(٣).

توجيه القول الأول: أنَّهما بمعنىٰ، يُقال: مَدَّ وأَمَدَّ، أي: الجرّ والإطالة والإعانة والزيادة(٤).

توجيه القول الثاني: وذلك علىٰ ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: أنَّ: (مَدَّ) يكون في الشر والمكروه، و(أَمَدَّ) يكون في الخير والمحبوب(٥).

---

(١) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص:٥٥٧)، و«المغني في القراءات»: (٢/ ٨٧٣).

(٢) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص:٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢/ ٢٧٩).

(٣) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٩/ ٥٤)، و«معاني القرآن» للنحاس: (٤/ ٤٧٦)، و«حجة ابن خالويه»: (ص:٢٥٨).

(٤) يُنظر: «تفسير البغوي»: (٣/ ٣١٨)، و«تفسير الرازي»: (١٥/ ٤٣٨).

(٥) يُنظر: «معاني القراءات»: (١/ ٤٣٤)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي: (٤/ ١٢٢).

المذهب الثاني: أنَّ: (مَدَّ) إذا أعانه بنفسه ومن جنسه، و(أَمَدَّ) إذا أعانه وكثَّره بغيره[1].

المذهب الثالث: أنَّ: (مَدَّ) إذا جرَّه في الغيِّ، و(أَمَدَّ) إذا زاده غيًّا[2].

القول الراجح من القولين:

لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو: أنَّ لكلٍّ من القراءتين معنىٰ، وأنَّ المعاني المذكورة في اختلاف هذا المعنىٰ كلها محتملة ومتقاربة؛ لأنَّ مراعاة سياق الآية أولىٰ، وحمل معاني القرآن علىٰ الغالب من أسلوبه ومعهود استعماله أولىٰ؛ فقراءة: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ مِن: (مَدَّ)، ويكون في الشر والمكروه، ونظيرها: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة::١٥]، وقوله: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم:٧٩]، وغيرهما، وقراءة: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ مِن: (أَمَدَّ)، ويكون في الخير والمحبوب، ونظيرها: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء:٦]، وقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:٢٢]، وغيرهما، والعرب تقول: مددتُه في غيِّه، وأمددتُه بخيل ورجال، وأصلهما اللغوي يدلُّ علىٰ الجرِّ والإطالة والزيادة المتصلة واتصال شيء بشيء في استطالة، فيكون معنىٰ الآية قائمًا علىٰ أنَّهم لا يزالون يزيدونهم في الغيِّ، ويجرُّونهم إلىٰ الخزي بذنب بعد ذنب، ويعينونهم علىٰ ذلك، ولا يمسكون حتىٰ يستمرُّوا عليه[3].

---

(١) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٣/ ٣٤٠)، و«الصحاح»: (ص:٢٩٢) (مدد)، و«الشافي»: (٢/ ٣١٥)، و«مفاتيح الأغاني»: (ص:١٨٨).

(٢) يُنظر: «حجة ابن زنجلة»: (ص:٣٠٦).

(٣) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٥/ ٢٦٩) (مدّ)، و«شرح الهداية»: (ص:٣١٩)، و«تفسير ابن عطية»: =

فإن قيل: كيف الجمع في الآية بين الغيِّ الذي هو بمعنىٰ الضلال والشر والمكروه، وبين قراءة: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ الدالة علىٰ الخير والأمر المحبوب؟

قيل: هو استعارة تهكمية، قال أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ): «أنَّه بمنزلة قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١]، وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:١٠]»(١)، وقال المهدوي (ت٤٤٠هـ): «وقد يُستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر علىٰ الاتِّساع، كما استعملت البشارة في الخير والشر»(٢)، وقال ابن أبي مريم (ت٥٦٥هـ): «والوجه أنَّه وإن كان الإمداد يُستعمل فيما يُحب ويُستحب، فهو ههنا علىٰ المجاز والتشبيه»(٣).

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولىٰ من الخروج به عنهما(٤)، وهو من الأصول العلمية التي يُعتمد عليها في تدبر كلام الله وفهمه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): «فمَن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن؛ تبين له المراد، وعرف الهدىٰ والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج»(٥).

= (٢/ ٤٩٣)، و«لسان العرب»: (٣/ ٣٩٦) (مدد)، و«الدر المصون»: (١/ ١٤٩)، و«التحرير والتنوير»: (٩/ ٢٣٥).

(١) «الحجة» للفارسي: (٤/ ١٢٣).

(٢) «شرح الهداية»: (ص:٣٢٠).

(٣) «الموضح»: (ص:٥٧٠).

(٤) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص:١٢٥).

(٥) «مجموع الفتاوىٰ»: (١٥/ ٩٤).

٢) حمل كلام الله علىٰ الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولىٰ من الخروج به عن ذلك(١)، وهذا من الأصول والقواعد العلمية التي تفضي إلىٰ تدبر كلام الله وفهم معانيه والإسفار عن دلالاته، قال الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ): «من أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك: الاستدلال علىٰ أحد المعاني الداخلة في معنىٰ الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل استقرائي علىٰ عدم خروجه من معنىٰ الآية»(٢).

٣) في قراءة: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ الدالة علىٰ الخير والأمر المحبوب: استعارة تهكمية بقرينة قوله: ﴿فِي ٱلْغَيِّ﴾، كما أنَّ في قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١]: استعارة تهكمية بقرينة قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾؛ لأنَّ البشارة تدلُّ علىٰ الخير والسرور(٣).

٤) لا يزال الشيطان يجرُّ إخوانه في الغيِّ والضلال كما تدلُّ عليه قراءة: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾، ثم لا يكتفي بذلك، بل لا يزال يُمدُّهم في الغي ذنبًا بعد ذنب، ولا يقصر عن ذلك كما تدلُّ عليه قراءة: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾، ولو أنَّهم استعاذوا بالله والتجؤوا إليه إذْ نزغهم منه نزغًا؛ لحماهم من نزغاته، ووقاهم من وسوساته، قال الله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠].

٥) لا ينفكُّ الشيطان بالإنسان حتىٰ يَمُدَّهُ في الغي، وإلا أَمَدَّه بأوليائه وأعوانه من شياطين الإنسان والجن، وليس يحول بينه وبينهم إلا تقوىٰ الله؛ فإن مسَّه منهم

---

(١) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص:١٧٢).

(٢) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»: (٣/ ٤٧٨).

(٣) يُنظر: «الحجة» للفارسي: (٤/ ١٢٣)، و«التحرير والتنوير»: (٩/ ٢٣٥).

طيفٌ تذكَّر فأبصر فحذر فسلم، وإن زلَّ تاب وأناب، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١](١).

٦) في قراءة: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ مطابقة مع: ﴿يُقۡصِرُونَ﴾، والطباق من المحسنات الدالة على جمال لغة القرآن.

٧) القراءة الشاذة: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ تؤيِّد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ بلفظها ومعناها، ومن أبصر كتب توجيه القراءات وجد اهتمامًا بالغًا بالاحتجاج للقراءة المتواترة بالقراءة الشاذة؛ حيث يُردفون القراءة المتواترة بشاذة تكون لها عاضدة ومؤيدة ومفسرة، وهذا في كتبهم كثير ووفير.

٨) إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأنَّ الاعتناء بالأصل الاشتقاقي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجّه عمقًا في معرفة دلالات الألفاظ ومعرفة مناسبة توجيهات العلماء لأصل اللفظ.

٩) الوصول إلى مراد الله من كلامه لا يتأتى إلا بالنظر فيه عبر ثلاثة مستويات: مستوى الوضع اللغوي، ومستوى معهود العرب، ومستوى معهود القرآن، ويبقى لمعهود القرآن الصدارة على جميعها في تقرير المعنى(٢).

❖ **المثال الثاني**: قوله: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص:١٥].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿فَوَاقٖ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتَّحدتْ حروفها: وذلك على النحو التالي:

---

(١) يُنظر: «تفسير المنار»: (٩/ ٤٥٩).

(٢) يُنظر: «عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن» لبشرى باحي: (ص:٢١٣).

أوَّلًا: القرَّاء العشرة: قرأ الأخَوان وخلف بضمِّ الفاء: ﴿فُوَاقٍ﴾، والباقي بفتحها: ﴿فَوَاقٍ﴾(١).

ثانيًا: سوىٰ القرَّاء العشرة: قرأ الأعمش (ت١٤٨هـ) بضمِّ الفاء: ﴿فُوَاقٍ﴾(٢).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿فُوَاقٍ﴾، ﴿فَوَاقٍ﴾.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيه: ﴿فُوَاقٍ﴾، ﴿فَوَاقٍ﴾ بين اتحاد المعنىٰ أو اختلافه علىٰ قولين:

القول الأول: أنَّهما بمعنىً(٣).

القول الثاني: أنَّ لكلٍّ منهما معنىً(٤).

توجيه القول الأول: أنَّهما لغتان بمعنىً، يُقال: فُواق وفَواق بمعنىً واحد، أي: ما لها من توقُّف قدر فُواق وفَواق الناقة، وهو ما بين حلْبتي الحالب؛ لأنَّها تُحلب، وتُترك ساعة حتىٰ يعود اللبن، نحو: قُصاص الشعر وقَصاصه، والضمُّ: لغة تميم وقيس، والفتح: لغة أهل الحجاز(٥).

---

(١) يُنظر: «التيسير»: (ص:١٨٧)، و«التحبير»: (ص:٥٣١).

(٢) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص:٦٢٨)، و«المغني في القراءات»: (٤/ ١٥٧٩).

(٣) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص:٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢/ ٢٧٩).

(٤) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٩/ ٥٤)، و«معاني القرآن» للنحاس: (٤/ ٤٧٦)، و«حجة ابن خالويه»: (ص:٢٥٨).

(٥) يُنظر: «معاني القرآن» للزجاج: (٤/ ٣٢٣)، و«الكشف» لمكي بن أبي طالب: (٢/ ٢٣١).

توجيه القول الثاني: وذلك على وجهين[(١)]:

الوجه الأول: وجهُ قراءة الضمِّ: أنَّها مأخوذة مِن: فُواق الناقة، وهو ما بين الحلْبتين، وهو يؤول إلى الرجوع، ومنه: قولهم: أفاق المريض، إذا رجع إلى صحته، أي: ما لها من رجوع.

الوجه الثاني: وجهُ قراءة الفتح: أنَّها بمعنى: ما لها من راحة، ومنه: قولهم: أفاق المريض، إذا استراح.

◆ القول الراجح من القولين:

لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو: أنَّ القراءتين بمعنى، أي: ما لها من توقُّف قدر فُواق وفَواق الناقة، وهو القول الذي جنح إليه الطبري (ت٣١٠هـ) قائلًا بعد أن ذكر خلاف أهل العربية في معناهما: «والصواب من القول في ذلك: أنَّهما لغتان؛ وذلك أنَّا لم نجد أحدًا من المتقدمين على اختلافهم في قراءته يفرِّقون بين معنى الضمِّ فيه والفتح، ولو كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم؛ لقد كانوا فرقوا بين ذلك في المعنى، فإذا كان ذلك كذلك؛ فبأيِّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب، وأصل ذلك من قولهم: أفاقت الناقة، فهي تفيق إفاقة؛ وذلك إذا ردت ما بين الرضعتين ولدها إلى الرضعة الأخرى، وذلك أن ترضع البهيمة أمها، ثم تتركها حتى ينزل شيء من اللبن، فتلك الإفاقة، يُقال إذا اجتمع ذلك في الضرع: (فيقة)»[(٢)].

---

(١) يُنظر: «مجاز القرآن»: (٢/ ١٧٩)، و«الكتاب المختار»: (٢/ ٧٥٧)، و«الشفاء» للبخاري: (٢/ ٤٣٠).

(٢) «تفسير الطبري»: (٢١/ ١٦٢).

وقال السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ): «والمشهور: أنَّهما بمعنىٰ واحد، كـ(قَصاص الشَّعْر وقُصاصه)»[(١)].

ولو أنعمت النظر في المعاني المذكورة في اختلاف القراءتين بين اتحادهما في المعنىٰ أم اختلافهما؛ لتجلىٰ لك أنَّها متقاربة، وأنَّها تنهل من نفس المَعين، وترتوي من ذات الكأس؛ وذاك لأنَّ الفاء والواو والقاف أصل صحيح يدلُّ علىٰ أوبة ورجوع[(٢)]، وعليه: فقراءة: ﴿فُوَاقٍ﴾ مِن: فُواق الناقة، وهو ما بين الحلْبتين، وهو يؤول إلىٰ الرجوع الذي هو أحد معاني قراءة: ﴿فَوَاقٍ﴾؛ لأنَّ اللبن يرجع إلىٰ الضرع بعد الحلبة الأولىٰ فيما بين الحلبتين، ويؤول كذا إلىٰ المعنىٰ الآخر لقراءة: ﴿فَوَاقٍ﴾: أنَّها بمعنىٰ: الراحة؛ لأنَّ ما بين الحلْبتين راحة حتىٰ يرجع اللبن إلىٰ الضرع، والمعنىٰ: أنَّ تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءتْ لم تُردَّ ولم تصرفْ، وليس لها رجوع ولا إمهال، وهي صيحة واحدة لا تُثنَّىٰ ولا تُكـرَّر.

الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) إذا كانت المعاني تؤيدها دلالة اللفظ وأصل اشتقاقه؛ فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولىٰ[(٣)].

٢) إذا كانت المعاني تؤيدها قرائن في السياق؛ فالقول بمقتضىٰ تلك المعاني جميعها أولىٰ[(٤)].

---

(١) «الدر المصون»: (٩/ ٣٦٤).

(٢) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٤/ ٤٦١) (فوق)، و«الصحاح»: (٤/ ١٥٤٦) (فوق).

(٣) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص:٣٤٩).

(٤) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص:٢٩٩).

٣) في القراءتين تقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس؛ حيث عُبِّر عن الصيحة بفواق الناقة في عدم رجوعها وإمهالها وإفاقتها؛ لأنها أثبت في الأذهان، وفيهما تقريب الغائب بالشاهد، والخفي بالجلي.

٤) لما كانت الناقة تنتظم في نظر جمهور العرب من أهل تهامة والحجاز ونجد، وأمثالها من بلاد أهل الوبر والانتجاع؛ حَسُنَ اقتران قصر زمن الفواق بالصيحة التي لا رجوع فيها ولا إمهال ولا راحة، وكم قد جرىٰ ذكرها وصفاتها وحمدها في شعرهم، ولا تكاد تخلو قصيدة عن وصفها ومزاياها(١).

٥) علىٰ قراءة الضمِّ مجاز مفرد بالاستعارة حيث استعيرت: لتشبيه قصر الزمن بعد النفخة بقصر زمن الفواق، والقرينة الصارفة: حالية؛ لأنَّ حال الناس في تلك الساعة ليس حال حلب ناقة، والعلاقة: المشابهة، وهذا من محسنات علم المعاني الدالة علىٰ روعة القرآن الكريم(٢).

٦) المبادرة إلىٰ الصالحات والخيرات ما دمنا في زمن الإمهال والرجوع والتأخير قبل أن لا يكون هناك إمهال ولا رجوع ولا تأخير، قال الله: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩].

٧) القراءة الشاذة: ﴿فُوَاقٍ﴾ تؤيِّد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿فُوَاقٍ﴾ بلفظها ومعناها، ومن أبصر كتب توجيه القراءات وجد اهتمامًا بالغًا بالاحتجاج للقراءة المتواترة بالقراءة الشاذة؛ حيث يُردفون القراءة المتواترة بشاذة تكون لها عاضدة ومؤيدة ومفسرة، وهذا في كتبهم كثير ووفير.

---

(١) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٣٠/ ٣٠٥).

(٢) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص:٥٩).

٨) إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأنَّ الاعتناء بالأصل الاشتقاقي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجّه عمقًا في معرفة دلالات الألفاظ ومعرفة مناسبة توجيهات العلماء لأصل اللفظ.

الخاتمة

حمدًا لله تعالىٰ علىٰ الانتهاء والتمام، وصلاةً وسلامًا علىٰ أشرف الأنام، وآله وصحبه الكرام .. وبعد:

فأما وقد أُنجِز الموعود، وبلغ البحث المقصود، بقي أن أعرض أبرز ما خَلُص إليه البحث من: نتائج، وتوصيات.

فأما النتائج، فأوجز ذكرها فيما يلي:

١] تدبر القراءات يعتمد بشكل كبير علىٰ توجيه القراءات؛ فتدبرها فرع من توجيهها، وثمرة من ثماره.

٢] العناية بدلالات ألفاظ القراءات من حروف وحركات من أصول تدبر القراءات.

٣] إتقان اللسان العربي الذي نزل به القرآن من الأصول العلمية المفضية إلىٰ إدراك إعجاز القراءات.

٤] الحركة البنائية للفظ القرآني لها أهميتها البالغة في تحديد المعنىٰ والإسفار عن دلالاته ودقة تعبيراته.

٥] القراءات مستودع ووعاء لكثير من لغات العرب، بل هي من مصادرها الأصيلة.

٦] النظر إلىٰ ما وراء الألفاظ من حروف وحركات من المعاني والعبر والمقاصد هو الذي يثمر العلم النافع والعمل الصالح، وهو المقصد الأعظم من تنزيل القرآن العظيم.

وأما التوصيات، فأوجز ذكرها فيما يلي:

١] العناية البحثية بالجانب التدبري للقراءات؛ لأنَّه باب عظيم يمكن أن تُكتب فيه رسائل وبحوث علمية.

٢] حث المقرئين الفضلاء والقراء النبلاء والمختصين بالقراءات وعلومها من أهل العلم والفضل بالاهتمام في دروسهم ومحاضراتهم ومقارئهم وحلقاتهم بتدبر القراءات، وما يثمره من توجيهات إيمانية، ولطائف تربوية، وفوائد بيانية.

٣] الاهتمام بإتقان اللسان العربي المبين، وخاصة الجانب البلاغي؛ لأنَّه هو الجانب الأهم للقارئ المتدبر.

٤] العناية بكتب علل القراءات؛ لأنَّها من الأصول العملية العلمية المفضية إلىٰ تدبر القراءات.

٥] تبني موسوعة علمية تهتم بالهدايات القرآنية في القراءات القرآنية، وتجمعها في مكان واحد؛ لتكون مرجعًا يسهل الرجوع إليها، والاستفادة منها.

وأحمد الله أوَّلًا وآخرًا حمدًا كثيرًا، وهو تعالىٰ كريم يعطي علىٰ القليل كثيرًا.

ولا جَرَمَ أن كان الخطأ حالفني، أو الغلط رافقني، فذي بضاعة مَن خُلِق من عجَل، ونبرة بنانه علىٰ وجَل؛ لذا أنا ألتمس ممَّن سلمتْ بصيرته، وطابتْ سريرته، أن يغضَّ الطرف عمَّا يرىٰ من الإخلال والإجحاف، وأن ينظرَ إليه بعين الحلم

واللطف والإنصاف، فإن أحسنتُ فرميةٌ من غير رامٍ، وإن أخطأتُ فمعذرةً أطلبها عند الكرام، والله الهادي إلىٰ سواء السَّبيل.

والحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسوله الأمين.

ثبت المصادر والمراجع

١- «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم». أبو السعود، محمد بن محمد. د.ت. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.خ.

٢- «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية - دراسة تطبيقية». طلال أحمد علي محمد. مجلة تدبر. (٩)، ١٤٤٢هـ.

٣- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. د.ت. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٤- «إعراب القراءات الشواذ». العكبري، عبدالله بن الحسين. تحقيق: محمد السيد عزوز. د.ط، بيروت: عالم الكتب، د.خ.

٥- «البحر المحيط في التفسير». أبو حيان، محمد بن يوسف. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٦- «التسهيل لعلوم التنزيل». الكلبي، محمد بن جزي. تحقيق: عبدالله الخالدي. ط١، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ.

٧- «التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة آل عمران». القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية. ط١، الظهران: مؤسسة الدرر السنية، ١٤٣٧هـ.

٨- «التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة المائدة». القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية. ط١، الظهران: مؤسسة الدرر السنية، ١٤٣٧هـ.

٩- «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد». ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله. تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي | محمد عبد الكبير البكري. د.ط، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ.

١٠- «التيسير في القراءات السبع». الداني، عثمان بن سعيد. تحقيق: أوتو تريزل. ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ.

١١- «الجامع في الهدايات القرآنية - الحزب الثالث من سورة البقرة». كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرىٰ ومؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة. ط١، د.خ.

١٢- «الجامع في الهدايات القرآنية - الحزب الثاني من سورة البقرة». كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرىٰ ومؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة. ط١، د.خ.

١٣- «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة آل عمران». كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرىٰ ومؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة. ط١، د.خ.

١٤- «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأعراف». كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرىٰ ومؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة. ط١، د.خ.

١٥- «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة المائدة». كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرىٰ ومؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة. ط١، د.خ.

١٦- «الجامع لأحكام القرآن». القرطبي، محمد بن أحمد. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

١٧- «الحجة في القراءات السبع». ابن خالويه، الحسين بن أحمد. تحقيق: عبدالعال سالم مكرم. ط٤، بيروت: دار الشروق، ١٤٠١هـ.

١٨- «الحجة للقراء السبعة». الفارسي، الحسن بن أحمد. تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي. ط٢، دمشق - بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١٣هـ.

١٩- «الخصائص». الموصلي، عثمان بن جني. د.ت. ط٤، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.خ.

٢٠- «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون». السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. تحقيق: أحمد محمد الخراط. د.ط، دمشق: دار القلم، د.خ.

٢١- «الدرة الفريدة في شرح القصيدة». الهمذاني، حسين بن أبي العز. تحقيق: جمال محمد

طلبة السيد. ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ.

٢٢- «الشافي في علل القراءات». ابن القرَّاب، إسماعيل بن إبراهيم، من الآية رقم: (١٤٠) من سورة البقرة إلىٰ نهاية سورة يوسف. دراسة وتحقيق: سلطان أحمد الهديان. رسالة دكتوراة. المدينة المنورة: قسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤٣٦هـ.

٢٣- «الشافي في علل القراءات». ابن القرَّاب، إسماعيل بن إبراهيم، من أول الكتاب إلىٰ آخر الآية رقم: (١٤٠) من سورة البقرة. دراسة وتحقيق: إبراهيم بن محمد السلطان. رسالة دكتوراة، المدينة المنورة: قسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٥هـ.

٢٤- «الشافي في علل القراءات». ابن القرَّاب، إسماعيل بن إبراهيم، من بداءة سورة الرعد إلىٰ نهاية الكتاب. دراسة وتحقيق: أحمد عبدالله الزهراني. رسالة دكتوراة. المدينة المنورة: قسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤٣٦هـ.

٢٥- «الشفاء في علل القراءات». البخاري، أحمد بن محمد، من أول الكتاب إلىٰ آخر سورة يوسف. دراسة وتحقيق: صالح بن محمد العماري. رسالة دكتوراة. مكة المكرمة: قسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرىٰ، ١٤٣٧هـ.

٢٦- «الشفاء في علل القراءات». البخاري، أحمد بن محمد، من بداءة سورة الرعد إلىٰ نهاية الكتاب. دراسة وتحقيق: حبيب الله السلمي. رسالة دكتوراة. مكة المكرمة: قسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرىٰ، ١٤٣٧هـ.

٢٧- «الفروق الحركية في القرآن الكريم فيما اتحدت حروفه واختلفت حركاته لاختلاف معناه». الحكمي، شبيل أبو الغيث إبراهيم. ط١، المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٤٠هـ.

٢٨- «الفريد في إعراب القرآن المجيد». الهمذاني، حسين بن أبي العز. تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح. ط١، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ.

٢٩- «القراءات من قبيل اللغات بين اتحاد المعنىٰ أو اختلافه - دراسة تطبيقية مقارنة». القرشي، عبدالله بن حماد. مجلة كلية التربية، جامعة طنطا. م (٤)، (٢)، ٢٠١٥م.

٣٠- «الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها». الهذلي، يوسف بن علي. تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، ط١، مصر: مؤسسة سما للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ.

٣١- «الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار». ابن إدريس، أحمد بن عبيدالله. تحقيق: عبدالعزيز الجهني. ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٨هـ.

٣٢- «الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها». ابن أبي مريم، نصر بن علي. تحقيق: عمر الكبيسي. ط١، جدة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ١٤١٤هـ.

٣٣- «الكتاب». سيبويه، عمرو بن عثمان. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

٣٤- «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل». الزمخشري، محمود بن عمر. د.ت. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٣٥- «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» القيسي، مكي بن أبي طالب. تحقيق: محيي الدين رمضان. ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ.

٣٦- «المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي». سبط الخياط، عبدالله بن علي. تحقيق: وفاء عبدالله قزمار. رسالة دكتوراة، السعودية: كلية اللغة العربية، جامعة أم القرىٰ، ١٤٠٥هـ.

٣٧- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطية، عبدالحق بن غالب. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٣٨- «المحكم والمحيط الأعظم». ابن سيده، علي بن إسماعيل. تحقيق: عبدالحميد هنداوي. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

٣٩- «المغني في القراءات». النوزاوازي، محمد بن أبي نصر. تحقيق: محمود بن كابر الشنقيطي. ط١، الرياض: تبيان للدراسات القرآنية، ١٤٣٩هـ.

٤٠- «النشر في القراءات العشر». ابن الجزري، محمد بن محمد. تحقيق: علي بن محمد الضباع. د.ط، مصر: المطبعة التجارية الكبرىٰ، تصوير دار الكتب العلمية، د.خ.

٤١- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل». البيضاوي، عبدالله بن عمر. تحقيق: محمد المرعشلي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٤٢- «تحبير التيسير في القراءات العشر». ابن الجزري، محمد بن محمد. تحقيق: أحمد محمد القضاة. ط١، الأردن: دار الفرقان، ١٤٢٠هـ.

٤٣- «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. د.ت. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٤٤- «تداخل الأصوات العربية وأثره في بناء المعجم». الصاعدي، عبدالرزاق بن فراج. ط١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٢هـ.

٤٥- «تفسير القرآن الكريم - الفاتحة والبقرة». العثيمين، محمد بن صالح. ط١، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.

٤٦- «تفسير القرآن الكريم - سورة آل عمران». العثيمين، محمد بن صالح. ط٣، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٣٥هـ.

٤٧- «تفسير المنار». الحسيني، محمد رشيد علي رضا. د.ت. د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٤٨- «جامع البيان في تأويل القرآن». الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٤٩- «حجة القراءات». ابن زنجلة، عبدالرحمن بن محمد. تحقيق: سعيد الأفغاني. د.ط. بيروت: دار الرسالة، د.خ.

٥٠- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين بن محمود. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٥١- «زاد المسير في علم التفسير». ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. تحقيق: عبد الرزاق

المهدي. ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥٢- «شرح الهداية». المهدوي، أحمد بن عمار. تحقيق: حازم سعيد حيدر، د.ط، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ.

٥٣- «شواذ القراءات». الكرماني، محمد بن أبي نصر. تحقيق: شمران العجلي. د.ط، بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠٠١م.

٥٤- «صحيح البخاري». البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٥٥- «صحيح مسلم». القشيري، مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.خ.

٥٦- «عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن». بشرىٰ باحي. مجلة تدبر. (٩)، ١٤٤٢هـ.

٥٧- «فضائل القرآن». أبو عبيد، القاسم بن سلام. تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين. ط١، بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٥هـ.

٥٨- «قواعد الترجيح عند المفسرين - دراسة نظرية تطبيقية». الحربي، حسين بن علي. ط١، الرياض: دار القاسم، ١٤١٧هـ.

٥٩- «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم. د.ت. ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ.

٦٠- «مجاز القرآن». أبو عبيدة، معمر بن المثنىٰ. تحقيق: محمد سزگين. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ.

٦١- «مجموع الفتاوىٰ». ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. ط١، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٦٢- «مسند الإمام أحمد». أحمد بن حنبل. تحقيق: أحمد شاكر. ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ.

٦٣- «معالم التنزيل في تفسير القرآن». البغوي، الحسين بن مسعود. تحقيق: عبدالرزاق

المهدي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٦٤- «معاني القراءات». الأزهري، محمد بن أحمد. تحقيق: مركز البحوث في كلية الآداب. ط١، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ.

٦٥- «معاني القرآن وإعرابه». الزجاج، إبراهيم بن السري. تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي. ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٨هـ.

٦٦- «معاني القرآن». الأخفش، سعيد بن مسعدة. تحقيق: هدىٰ محمود قراعة. ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ.

٦٧- «معاني القرآن». النحاس، أحمد بن محمد. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرىٰ، ١٤٠٩هـ.

٦٨- «مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني». الكرماني، محمد بن أبي المحاسن. تحقيق: عبدالكريم مصطفىٰ مدلج. ط١، بيروت: دار الحزم، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٦٩- «مفاتيح الغيب». الرازي، محمد بن عمر. د.ت.ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٧٠- «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة». ابن القيم، محمد بن أبي بكر. د.ت. بيروت: دار الكتب العلمية، دأخ.

٧١- «مقاييس اللغة». الرازي، ابن فارس. تحقيق: عبدالسلام هارون. د.ط. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٧٢- «منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية». الحربي، حسين بن علي. ط١، الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٦هـ.

References and Sources

1. «*Guidance of Sound Mind to the Merits of the Holy Quran*» Abu Al-Saud, Mohammed bin Mohammed. DDT Beirut: Dar Ihiya Al-Turath Al-Arabi
2. "*Extracting Rhetorical Rules from Quranic Recitations - an Applied Study*." Talal Ahmed Ali Mohamed. Tadabor magazine. (9), 1442 AH.
3. "Adwau Al-Bayan fi Edah Al-Quran bil-Quran". Al-Shenqiti, Mohammed Al-Amin bin Mohammed. No edition number, without publishing date, Beirut: Dar Al-Fikr, 1415 AH.
4. "*Erab Al-Qiraat Al-Shazah*" Al-Akbri, Abdullah bin Al-Hussein. Investigation: Mohammed Al-Sayyid Azzouz. No edition number. Beirut: Alam Al-Kotub, without publishing date.
5. «*Al-Bahru Al-Moheet fi Al-Tafseer*». Abu Hayyan, Mohammed bin Yusuf. Investigation: Sidqi Mohammed Jamil. No edition number, Beirut: Dar Al-Fikr, 1420 AH.
6. ***"Al-Tas'heel Li-Oloum Al-Tanzeel".*** Al-Kalbi, Mohammed ibn Jazi. Investigation: Abdullah Al-Khalidi. 1st edition, Beirut: Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam, 1416 AH.
7. ***"Edited Interpretation of the Holy Qur'an - Surat Al Imran".*** The Academic Department of Al-Durar Al-Saniyyah Foundation. 1st Edition, Dhahran: Al-Durar Al-Saniyyah Foundation, 1437 AH.
8. ***"Edited Interpretation of the Holy Qur'an - Surat Al-Ma'idah".*** The Academic Department of Al-Durar Al-Saniyyah Foundation. 1st Edition, Dhahran: Al-Durar Al-Saniyyah Foundation, 1437 AH.
9. ***"Al-Tamheed li'ma fi el-Muwatta m'na Al-Maani Wal-Asaneed".*** Ibn Abdul-Bar, Youssef bin Abdullah. Investigation: Mustafa bin Ahmed Al-Alawi, Mohammed Abdul-Kabir Al-Bakri. No edition number, Morocco: Ministry of

Endowments and Islamic Affairs, 1387 AH.

10. ***"Facilitation in the Seven Recitations".*** Al-Dani, Othman bin Saeed. Investigation: Ottu Trezel. 2nd Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1404 AH.
11. ***"Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - The Chapter of Surat Al-Baqarah."*** Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and the Great News Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1st Edition, without publishing date.
12. ***"Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - The Second Part of Surat Al-Baqarah."*** Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1st Edition, without publishing date.
13. ***"Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - Surat Al Imran».*** Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1st Edition, without publishing date.
14. ***"Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - Surat Al-A'raf".*** Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1st Edition, without publishing date.
15. ***"Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - Surat Al-Ma'idah".*** Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1st Edition, without publishing date.
16. ***"Al-Jamei Li-Ahkam Al-Qur'an"***. Al-Qurtubi, Mohammed bin Ahmed. Investigation: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atefayesh. 2nd edition, Cairo: The Egyptian Book House, Cairo, 1384 AH.
17. ***"Al-Hojjah fi Al-Qiraat Al-Ashr".*** Ibn Khalawayh, Al-Hussein bin Ahmed. Investigation: Abdel-Aal Salem Makram. 4th edition, Beirut: Dar Al-Shorouk, 1401 AH.
18. ***"Al-Hojjah Lil-Qurra Al-Sabaah"*** Al-Farsi, Al-Hasan bin Ahmed. Investigation: Badr Al-Din Kahwaji and Bashir Joigati. 2nd edition, Damascus - Beirut: Al-Mamoun Heritage House, 1413 AH.
19. ***"Al-Khasy'es".*** Al-Mawsili, Othman ibn Jinni. No edition number. 4th edition, Egypt: The Egyptian General Book Authority, without publishing date.

20. ***"Al-Durr al-Masoon fi Oloum al-Kitab al-Maknon".*** Al-Samin Al-Halabi, Ahmed bin Youssef. Investigation: Ahmed Mohammed Al-Kharrat. No edition number, Damascus: Dar Al-Qalam, no publishing date.
21. ***"Addurrah Al-Faridah fi Sharhul-Qsidah".*** Al-Hamadani, Hussein bin Abi Al-Ezz. Investigation: Jamal Mohammed Tolba Al-Sayed. 1st edition, Riyadh: Al-Maarif for Publishing and Distribution, 1433 AH.
22. ***"Ashafi fi Elal Al-Qiraat".*** Ibn al- Qarrab, Ismail bin Ibrahim, from verse No.: (140) from Surat Al-Baqarah to the end of Surat Yusuf. Study and investigation: Sultan Ahmed Al-Hadyan. Ph.D. Medina: Department of Recitations, College of the Holy Qur'an and Islamic Studies, Islamic University of Medina, 1436 AH.
23. ***" Ashafi fi Elal Al-Qiraat"***. Ibn al- Qarrab, Ismail bin Ibrahim, from verse No.: (140) from Surat Al-Baqarah. Study and investigation: Ibrahim bin Mohammed Al-Sultan. PhD thesis, Medina: Department of Recitations, College of the Holy Qur'an and Islamic Studies, Islamic University of Medina, 1435 AH.
24. ***" Ashafi fi Elal Al-Qiraat»***. Ibn al- Qarrab, Ismail bin Ibrahim, from the beginning of Surat al-Ra'd to the end of the book. Study and investigation: Ahmed Abdullah Al-Zahrani. Ph.D. Medina: Department of Recitations, College of the Holy Qur'an and Islamic Studies, Islamic University of Medina, 1436 AH.
25. ***"Ashefaa fi Elal-Al-Qira'at".*** Al-Bukhari, Ahmed bin Mohammed, from the beginning of the book to the end of Surat Yusuf. Study and investigation: Saleh bin Mohammed Al-Ammari. Ph. D Thesis. Makkah Al-Mukarramah: Department of Recitations, College of Call and Religion Fundamentals, Umm Al-Qura University, 1437 AH.
26. ***"Ashefaa fi Elal-Al-Qira'at".*** Al-Bukhari, Ahmed bin Mohammed, from the beginning of Surat Al-Ra'd to the end of the book. Study and investigation: Habibullah Al-Sulami. Ph.D. Thesis, Makkah: Department of Recitations, College of Call and Religion Fundamentals, Umm Al-Qura University, 1437

AH.
27. ***“Marks Differences in the Holy Qur’an in Words with the Same Letters and Different Marks for Different Meanings”.*** Al-Hakami, Shabeel Abu Al-Ghaith Ibrahim. 1st Edition, Medina: Al-Madinah Al-Munawwarah Literature Club, 1440 AH.
28. ***“Al_Fareed fi Erab Al-Quran Al-Majeed”.*** Al-Hamadani, Hussein bin Abi Al-Ezz. Investigation: Mohammed Nizamuddin Al-Fateh. 1st edition, Al-Madinah Al-Munawwarah: Dar Al-Zaman Bookstore for Publishing and Distribution, 1427 AH.
29. ***“Recitations from Languages between Meaning Unity & Difference***- a Comparative Applied Study». Al-Qurashi, Abdullah bin Hammad. Journal of the Faculty of Education, Tanta University. Volume (4), (2), 2015 AD.
30. ***“Al-Kamel fi Al-Qi’raat Al-Ashr wa Al-Arbeen Azzaidah”.*** Al-Huzali, Yusuf bin Ali. Investigation: Jamal Bin Al-Sayed Bin Rifai Al-Shayeb, 1st Edition, Egypt: Sama for Publishing and Distribution Foundation, 1428 AH.
31. «***Al-Kitabul-Mokhtar fi Maani Qiraatu Ahlel-Amsar”.*** Ibn Idris, Ahmed bin Obaidullah. Investigation: Abdulaziz Al-Juhani. 1st edition, Riyadh: Al-Rushd Bookstore, 1428 AH.
32. ***“Al-Kitabul-Moddah fi Wojoh Al-Qiraat wa Ela’loha”.*** Ibn Abi Maryam, Nasr bin Ali. Investigation: Omar Al-Kubaisi. 1st edition, Jeddah: The Charitable Society for the Memorization of the Noble Qur’an in Jeddah, 1414 AH.
33. ***“Al-Kitab”. Sibawayh, Amr»*** bin Othman. Investigation: Abd al-Salam Mohammed Haroun. 3rd edition, Cairo: Al-Khanji Library, Cairo, 1408 AH.
34. ***“Al-Kash’af a’n Haqaiqu at-Tanzil wa Oyoun Al-Aqaweel”*** Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar. Without publishing date, 3rd Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.
35. ***“Al-Kashf a’n Wojoh Al-Qiraat Al-Sabei wa Elaliha wa Hijajiha”*** Al-Qaisi, Makki bin Abi Talib. Investigation: Mohieddin Ramadan. 3rd Edition, Beirut: Al-Resala Foundation, 1404 AH.
36. ***“Al-Mob’hij fi Al-Qiraat Al-Thaman a Qiraat Al-Amash wa Ibn Mehe-***

sen,wa Ekhtiyar Khalaf wa Al-Yazidi". Sabt Al-Khayat, Abdullah bin Ali. Investigation: Wafaa Abdullah Qazmar. PhD Thesis, Saudi Arabia: College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, 1405 AH.

37. ***"Al-Muharrir al-Wajeez fi Tafseer al-Kitab al-Aziz"*** Ibn Attia, Abdul Haq bin Ghalib. Investigation: Abd al-Salam Abd al-Shafi Mohammed. 1st Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1422 AH.
38. ***"Al-Mohkam wal-Moheet Al-Azam".*** Ibn Syadoh, Ali bin Ismail. Investigation: Abdul Hamid Hindawi. 1st Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Elmiyyah, 1421 AH.
39. ***"Al-Moghni fi Al-Qir'at".*** Al-Nawwazi, Mohammed bin Abi Nasr. Investigation: Mahmoud bin Kabir Al-Shanqeeti. 1st edition, Riyadh: Tabyan for Quranic Studies, 1439 AH.
40. ***"An'Nashr fi Al-Qiraat Al-Ashr".*** Ibn al-Jazari, Mohammed bin Mohammed. Investigation: Ali bin Mohammed Al-Dabaa. No edition number, Egypt: The Great Commercial Printing Press, photo by Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, without publishing date.
41. ***"Anwaru Tanzeel wa Asraru Taweel".*** Al-Baidawi, Abdullah bin Omar. Investigation: Mohammed Al-Maraashli. 1st Edition, Beirut: Dar Ihyaa Al-Turath Al-Arabi, 1418 AH.
42. ***"Tahbiru Attayseer fi Al-Qiraat Al-Ashr"*** Ibn al-Jazari, Mohammed bin Mohammed. Investigation: Ahmed Mohammed Al-Qudah. 1st Edition, Jordan: Dar Al-Furqan, 1420 AH.
43. ***"Tahrirul Maana Ass'adid wa Tanweer Al-Aqlu-Rasheed m'n Tafseer Al-Kitanul-Majeed"***. Ibn Ashour, Mohammed al-Taher bin Mohammed. No edition number, wihtout publishing date, Tunis: Tunisian Publishing House, 1984 AD.
44. «***Interference of Arabic Sounds and its Impact on the Lexicon Structure".*** Al-Sa'adi, Abdul Razzaq bin Farraj. 1st Edition, Medina: Deanship of Academic Research, Islamic University of Medina, 1422 AH.
45. ***"Interpretation of the Holy Qur'an - Al-Fatihah and Al-Baqarah».***

Al-Othaimeen, Mohammed bin Saleh. 1st Edition, Riyadh: Dar Ibn al-Jawzi, 1423 AH.

46. ***“Interpretation of the Holy Qur’an - Surat Al Imran».*** Al-Othaimeen, Mohammed bin Saleh. 3rd edition, Riyadh: Dar Ibn al-Jawzi, 1435 AH.
47. ***“Tafsir Al-Manar”***. Al-Husseini, Mohammed Rashid Ali Reda. No edition number, without publishing date, No edition number, Egypt: The Egyptian General Book Authority, 1990 AD.
48. ***“Jami’ al-Bayan fi Tafseerul-Qur’an.”*** Al-Tabari, Mohammed bin Jarir. Investigation: Ahmed Mohamed Shaker. 1st edution, Beirut: Al-Resala Foundation, 1420 AH.
49. ***“Hujjatu-Al-Qiraat”. Ibn Zanjla,*** Abdul Rahman bin Mohammed. Investigated by: Saeed Al-Afghani. No edition number. Beirut: Dar Al-Resala, d.kh.
50. ***“Rohul-Maani fi Tafseer Al-Quran Al-Azeem wa Al-Sabei Al-Mathani.”*** Al-Alusi, Shihab Al-Din Bin Mahmoud. Investigation: Ali Abdel Bari Attia. 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1415 AH.
51. ***“Zadul-Maseer fi Elm Al-Tafseer”.*** Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman bin Ali. Investigation: Abdul Razzaq Al-Mahdi. 1st edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 1420 AH.
52. ***“Explanation of guidance».*** Mahdawi, Ahmed bin Ammar. Investigation: Hazem Saeed Haider, No edition number, Riyadh: Al-Rushd Library, 1415 AH.
53. ***“Sharhu Al-Hidayah”.*** Al-Kirmani, Mohammed bin Abi Nasr. Investigated by: Shamran Al-Ajli. No edition number, Beirut: Al-Balagh Foundation, 2001.
54. ***“Sahih al-Bukhari”. Al-Bukhari,*** Mohammed bin Ismail. Investigation: Mohammed Zuhair bin Nasser Al-Nasser. 1st edition, Beirut: Dar Touq Al-Najat, 1422 AH.
55. ***“Sahih Muslim.”*** Al-Qushayri, Muslim bin Al-Hajjaj. Investigation: Mohammed Fouad Abdel-Baqi. Dr. T, Beirut: Dar Ihya Al-Kitab Al-Arabi
56. ***“The Arabic of the Holy Quran between the covenant of Arabs and the covenant of Quran”***. Bushra Bahi. Tadabbur magazine. (9), 1442 AH.
57. ***“Fadayel Al-Quran”***. Abu Obeid Bin Qasim peace. Investigation: Marwan

Al-Attiyah, Mohsen Kharabeh, and Wafaa Taqi Al-Din. 1st edition, Beirut: Dar Ibn Kathir, 1415 AH.

58. ***"Rules of Weighting among Scholars of Interpretation" -*** Applied Theoretical Study». Al-Harbi, Hussein bin Ali. 1st edition, Riyadh: Dar Al-Qasim, 1417 AH.

59. «***Lisan al-Arab".*** Ibn Manzur, Mohammed bin Makram. Without publishing date, 3rd edition, Beirut: Dar Sader, 1417 AH.

60. ***"The Metaphor of the Qur'an."*** Abu Ubaidah, Muammar bin Al-Muthanna. Investigation: Mohammed Sezgin. Cairo: Al-Khanji Library, 1381 AH.

61. ***"Majmou Al-Fatwa».*** Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim. Investigation: Abd al-Rahman bin Mohammed bin Qasim. 1st edition, Medina: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, 1416 AH.

62. ***Musnad Al-Imam Ahmad».*** Ahmad ibn Hanbal. Investigation: Ahmed Shaker. 1st edition, Cairo: Dar Al-Hadith, 1416 AH.

63. ***"Maalimu at-Tanzeel fi Tafseer Al-Qur'an».*** Al-Baghawi, Al-Hussein bin Masoud. Investigation: Abdul Razzaq Al-Mahdi. 1st edition, Beirut: Dar Ihya Al-Turath al-Arabi, 1420 AH.

64. ***"Meanings of Recitations".*** Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed. Investigation: Research Center at the Faculty of Arts. 1st edition, Riyadh: King Saud University, 1412 AH.

65. ***"Maani Al-Quran wa Eraboh"*** Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sari. Investigation: Abdel-Jalil Abdo Shalaby. 1st Edition, Beirut: Alam Al-Kotub, 1418 AH.

66. ***"The Meanings of the Qur'an."*** Al-Akhfash, Saeed bin Masada. Investigated by: Huda Mahmoud Qara'a. 1st Edition, Cairo: Al-Khanji Bookstore, 1411 AH.

67. ***"Maani Al-Quran"*** Al-Nahhas, Ahmed bin Mohammed. Investigation: Mohammed Ali Al-Sabouni. 1st Edition, Makkah Al-Mukarramah: Umm Al-Qura University, 1409 AH.

68. ***"Mafatih Al-Aghani fi Al-Qiraat wal Maani".*** Al-Kirmani, Mohammed bin Abi Al-Mahasin. Investigated by: Abdelkarim Mustafa Medlej. 1st edition,

Beirut: Dar Al Hazm, Beirut, 1422 AH.

69. ***“Mafatihul-Ghaib”.*** Al-Razi, Mohammed bin Omar. Without publishing date, 3rd Edition, Beirut: Dar Ihyau Al-Turath Al-Arabi, 1420 AH.

70. ***“Mafatih Dar Assaadah wa Mansour Welayat Al-Elm wa Assadah”***. Ibn al-Qayyim, Mohammed ibn Abi Bakr. DDT Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, without publishing date.

71. ***“Maqaes Al-Lughah”***. Al-Razi, Ibn Faris. Investigation: Abdel Salam Haroun. No edition number. Beirut: Dar Al-Fikr, 1399 AH.

72. ***“The approach of Imam Ibn Jarir al-Tabari in the Preference between Explanatory Sayings”.*** Al-Harbi, Hussein bin Ali. 1st edition, Riyadh: Interpretation Center for Quranic Studies, 1436 AH.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر

مجلة تدبر



تَسبيحُ الرُّسُلِ عليهِمِ السَّلامُ في ضَوءِ القُرآنِ الكَريمِ



حمزة بن عبدالله سعادة شواهنة

محاضر جامعي غير متفرغ - جامعة القدس المفتوحة: قلقيلية - فلسطين - كلية العلوم التربوية تفسير وعلوم قران

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٤/١١

قبل للنشر في: ١٤٤٢/٦/١٤

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

◆ حصل على درجة الماجستير في أصول الدين (القرآن والسنة) من كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية/ فلسطين بأطروحته: «النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم».

◆ طالب دكتوراه، علوم إسلامية (تفسير وعلوم قرآن) في المعهد العالي لأصول الدين بجامعة الزيتونة / تونس. عنوان أطروحة الدكتوراه: (قيَم المواطنة والتعايش السلمي في منهج الدعوة عند الأنبياء عليهم السلام من خلال القرآن الكريم).

◆ **النتاج العلمي:**

١- بحث علمي محكّم بعنوان: (عناية الأنبياء عليهم السلام بالقيم الفكرية للتعايش في ضوء القرآن الكريم)، (مجلة إيفاد للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المؤسسة الدولية للتطوير الأكاديمي، الجزائر).

٢- بحث علمي محكّم بعنوان: (أمانة الرسل عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية)، (مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكمة، الجامعة الإسلامية، مدينة بلومنتون، ولاية منيسوتا أمريكا).

٣- بحث علمي محكّم بعنوان: (الفساد الاقتصادي في ضوء القصص القرآني)، (مجلة قبس، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة مصراتة - ليبيا).

٤- بحث علمي محكّم بعنوان: (عناية الرسل عليهم السلام بأبنائهم في ضوء القرآن الكريم)، (مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية -الشارقة- دولة الإمارات العربية المتحدة).

◆ البريد الشبكي: hamzahamza1985@outlook.sa

المُستخلص

هذا البحث بعنوان (تسبيح الرسل عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم)، وقد هدفتُ إلىٰ تسليط الضوء علىٰ معالِم التسبيح عند الرسل عليهم السلام مِن خلال آيات القرآن الكريم، ولتحقيق هذا الهدف سلكتُ المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، بحيث أَعرض الآيات القرآنية التي تناولت موضوع تسبيح الرسل عليهم السلام لله عز وجل، ثُمَّ أستنبط أبرز الجوانب التربوية مِن منهجهم عليهم السلام في أداء هذه العبادة، وقد خلُص البحث في نتائجه إلىٰ المكانة السامية لمنزلة التسبيح في القرآن الكريم، وأنَّ الرسل عليهم السلام هم سادات الذاكرين والمسبِّحين، حيث قاموا عليهم السلام بتسبيح الله عز وجل بألسنتهم وقلوبهم وأعمالهم، كما شَمل تسبيحُهم الأوقات والأحوال جميعها، وعليه ينبغي علىٰ العبد التخلُّق بأخلاق الرسل عليهم السلام في الإكثار مِن تسبيح الله عز وجل، وأوصت الدراسة بالعودة إلىٰ المفهوم الأصيل للذِّكر عمومًا وللتسبيح خصوصًا؛ وذلك مِن خلال الجمع بين قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التفسير، التسبيح، الرسل.

The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran

by

Hamza Abdullah Saadi Shawahnah

A part-time university lecturer at Al-Quds Open University, Qalqilyah, Palestine, College of Educational Sciences, Tafsir and Quranic sciences and an expert in Quranic studies

Abstract

This paper is entitled «The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran.» The purpose of is to shed light on the distinguishing features of the glorification (Tasbeeh) of Prophets, peace be upon them, as indicated in the verses of the Holy Quran. To achieve this objective the researcher adopted the inductive and deductive approaches to present the Quranic verses that deal with the glorification of prophets.، He drew the most important educational aspects from their approach to the performance of this act of worship. The findings of this research reached are as follows: glorification has a high status in the Holy Quran; the Prophets are masters at praising and glorifying Allah with through all their doings verbal or non-verbal; their glorification of Allah is performed at all times; one should model himself on the Prophets by praising and glorifying Allah as much as possible. The study recommends that the original concept of praise (dhikr) in general and glorification in particular should be referred to by combining verbal expression, innermost beliefs and practice.

Keywords:

The Holy Quran- Tafsir-glorification- prophets.

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم النبيين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ الله شَرع لعباده عبادات عظيمة، ومِن أجلِّ العبادات التي أكَّد عليها القرآن الكريم في كثير مِن آياته عبادةُ الذِّكر، والعُمدة في الأذكار تسبيح الله ﷻ، ولمَّا كان الجمُّ الغفير مِن المسلمين يدركون مكانة التسبيح، لكنَّهم يغفلون عن مدلوله الصحيح، جاء هذا البحث بعنوان (**تسبيح الرسل عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم**)؛ لِيتناول منهجَ أكثر الناس لزومًا للتسبيح وهم الرسل عليهم السلام، وصولًا إلىٰ محاولة استنباط أبرز الجوانب التربوية مِن أدائهم لتسبيح الله ﷻ، وذلك مِن خلال آيات القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميَّتَها مِن الاعتبارات الآتية:

١- أهمية الموضوع نفسه الذي تبحث فيه الدراسة، وهو مقام الذِّكر عمومًا والتسبيح خصوصًا.

٢- إنَّ هذه الدراسة تتعلَّق بصفوة الخَلق وهم الرسل عليهم السلام.

٣- إنَّ هذه الدراسة تعالج موضوعًا عقديًّا؛ وذلك لأنَّ مسألة تنزيه الله ﷻ -الذي هو معنىٰ التسبيح- يُعدُّ مِن مسائل الاعتقاد.

٤- إحياء معاني التسبيح التي ضعُفت في نفوس المسلمين في الزمن المعاصر.

٥- إنَّ هذه الدراسة تعالج عبادة عظيمة، يتكرَّر وقوعها مِن المسلم كلَّ حين.

مشكلة البحث:

هذا وتتمثَّل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما هو هدي الرسل عليهم السلام في التسبيح في ضوء القرآن الكريم؟

وتتفرَّع عن هذه المشكلة ثلاثة أسئلة أساسيَّة:

١- ما المقصود بالتسبيح لغةً واصطلاحًا؟

٢- ما الآيات التي تضمَّنت أخبارَ الرسل عليهم السلام الذين تلفَّظوا بتسبيح الله عز وجل؟

٣- ما القيم التربوية المستنبَطة مِن أداء الرسل عليهم السلام لتسبيح الله عز وجل؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلىٰ تحقيق الآتي:

١- التعرف علىٰ هدي الأنبياء عليهم السلام في التسبيح.

٢- بيان مفهوم التسبيح وفضله وإطلاقاته في القرآن الكريم.

٣- استجلاء القيم التربوية للتسبيح، التي تسهم بدورها في رسم أبرز ملامح الشخصية المسلِمة الذاكرة.

٤- دعوة الغافلين إلىٰ الذِّكر؛ وذلك بذكر أفضل النماذج البشرية التي حقَّقت ذِكر الله سبحانه وتعالى وتسبيحه.

٥- انضباط عبادة التسبيح بضوابط الكتاب والسنَّة.

الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها:

مِن الدراسات السابقة المتعلِّقة بتسبيح الرسل عليهم السلام في القرآن الكريم، رسالة علمية موسومة بـ(**التسبيح في الكتاب والسنة والردُّ علىٰ المفاهيم الخاطئة فيه**)، للدكتور كندو(١).

حيث تعرَّضت الدراسة السابقة لمعاني التسبيح في القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة، وبيان أنواعه، وذِكر نظائره، وتوضيح حُكمه، واستقراء سياقاته، وبعد البحث في الدراسات السابقة لمْ أعثر علىٰ أيِّ دراسة قرآنية منشورة درست هذا الموضوع بشكل مستقلٍّ سوىٰ هذه الدراسة -**فيما اطلعتُ عليه**-، علىٰ الرغم مِن تناولها موضوع التسبيح بعمومه في القرآن الكريم والسنَّة الشريفة، إضافة إلىٰ الحديث عن الآيات التي تُذكر فيها ألفاظ التسبيح بتوسُّع، دون الحديث عن تسبيح الرسل عليهم السلام علىٰ وجه الخصوص كما فعلتُ هنا.

لذا يتبيَّن ندرة الدراسات القرآنية المحكَّمة التي درست هذا الموضوع، وحاولت بيان منهج الرسل عليهم السلام في التسبيح في ضوء آيات الكتاب العزيز فحسب.

ما يضيفه البحث:

ما ندَّعيه لهذه الدراسة مِن فروقات عن غيرها وما تضِيفه علميًّا هو:

١- إنَّ هذه الدراسة دراسة قرآنية موضوعية، اتَّبعتُ فيها منهجَ البحث العلمي وفق طريقة التفسير الموضوعي.

٢- إبراز هذه الدراسة هديَ الرسل عليهم السلام خصوصًا في التسبيح كما عرضتْه آياتُ القرآن الكريم فحسب.

---

(١) د. كندو: التسبيح في الكتاب والسنة والرد علىٰ المفاهيم الخاطئة فيه.

حدود البحث:

سيعتمد هذا البحث علىٰ آيات القرآن الكريم فحسب، إذ هو المصدر الأوَّل للتربية الإسلامية، ولكنِّي سأعرِّج علىٰ كتب التفسير بالمأثور، لذا ستقتصر الدراسةُ في حدِّها الموضوعي علىٰ دراسة الآيات التي تضمَّنت بنصِّها مادَّة (سبح) ضمن الحديث عن مقام التسبيح في حياة الرسل عليهم السلام.

منهج البحث:

طبيعة البحث وأهدافه تتطلَّب استخدام المنهجَين الاستقرائي والاستنباطي، بحيث أستقرئ الآيات الكريمة التي تضمَّنت تسبيحَ المرسلين عليهم السلام، ثُم أستنتج الفوائد والمعاني التربوية المستنبَطة مِن تلك الآيات.

خطة البحث:

قسَّمتُ البحث إلىٰ مقدِّمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، كما يأتي:

المقدمة: وتضمَّنتْ أهميَّة الموضوع، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجيَّة البحث.

المطلب الأول: مفهوم تسبيح الرسل عليهم السلام ونظائره في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: نماذج من تسبيح الرسل عليهم السلام لله سبحانه وتعالى في ضوء القرآن الكريم ومعانيها.

المطلب الثالث: فضل التسبيح والقيم التربوية المستنبطة مِن تسبيح الرسل عليهم السلام في القرآن الكريم.

الخاتمة: تشتمل علىٰ أهمِّ النتائج والتوصيات.

المطلب الأول:

مفهوم تسبيح الرسل عليهم السلام ونظائره في القرآن الكريم

سأبيِّن في هذا المطلب المقصود بالتسبيح، مِن خلال تأصيل المعنىٰ اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، ثُمَّ سأعرِّج علىٰ ذِكر نظائره في التنزيل العزيز، وذلك علىٰ النحو الآتي:

الفرع الأول: مفهوم تسبيح الرسل عليهم السلام.

أولًا: معنى التسبيح:

التسبيح لغة: مصدر سبَّح، وعرَّفه الأزهري بأنه: تنزيه الله سبحانه وتعالى مِن السوء، وتبعيدُه منه، مِن قولك: سبَحتُ في الأرض إذا أبعدتَ فيها، ومنه قوله جل وعلا: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠][(١)]، ويأتي التسبيح بمعنىٰ الذِّكر والصلاة، ويكون بمعنىٰ التحميد، نحو: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، ويكون بمعنىٰ التعجُّب والتعظيم لِمَا اشتمل الكلام عليه، نحو: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: ١]، وقيل في قوله جل وعلا: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] أي: لولا تستثنون[(٢)].

أمَّا **التسبيح في** اصطلاح المفسِّرين، **فقد عُرِّف بتعاريف عديدة**؛ وأجمع تعريف

(١) انظر، الأزهري: **تهذيب اللغة**، (سَبَحَ)، (٤/ ١٩٥).

(٢) انظر، ابن منظور: **لسان العرب**، (سَبَحَ)، (٢/ ٤٧٠ – ٤٧٥). والأزهري، تهذيب اللغة، (٤/ ١٩٥).

له -في نظري- ما ذكره أبو السعود أنَّه: «تنزيه الله تعالىٰ اعتقادًا وقولًا وعملًا عمَّا لا يليق بجنابه»(١).

ومِن خلال النظر في التعريف السابق، يتَّضح أنَّ **التسبيح** ليس مُجرَّد قول: (سبحان الله) فحسب؛ بل يشمل تنزيه الله ﷻ باللِّسان والقلب والجوارح علىٰ حدٍّ سواء.

وهكذا يتَّضح بأنَّ التسبيح في أصله اللغوي دائمًا يدلُّ علىٰ معانٍ لا تُصرف إلَّا لله وحده؛ لأنَّ المبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله ﷻ، لذا فإنَّ كلمة (سبحان الله) تتضمَّن أصلًا عظيمًا مِن أصول التوحيد، وهو إبعاد القلوب والأفكار عن أن تَظنَّ بالله ﷻ نقصًا.

وقد ورد التسبيح بمعنىٰ تنزيه الله ﷻ عن كلِّ سوء في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وآثار السلف الصالح، مِن شواهد ذلك في الكتاب العزيز قوله ﷻ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ولمَّا دَلَّ **التسبيح** علىٰ تنزيه الله ﷻ عن النقائص، استَلزم اتِّصافَه بالكمال المطلَق، فكان **التسبيح** دالًّا علىٰ التعظيم لله ﷻ، ويُقرِّر هذا المعنىٰ شيخُ الإسلام فيقول: «والأمر بتسبيحه يقتضي -أيضًا- تنزيهَه عن كلِّ عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له؛ فإنَّ التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيمُ يستلزم إثبات المحامد التي يُحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهَه، وتحميدَه، وتكبيرَه، وتوحيدَه»(٢).

(١) أبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم**، (٨/ ٢٠٣).

(٢) ابن تيمية: **مجموع الفتاوىٰ**، (١٦/ ١٢٥).

ثانيًا: معنى الرسل والأنبياء:

اتَّفق جمهور أهل السنَّة والجماعة ومَن وافقهم علىٰ أنَّ النبيَّ غير الرسول، ويدلُّ علىٰ ما ذهبوا إليه ما ورد في الكتاب العزيز مِن عطف النبيِّ علىٰ الرسول، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، والعطف يقتضي المغايرة كما هو معلوم، ولمْ يبقَ أمام طالب الحقِّ إلَّا أن يقول بالتفريق بين النبيِّ والرسول، وتلمُّسًا لهذا الفرق، فقد اختلف أهل العِلم في تحديد تعريف كلٍّ منهما علىٰ عدَّة أقوال(١).

وذهب آخَرون إلىٰ أنَّه لا فرق بين الرسول والنبيِّ(٢).

ويظهر أنَّ القول الأخير فيه نظر، وعليه يترجَّح في التفريق بينهما، أنَّ النبيَّ هو: مَن بُعث لقوم موافقين، وأمَّا الرسول فيعني: مَن بُعث لقوم مخالِفين، وإلىٰ نحو هذا القول ذهب ابن تيمية، حيث يقول: إنَّ «النبيَّ هو: الذي يُنبئه الله، وهو يُنبِئ بما أنبأ اللهُ به؛ فإنْ أُرسل مع ذلك إلىٰ مَن خالف أمْر الله؛ لِيبلِّغه رسالةً مِن الله إليه؛ فهو رسول، وأمَّا إذا كان إنما يَعمل بالشريعة قبله، ولمْ يُرسَل هو إلىٰ أَحَد يبلِّغه عن الله رسالة؛ فهو نبيٌّ، وليس برسول، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، وقولُه: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾؛ فذكَر إرسالًا يَعُمُّ النوعين، وقد خَصَّ أحدَهما بأنَّه رسول؛ فإنَّ هذا هو الرسول المطلَق

(١) وليس المقام ها هنا مقام تفصيل، ولمزيد بيان في التفريق بين النبيِّ والرسول. انظر، الأشقر: **الرسل والرسالات**، (ص: ١٤ – ١٥).

(٢) والمقصود هنا معظم المعتزلة ومَن شايعهم في قولهم: إنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبيِّ. انظر، القاضي عبد الجبار: **شرح الأصول الخمسة**، (ص ٥٦٧).

الذي أمَره بتبليغ رسالته إلىٰ مَن خالَف الله؛ كنوح»(١).

ثالثًا: المقصود بتسبيح الرسل عليهم السلام لله سبحانه وتعالى:

والمقصود بتسبيح الرسل عليهم السلام لله عز وجل في هذا البحث، هو دراسة الآيات القرآنية التي وردت في سياق تنزيه الرسل عليهم السلام لله سبحانه وتعالى عن النقائص، وتضمَّنت أحد مشتقَّات لفظة التسبيح.

الفرع الثاني: نظائر التسبيح في القرآن الكريم:

مِن خلال تتبُّعي للألفاظ التي وردت في كتاب الله الكريم، وحَملت في طيَّاتها معنىٰ التسبيح، تبيَّن أنها أكثر مِن لفظ، وهي:

أولًا: السلام: ومن أسماء الله الحسنىٰ التي تدلُّ علىٰ معنىٰ التسبيح والتنزيه اسم (السلام)، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، قال ابن القيِّم معلِّقًا: الله أحقُّ بهذا الاسم مِن كلِّ مسمًّىٰ به؛ لسلامته سبحانه مِن كلِّ عيب ونقص مِن كلِّ وجه(٢).

ثانيًا: التقديس: ورد اسم الله (القدُّوس) بمعنىٰ تسبيح الله سبحانه وتعالى وتنزيهه، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]، و﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾ «أي: المنزَّه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال»(٣).

(١) ابن تيمية: **النبوَّات**، (٢/ ٧١٤).

(٢) انظر، ابن القيم: **الفوائد**، (٢/ ١٣٥).

(٣) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (٨/ ١١٥).

ثالثًا: تعالىٰ: ورد الفعل (تعالىٰ) مسندًا إلىٰ الله ﷻ بمعنىٰ التسبيح في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، قال أبو جعفر: «وأمَّا قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، فتنزيهٌ مِن الله ﷻ نفْسه، وتعظيمٌ لها عمَّا يقول فيه المبطلون، ويدعون معه مِن الآلهة والأوثان»(١).

رابعًا: حاش لله: ورد لفظ (حاش لله) بمعنىٰ التسبيح في قوله ﷻ: ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾ [يوسف: ٥١]، قال ابن عاشور في معنىٰ (حاش لله): «وحاش لله: مبالغة في النفي والتنزيه»(٢).

ويوضِّح صاحب «الكشَّاف» دلالة (حَاشَ) علىٰ التنزيه لله ﷻ فيقول: (حَاشَ): كلمة تفيد معنىٰ التنزيه في باب الاستثناء، تقول: أساء القومُ حاشا زيد، وهي حرف مِن حروف الجرِّ، فوُضعتْ موضع التنزيه والبراءة، فمعنىٰ حاشا الله: براءة الله ﷻ، وتنزيه الله ﷻ، ثُمَّ قال: ﴿لِلَّهِ﴾؛ لبيان مَن يُبرَّأ ويُنزَّه(٣).

خامسًا: الحمد: وردت لفظة (الحمد) بمعنىٰ التسبيح في القرآن الكريم عند عدم الاقتران بينهما، كما في قوله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩-٤٠].

وقُرن التسبيح بالحمد كثيرًا في القرآن الكريم؛ لأنَّ «التسبيح يتضمَّن نفي النقائص والعيوب، والتحميد يتضمَّن إثبات صفات الكمال التي يُحمَد عليها»(٤).

---

(١) الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (١٣/ ٣١٧).

(٢) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (١٢/ ٢٩٠).

(٣) انظر، الزمخشري: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**، (٢/ ٤٦٥).

(٤) ابن تيمية: **جامع المسائل**، (ص: ٢٧٨).

سادسًا: التأويب: وردت لفظة (التأويب) بمعنىٰ التسبيح، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، يقول الطبري: «(أوِّبي معه): سبِّحي معه إذا سبَّح»(١).

(١) الطبري: **جامع البيان**، (١٤/ ٥٠).

المطلب الثاني:

نماذج من تسبيح الرسل عليهم السلام لله سبحانه وتعالى

في ضوء القرآن الكريم ومعانيها

سأستقرئ في هذا المطلب نماذج مِن تسبيح المرسلين عليهم السلام لله سبحانه وتعالى، ثُمَّ سأعرِّج علىٰ ذِكر معاني التسبيح في التنزيل العزيز، وذلك علىٰ النحو الآتي:

الفرع الأول: نماذج من تسبيح الرسل عليهم السلام لله سبحانه وتعالى في ضوء القرآن الكريم.

الرسل عليهم السلام سادات الذاكرين، فهم أعظم مَن سبَّح الله عز وجل ونزَّهه من عباده عن كلِّ ما لا يليق به؛ وذلك لأنهم وصفوه بما أوحاه الله عز وجل إليهم.

وقد قصَّ القرآن الكريم علينا طرَفًا مِن تسبيح أنبيائه عليهم السلام، لذا سأستعرض الرسل عليهم السلام الذين نصَّ القرآن الكريم علىٰ أنَّهم كانوا مِن المسبِّحين، سواء ورد ذلك بالأمر الإلهي لهم به، أو ورد بأمرهم لأقوامهم به، أو بإخباره عز وجل عن لَهَجهم بالتسبيح، أو بذكْره عز وجل لتسبيح الرسل عليهم السلام لذاته العليَّة، أو بيانه لبعض فضائله وثمراته، ذاكرًا الآيات الكريمة وفق تصنيف يناسبها، ثُمَّ معقِّبًا عليها بتعقيب مناسب، وذلك علىٰ النحو الآتي:

أولًا: تسبيح عيسىٰ عليه السلام لربه عز وجل: حكىٰ القرآن الكريم تسبيح عيسىٰ عليه السلام، وذلك في مَعرِض براءته مِن شرك النصارىٰ ومقولاتهم الكفريَّة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ

أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وبدأ المسيح عليه السلام بالتسبيح ها هنا قبل الجواب لأمرين؛ أحدهما: تنزيهًا له عمَّا أُضيف إليه. والثاني: خضوعًا لعزّته، وخوفًا مِن سطوته[١].

ويُلمَح مِن تنزيه المسيح عليه السلام لربِّه عز وجل يوم القيامة في الآيتَين الآنفتَين، عِظم شأن التسبيح في العقيدة؛ إذ هو مِن أصول الاعتقاد؛ لأنَّ حقيقة التسبيح تنزيهُ الله عز وجل عن صفات النقص، وهذا واجب كما لا يخفىٰ، وبالتَّالي ينبغي أن يواطئ القلبُ لِلفظ التسبيح، وأن يَستحضر معناه.

والمتأمِّل في جواب المسيح عليه السلام لربِّه عز وجل فيما سبق، يَلحظ حُسن أدبه في الخطاب، ويوضِّح ابن القيِّم هذا الأدب منه مع الله عز وجل في هذا المقام فيقول: «وتأمَّل أحوال الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- مع الله، وخطابهم وسؤالهم. كيف تجدها كلَّها مشحونة بالأدب قائمةً به؟ قال المسيح عليه السلام: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]، ولمْ يقل: لمْ أَقُله. وفرق بين الجوابَين في حقيقة الأدب. ثُمَّ أحال الأمر علىٰ عِلمه سبحانه بالحال وسرِّه. فقال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ [المائدة: ١١٦]، ثُمَّ برَّأ نفْسه عن عِلمه بغيب ربِّه وما يَختصُّ به سبحانه، فقال: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ثُمَّ أثنىٰ علىٰ ربِّه، ووصَفه بتفرُّده بعِلم الغيوب كلِّها. فقال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]»[٢].

ثانيًا: تسبيح داود عليه السلام لربِّه عز وجل: ونموذج آخَر مِن نماذج الرسل المسبِّحين،

---

(١) انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (٦/ ٣٧٥).

(٢) ابن القيم: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (٢/ ٣٥٨).

قصَّه الله ﷻ علينا في كتابه الكريم وهو تسبيح نبيِّه داود عليه السلام، حيث أخبر ﷻ عن تأويب الطير وتسبيح الجبال معه عليه السلام، وذلك في مشهدَين في القرآن الكريم، وهما:

الأول: قوله ﷻ في معرِض تعداد ما أنعم به ﷻ علىٰ داود عليه السلام، فقال ﷻ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وكانت الطير والجبال تسبِّح مع داود عليه السلام؛ وذلك لطِيب صوته بتلاوة كتاب الله ﷻ (الزبور)، وكان إذا تَرنَّم به تقِف الطير في الهواء، فتجاوبه، وتَرُدُّ عليه الجبال تأويبًا[١].

وقُدِّمت الجبال علىٰ الطير ها هنا؛ لأنَّ تسخيرها وتسبيحها أعجبُ وأغربُ وأدخلُ في الإعجاز؛ لأنها جماد[٢].

ويشير الإمام النسفي إلىٰ عظمة الخالق مِن خلال هذا التعبير القرآني الفريد، فيقول: «وفي هذا النَّظم مِن الفخامة ما لا يخفىٰ؛ حيث جُعلت الجبالُ بمنزلة العقلاء الذين إذا أمَرهم بالطاعة أطاعوا، وإذا دعاهم أجابوا؛ إشعارٌ بأنه ما مِن حيوان إلَّا وهو منقاد لمشيئة الله»[٣].

والثاني: قوله ﷻ عن ترداد الجبال والطير التسبيحَ مع داود عليه السلام في أوَّل النهار وآخِره، فقال ﷻ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ - ٢٠].

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (٥/ ٣٥٨).

(٢) انظر، النَّسفِيّ: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (٢/ ٤١٥).

(٣) النَّسفِيّ، **مدارك التنزيل**، (٣/ ٥٥).

وفي الموضعَين السابقَين إشارة إلىٰ تسبيح الجمادات والكائنات كلِّها بحمد ربِّها، حيث أُسند التسبيح فيها إلىٰ الطير والجبال، كما أُسند إلىٰ السماوات السبع والأرض والرعد في مواضع أُخر مِن الكتاب العزيز، ويؤكِّد هذا عمومُ قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤]، ولا ريب أنَّ في تسبيح الكائنات بحمد خالقها ﷻ -ما عدا كفرة الإنس والجنِّ- إرشادًا للعبد إلىٰ الإكثار مِن ذكر الله ﷻ والتسبيح بحمده؛ لئلَّا تكون تلك المخلوقات التي فضَّله الله ﷻ عليها أكثر منه ذِكرًا، وأفضل منه تسبيحًا، فحرِيٌّ بالمؤمن أن يُكثر مِن تسبيح الله ﷻ في كلِّ أوقاته، ولا يكوننَّ مِن الغافلين.

وبالتَّالي فإنه لا يُستبعد أنَّ تسبيح الجبال يكون بلسان المقال وبلسان الحال في الوقت نفْسه، لذا فإنه تسبيح حقيقي علىٰ كيفية لا يعرِفها البشر، ويدلُّ عليه قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ثالثًا: تسبيح يونس عليه السلام لربِّه ﷻ: يعرِض القرآن الكريم نموذجًا آخَر لأحد سادات المسبِّحين، وهو نبيُّ الله يونس عليه السلام، وذلك في موضعين في القرآن الكريم، وهما:

الأول: قوله ﷻ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وفي الآية الآنفة جمع ﷻ بين التسبيح والتهليل، فقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ تهليل، وقوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تسبيح، وقد ورد التسبيح مقترنًا بالتهليل في مواضع أخرىٰ في القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة، والحكمة مِن ورود صيغة التسبيح مقرونة بالتهليل، أنَّ التهليل صريح في نفي الألوهية عن غير الله ﷻ، وإثباتها له، كما أنَّ التسبيح صريح في نفي النقائص والعيوب عن الله ﷻ، ففي الاقتران بينهما توكيد

لتوحيد الله ﷻ وتنزيهه، قال ابن حجر: «فمنطوق سبحان الله تنزيه، ومفهومُه توحيد، ومنطوق لا إله إلا الله توحيد، ومفهومُه تنزيه، يعني فيكون لا إله إلَّا الله أفضل؛ لأنَّ التوحيد أصل والتنزيه ينشأ عنه»(١).

ومِن الفوائد المستنبَطة مِن الآية، أنَّ مِن آداب الدعاء أن يصدِّر الداعي دعاءه بالتهليل والاستغفار والاعتراف بالذنْب؛ فإنه حريٌّ أن يستجاب له، ومِن هنا حظيت هذه الدعوة بالمكانة العظيمة، ودلَّت السنَّة علىٰ ذلك، فعن النبي ﷺ قال: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ مِن الظالمين، فإنه لمْ يَدْعُ بها رجل مسلِم في شيء قط إلَّا استجاب الله له**»(٢).

الثاني: قوله ﷻ موضِّحًا أهمية التسبيح الذي ذُكر في الآية السابقة: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٨].

والأظهر أنَّ التسبيح المقصود ها هنا هو تسبيح اللسان الموافق للجَنان(٣).

ويُستفاد مِن هذه الآية أنَّ التسبيح أحد أسباب النجاة مِن المخاطر، مثلما نجَّىٰ الله ﷻ نبيَّه يونُسَ عليه السلام وهو في أصعب الظروف عندما كان في بطن الحوت، فنَزَّه ربَّه ﷻ بكلمة ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾، فاستجاب له.

---

(١) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (١١/ ٢٠٧).

(٢) الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، حديث رقم (٣٥٠٥)، (٥/ ٥٢٩)، قال الألباني: صحيح.

(٣) انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (١٥/ ١٢٧).

وورد التعبير القرآني بصيغة اسم الفاعل ﴿ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾؛ وذلك للإيذان بأنَّ يونس عليه السلام كان يكثِر مِن عبادة التسبيح في كلِّ أوقاته، فقد كان عليه السلام مِن المسبِّحين في بطن الحوت بدلالة الآية، وكان مِن المسبِّحين قبل ذلك قطعًا؛ فإنه نبيٌّ كريم، والأنبياء عليهم السلام أتمُّ البشَر ذِكرًا وتسبيحًا كما تقرَّر.

رابعًا: تسبيح زكريا عليه السلام لربِّه ﷻ: يحكي القرآن الكريم عن تسبيح نبيِّه زكريا عليه السلام لربِّه ﷻ، وذلك في موضعين في القرآن الكريم، وهما:

الأول: قوله سبحانه وتعالى آمِرًا زكريا عليه السلام بكثرة الذِّكر والشكر والتسبيح، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١].

ومعنىٰ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَبِّحۡ﴾ قُل: سبحان الله، وقال قوم: معناه: صَلِّ، والقول الأوَّل أصوب؛ لأنه يناسِب الذكر، ويُستغرب مع امتناع الكلام مع الناس، و(العشِيّ) في اللغة: مِن زوال الشمس إلىٰ مغيبها[1].

والثاني: قوله سبحانه وتعالى مخبِرًا عن أمر زكريا عليه السلام قومَه بالذِّكر عمومًا وبالتسبيح خصوصًا: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١].

وقوله ﷻ: «﴿أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ أي: موافَقةً له فيما أُمِرَ به في هذه الأيام الثلاثة؛ زيادةً علىٰ أعماله، وشُكرًا لله علىٰ ما أولاه»[2].

خامسًا: تسبيح موسىٰ عليه السلام لربِّه ﷻ: يحكي القرآن الكريم عن تسبيح موسىٰ عليه السلام لربِّه ﷻ، وذلك في ثلاثة مواضع، وهي:

(١) انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (١/ ٤٣٢).

(٢) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (٥/ ٢١٦).

الأول: تسبيح موسىٰ عليه السلام عند نداء الله عز وجل له، وذلك في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٨].

قيل: إنَّ موسىٰ عليه السلام قال هذا التسبيح حين فرَغ مِن سماع النداء؛ استعانةً بالله عز وجل وتنزيهًا له، وقيل: هو مِن قول الله عز وجل، ومعناه: وبُورك فيمَن سَبَّح اللهَ ربَّ العالمين(١).

والثاني: تسبيح موسىٰ عليه السلام عند لقاء ربِّه سبحانه وتعالى، وذلك في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال أبو جعفر: «يقول تعالىٰ ذِكره: فلمَّا ثاب إلىٰ موسىٰ عليه السلام فهمُه مِن غشيته، وذلك هو الإفاقة مِن الصعقة التي خرَّ لها صلى الله عليه وسلم، ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾: تنزيهًا لك، يا ربِّ، وتبرئةً أن يراك أحدٌ في الدنيا، ثُمَّ يعيش، ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾: مِن مسألتي إيَّاكَ ما سألتُكَ مِن الرؤية، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بكَ مِن قومي، أن لا يراك في الدنيا أحدٌ إلَّا هَلك»(٢).

والثالث: قوله سبحانه وتعالى مخبرًا عن دعاء موسىٰ عليه السلام ربَّه سبحانه وتعالى بأن يجعل أخاه هارون عليه السلام وزيرًا له؛ لِيعينه علىٰ التسبيح والذِّكر، ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ [طه: ٢٩ - ٣٤].

وممَّا يُلحظ مِن قول موسىٰ عليه السلام: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣ - ٣٤]، أنَّ أرقىٰ درجات التسبيح عند البشر هو تسبيح الرسل عليهم السلام، وأنَّ مدار العبادات كلِّها

(١) انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (١٣/ ١٦٠).

(٢) الطبري: **جامع البيان**، (١٣/ ١٠٢).

علىٰ ذِكر الله ﷻ وتسبيحه، كما أنَّ تنزيه الله ﷻ وتسبيحه عمَّا يفتريه الظالمون في حقِّ الخالق مِن مقاصد التوحيد والدعوة، حيث ذَكر موسىٰ عليه السلام الفائدة مِن سؤاله ربَّه ﷻ بأن يُشرك أخاه هارون عليه السلام معه في النبوَّة، وهي أن يَكثُر منهما ذِكره، لذا أوصاهم الله ﷻ بمداومة ذِكره قائلًا: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]، وما ذلك إلَّا لأنَّ في ذِكر الله ﷻ عونًا علىٰ جميع الأمور.

وإذا كان هذا هو شأن الرسل عليهم السلام مع التسبيح، علىٰ الرغم مِن منزلتهم العظيمة عند الله ﷻ، فينبغي علىٰ العبد أن يجتهد في الاقتداء بهم، فيُكثِر مِن تسبيح الله ﷻ في ليله ونهاره؛ فإنَّ في إخبار الله ﷻ عنهم في كتابه العزيز ترغيبًا لغيرهم في الاقتداء بهم مِن باب أولىٰ.

سادسًا: تسبيح محمد ﷺ لربِّه ﷻ: يحدِّثنا القرآن الكريم عن نموذج آخَر، هو خير مَن لازم تسبيحَ الله ﷻ، وهو النبيُّ محمد ﷺ، ومِن شواهد تسبيحه لربِّه ﷻ كما ورد في الكتاب العزيز ما يأتي:

١- ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٢- ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١].

٣- ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

٤- ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩ - ٤٠].

٥- ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٨].

٦- ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

٧- ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦].

٨- ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢].

٩- ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨ - ٤٩].

١٠- ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨١].

١١- ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣].

١٢- ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

١٣- ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٤ - ٢٦].

١٤- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ - ٩].

١٥- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣].

١٦- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]

ونلحظ مِن الآيات الكريمة عدَّة ملحوظات، وهو ما سيجده القارئ في المطلب التَّالي.

الفرع الثاني: معاني التسبيح في القرآن الكريم:

المتدبِّر في إطلاقات مصطلح التسبيح في القرآن الكريم، يجد ما يأتي:

أ- يكثر في الآيات الكريمة إطلاق التسبيح علىٰ الصلاة، سواء كانت صلاة الفريضة أو صلاة التطوُّع، فجاءت بمعنىٰ صلاة التطوع في قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]، وجاءت بمعنىٰ صلاة الفريضة في قوله ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]، وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ المقصود بالتسبيح ها هنا صلاة الفريضة حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه فقد قال: «كنَّا عند النبي ﷺ، فنظر إلىٰ القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترَون ربَّكم كما ترَون هذا لا تضامُّون في رؤيته، فإنِ استطعتم أن لا تُغلَبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا، ثُمَّ قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]»(١).

ومِن المعلوم أنَّ الصلاة تتضمَّن منتهىٰ التسبيح قولًا وعملًا، كما هو الحال في التسبيح القولي في دعاء الاستفتاح والركوع والسجود، وعليه فلا غرابة في تسمية

---

(١) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦): **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، حديث رقم (٤٨٥١)، (٦/ ١٣٩).

الصلاة تسبيحًا، ويعلِّل الزجَّاج ذلك، فيقول: «وإنما سمِّيت الصلاة تسبيحًا؛ لأنَّ التسبيح تعظيم الله وتبرئته مِن السوء، والصلاة يُوحَّد اللهُ فيها ويُحمَد ويُوصف بكلِّ ما يُبرِّئه مِن السوء»(١).

ب- كرَّر الله ﷻ في كتابه العزيز أمْره لنبيِّه وعبده محمد ﷺ بالتسبيح، بَعد إخباره عن ضيق صدره مِن إيذاء الكافرين، وأمْره له بالصبر كما في مواضع عديدة، منها قوله ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٨]؛ وفي هذا الترتيب إيماء إلىٰ أنَّ الصبر يُعين علىٰ تحمُّل الشدائد، كما قال ﷻ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، ولذا ينبغي للمكروب أن يَفزع إلىٰ الله ﷻ بالتسبيح وغيره مِن ألوان القُربات؛ كي يكشف الله ﷻ عنه كُربته، قال الرازي: «إنما أمَر عَقِيب الصبر بالتسبيح؛ لأنَّ ذِكر الله تعالىٰ يفيد السلوىٰ والراحة؛ إذ لا راحة للمؤمنين دون لقاء الله ﷻ»(٢).

ج- إنَّ الأوامر التي خوطب بها النبيُّ محمد ﷺ بالتسبيح أصلًا في آيات كثيرة، موجَّهة ذاتها إلىٰ كلِّ المكلَّفين مِن أمَّته تبعًا كذلك ما لمْ يقُم دليل علىٰ الخصوصيَّة، ومع ذلك تواتَر الأمر الإلهي للمؤمنين باستدامة تسبيح الله ﷻ في القرآن الكريم في آيات عدَّة، منها قوله ﷻ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢].

د- التسبيح مِن المقامات التي لها صلةً بأسماء الله ﷻ، فالمتتبِّع لآيات الذكر الحكيم التي تضمَّنت تسبيح النبي محمد ﷺ؛ يجد أنَّ التسبيح يقترن بأسماء الله ﷻ،

(١) الزَّجَّاج: معاني القرآن وإعرابه، (١/ ٤٠٩).

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب، (٢٢/ ١١٣).

ومِن شواهد ذلك تكرُّر الأمر للنبيِّ محمد ﷺ بالتسبيح باسم (العظيم) ثلاث مرَّات، كما في قوله تعالىٰ ﷻ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، [الواقعة: ٩٦]، [الحاقة: ٥٢]، وقوله ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١]، كما قرَن الله ﷻ في مواضع أُخَر بين التسبيح وبعض أسمائه الحسنىٰ، كما في قوله ﷻ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، وقوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، حيث قرن ﷻ في هذه الآيات بين التسبيح وبعض أسمائه ﷻ، كاسم لفظ الجلالة (الله) والقهَّار والرَّحمن والواحد.

هـ- التفرقة بين استعمال لفظ التسبيح متعلِّقًا بلفظ اسم الله، وبين عدم تعلُّقه به، ويفرِّق صاحب «التحرير والتنوير» بين استعمال ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ ونحوها، واستعمال ﴿وَسَبِّحْهُ﴾ ونحوها في الكتاب الكريم، فيقول: عُدِّي فعل الأمر بالتسبيح هنا إلىٰ اسم، فقد تعيَّن أنَّ المأمور به قول دالٌّ علىٰ تنزيه الله بطريقة إجراء الأخبار الطيِّبة أو التوصيف بالأوصاف المقدَّسة؛ لإثباتها إلىٰ ما يدلُّ علىٰ ذاته ﷻ مِن الأسماء والمعاني، فتسبيحُ اسم الله يعني: النطق بتنزيهه في نفْسه وبين الناس بذِكر يليق بجلاله مِن العقائد والأعمال كالسجود والحمد، ويشمل ذلك استحضار الناطق بألفاظ التسبيح معاني تلك الألفاظ؛ إذ المقصود مِن الكلام معناه، وبتظاهر النطق مع استحضار المعنىٰ يتكرَّر المعنىٰ علىٰ ذهن المتكلِّم، ويتجدَّد ما في نفْسه مِن تعظيم لله ﷻ.

وأمَّا تفكُّر العبد في عظمة الله ﷻ، وترديدُ تنزيهه في ذهنه، فهو تسبيح لذات الله ومسمَّىٰ اسمه، ولا يسمَّىٰ تسبيح اسم الله؛ لأنَّ ذلك لا يجري علىٰ لفظ مِن أسماء

الله ﷻ، فهذا تسبيح ذات الله، وليس تسبيحًا لاسمه[1].

و- تنوُّع تصاريف التسبيح في الكتاب الكريم، حيث جاء فعل الماضي (سبَّح)، وفعل المضارع (يسبِّح)، وفعل الأمر (سبِّح)، وصيغة المصدر (سبحان)، وإنما عُبِّر بالماضي تارة وبالمضارع أخرىٰ؛ ليبيِّن أنَّ ذلك التسبيح لله ﷻ هو شأن أهل السماوات وأهل الأرض، ودأبهم في الماضي والمستقبل،[2] ففيه إيماء إلىٰ أنَّه ينبغي الاستمرار في تنزيه الله ﷻ في كل وقت، كما يُشعر استخدام الذِّكر الحكيم للتسبيح بصيغة فِعل الأمر، بالتركيز علىٰ أهمية التسبيح.

ز- قول: (سبحان الله وبحمده) مِن أفضل صيغ التسبيح المأمور بها في آيات عديدة مِن القرآن الكريم، كما في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨]، كما جاء في عدد كبير مِن أحاديث السنَّة النبوية الشريفة ما يخصُّ فضل التسبيح بحمد الله، منها قول النبي ﷺ: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده**»[3].

وتبيَّن ممَّا سبق في هذا المطلب، أنَّ الرسل عليهم السلام هم أكمل البشر ذِكرًا، وأتمُّهم تسبيحًا، وقد شَمل تسبيحُهم القول والاعتقاد والعمل، كما شمل الأحوال جميعها.

كما خلُصتُ إلىٰ أنَّ في توجيه الله ﷻ لأنبيائه عليهم السلام أن يسبِّحوه؛ دلالة علىٰ أنه ﷻ يحبُّ التسبيح والتمجيد وغيره مِن ألوان الذِّكر، ويحبُّ مِن عباده أن لا يفتَروا عن تسبيحه ﷻ، ففيه تنبيه للمؤمنين إلىٰ الإكثار مِن تسبيح الله ﷻ باللسان والجنان والأركان.

---

(١) انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (٣٠/ ٢٧٤).

(٢) الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (٧/ ٥٤١).

(٣) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم(٦٤٠٦)، (٨/ ٨٦).

وظهر تتابُع ألفاظ تسبيح الله ﷻ كثيرًا في القرآن الكريم؛ ولعلَّ الحكمة مِن ذلك؛ كي يرتاض لسان التَّالي لكتابه الكريم علىٰ الذِّكر، ولِيتعلَّم الأدب مع الله ﷻ، لذا فحريٌّ بالمؤمن أن يرطِّب لسانه بالتسبيح؛ لِينال الأجر العظيم مِن الله ﷻ.

كما تبيَّن مِن خلال التأمُّل في آيات القرآن الكريم الآنفة الذِّكر، أنَّ الله ﷻ قد كرَّر أمْره بالتسبيح لنبيِّنا محمد ﷺ علىٰ الخصوص في مواضع كثيرة، فقام ﷺ بهذه العبادة خير قيام، فأكثَر مِن تسبيح الله ﷻ في صلاة الفريضة والتهجد، كما أكثَر مِن تسبيحه ﷻ جميعَ الأوقات وسائر الأحوال، وخَتم ﷺ عُمرَه المبارك بالتسبيح والحمد والاستغفار، كما رغَّب أمَّته بالإكثار مِن ذكْر الله ﷻ وتسبيحه، وبيَّن لهم فضائله كما تجلَّىٰ ذلك في أحاديث كثيرة، فإذا كان هذا هو شأن النبيِّ محمد ﷺ مع التسبيح رغم علوِّ قدْره، واصطفائه بالرسالة، وعصمته مِن الذنْب، فكيف يكون حال العِباد الخطَّائين؟!

وفي ختام هذا المطلب أحسب أنَّ القارئ طوَّف في جنبات التسبيح في حياة الرسل عليهم السلام، وتعرَّف علىٰ سادات المسبِّحين مِن البشر، ووقف علىٰ مشاهدَ مِن ذِكرهم لله ﷻ، واتضحتْ له إجابة السؤال الثاني: مَن هم الرسل عليهم السلام الذين قصَّ القرآن الكريم تسبيحهم لله ﷻ؟

فإذا كان ذلك كذلك؛ فإني أزعم أنَّ القارئ قد تشوَّقت نفْسه؛ لمعرفة القيم التربوية المستنبَطة مِن تسبيح الرسل عليهم السلام، وهذا هو موضوع المطلب التالي.

المطلب الثالث

فضل التسبيح والقيم التربوية المستنبَطة مِن تسبيح الرسل عليهم السلام في القرآن الكريم

سأبيّن في هذا المطلب فضل التسبيح في القرآن الكريم، ثُمَّ سأعرِّج علىٰ استنباط أهمِّ القيم التربوية مِن تسبيح الرسل عليهم السلام في التنزيل العزيز، وذلك علىٰ النحو الآتي:

◆ الفرع الأول: فضل التسبيح[(١)]:

فإنَّ التسبيح مِن أجلِّ العبادات القولية، وله منزلة جليلة في القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة، وممَّا يدلُّ علىٰ فضله في التنزيل العزيز علىٰ وجه الخصوص ما يأتي:

* إنَّ التسبيح عبادة عقديَّة؛ لأنَّ حقيقته تنزيه الله عز وجل عن صفات النقص، وهذا مِن أصول الاعتقاد.

* إخبار الله سبحانه وتعالى عن تسبيح الجمادات والكائنات له عز وجل، حيث أخبر سبحانه وتعالى عمَّا أَنعم به علىٰ نبيِّه داود عليه السلام مِن تأويب الطير وتسبيح الجبال معه، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

* إنَّ الله سبحانه وتعالى جعَل التسبيح شِعارًا لرسُله وأنبيائه عليهم السلام، كما أَمَر به عباده عامَّة

(١) لمزيد بيان في هذا الموضوع. انظر، شواهنة: **تسبيح الرسول محمد ﷺ دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم**، (ص ١٨ – ١٩).

ورسُله عليهم السلام خاصة في مواضع عديدة في كتابه العزيز، وفي استخدام القرآن الكريم للتسبيح بصيغة فعل الأمر خاصَّة دلالة بيِّنة علىٰ أهميَّته.

* اتصاف المولىٰ سبحانه وتعالى بصفة النزاهة مِن كلِّ عيب، وقد اشتُقَّ مِن صفة التسبيح اسم مِن أسمائه الحسنىٰ، حيث سمَّىٰ سبحانه وتعالى نفْسه بـ(السُّبُّوح)، ومنِ الأسماء الحسنىٰ التي ترجع إلىٰ هذا المعنىٰ اسمُه القدُّوس والسلام والمتعالي؛ وفي ذلك إشارة كبيرة إلىٰ فضل التسبيح ومكانته الجليلة.

* إنَّ للتسبيح ثمارًا عظيمة، منها أنَّه يصِل بالذاكر المسبِّح إلىٰ مرتبة الرضا، وانشراح الصدر، كما أنَّه يُعِين علىٰ الصبر، ولذلك يأمر المولىٰ سبحانه وتعالى نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم به بعد أمْره له بالصبر في خمسة مواضع مِن كتابه العزيز، ومِن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ [طه: ١٣٠].

* كثرة ورود ألفاظ التسبيح في القرآن الكريم، حيث وردت مادَّة (سَبَّح) في سبعة وثمانين موضعًا بتصاريفها المتعدِّدة، وهذا دليل بيِّن علىٰ الأهمِّية القصوىٰ التي تَحظىٰ بها هذه العبادة،(١) وممَّا ورد في شأنه استهلال سبع سُور مِن القرآن الكريم به، وهي السُّوَر التي سُمِّيت بالمسبِّحات، وهي: الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلىٰ، كما ذكر الله سبحانه وتعالى التسبيح في مفتَتح سورة النحل، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

* جعل الله سبحانه وتعالى مِن حِكم بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تسبيح الله وتنزيهه، كما في قوله:

---

(١) انظر، عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مادة (سَبَحَ)، (٣٣٩ – ٣٤٠).

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ – ٩].

* إفراد التسبيح بالذِّكر مِن بين الأذكار في بعض آيات القرآن الكريم، بالرغم مِن اندراجه في عموم الأذكار، ومن شواهد ذلك قولُه ﷻ علىٰ لسان موسىٰ عليه السلام: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣ – ٣٤]، وفي هذا دلالة بيِّنة علىٰ أنه العُمدة.

الفرع الثاني: القيم التربوية المستنبطة من تسبيح الرسل عليهم السلام في القرآن الكريم.

بعد الانتهاء مِن بيان المنزلة الجليلة للتسبيح في القرآن الكريم، فإنه يحسن بنا أن نعرِّج علىٰ أهمِّ الجوانب التربوية المستنبَطة مِن تسبيح الرسل عليهم السلام لربِّهم ﷻ في الذِّكر الحكيم، ومِن أهمِّها ما يأتي:

١- **التسبيح منهج الرسل عليهم السلام عمومًا**: حيث لازمت عبادة الذِّكر والتسبيح جميع المرسلين عليهم السلام، فكانوا أئمَّة في كثرة ذِكرهم لله ﷻ وتسبيحهم لذاته العليَّة بألسنتهم وقلوبهم وأفعالهم، وقد أكَّد القرآن الكريم أنَّ تسبيح الله ﷻ كان شأن رسل الله عليهم السلام جميعًا، ومِن خلال استقراء آيات القرآن الكريم تبيَّن أنَّ الله ﷻ قصَّ نماذج عديدة مِن تسبيح رسُله عليهم السلام؛ وذلك كي يقتدي المسلم بالمرسلين عليهم السلام في دوام ذِكرهم لربِّهم ﷻ.

وقد أَمَر الله ﷻ أنبياءه الكرام عليهم السلام بهذه العبادة الجليلة، ومِن شواهد ذلك أَمْره ﷻ نبيَّه زكريا عليه السلام بالتسبيح بقوله: ﴿وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١]، وفي الوقت نفْسه يطلب زكريا عليه السلام مِن قومه تسبيح الله ﷻ، كما حكىٰ ﷻ: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١]، وأخبر الله ﷻ عن نبيِّه داود عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [ص: ١٨]، كما ذكرَ ﷻ عن بعض رسُله عليهم السلام

لهَجهم بالتسبيح، كما قال ﷻ على لسان المسيح عيسى عليه السلام: ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦]، وحكى ﷻ تسبيح الكليم موسى عليه السلام -أيضًا- بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، كما قصَّ تسبيح يونس عليه السلام بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، هذا وقد أمَر ﷻ به نبيَّنا محمدًا ﷺ في آيات كثيرة، منها قوله ﷻ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

٢- **اختصاص التسبيح بالله ﷻ وحده**: فإنَّ المتأمِّل في آيات القرآن الكريم يَلحظ أنَّ التسبيح سواء جاء باللفظ أو بالاعتقاد حقٌّ خالص مِن حقوق الله ﷻ، لذا لا يجوز أن يُنعَت بها أحدٌ سواه أيًّا كان؛ وذلك لأنَّ لله ﷻ وحده صفات الكمال المطلَق، كما أنَّ لغيره -أيًّا كان- صفات النقص، مِن هنا لا يُذكَر لفظ التسبيح في آيات القرآن الكريم إلَّا مضافًا إلى لفظ الجلالة أو اسم مِن أسماء الله الحسنى، أو صفة مِن صفاته أو ضمير عائد إليه ﷻ، ومِن شواهد ذلك قوله ﷻ على لسان نبيِّنا محمد ﷺ: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨](١).

٣- **اقتران التسبيح بألفاظ الذِّكر والثناء على الله ﷻ**: فإنَّ المتتبِّع لألفاظ التسبيح في القرآن الكريم، يجد أنَّ الله ﷻ قرَن في كتابه العزيز كثيرًا بين التسبيح وألفاظ الذِّكر الأخرى، حيث قرَن بين التسبيح والذِّكر، كما في قوله ﷻ: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣ - ٣٤]، وقرَن التسبيح بالحمد وهو الأغلب، كما في قوله ﷻ: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النَّصر: ٣]، وقرَن بين التسبيح والاستغفار، كما في قوله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]، وقرَن بين التسبيح والدعاء، كما

(١) انظر، شواهنة: مقال بعنوان: تسبيح المؤمنين في ضوء القرآن الكريم.

في قوله ﷻ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠]، وقرَن بين التسبيح والسلام على الرسل عليهم السلام، كما في قوله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨١]، وقرَن التسبيح بالصبر، كما في قوله ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: ١٣٠]، وقرَن التسبيح بالتوكُّل، كما في قوله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقرَن التسبيح بالإيمان، كما في قوله ﷻ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

وما سبق إيراده لا يُفهم منه أنَّ التَّسبيح يَرِد دائمًا مقترنًا ببعض ألفاظ الذكر الأخرىٰ، فقد يَرِد مُفردًا أحيانًا، ومنه التسبيح الذي جاء به النبيُّ عيسىٰ عليه السلام في قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].

٤– **أزمنة التسبيح**: التسبيح عبادة تُشرَع في كلِّ وقت، لكنَّها تتأكَّد في الأوقات الفاضلة، ومن الأزمنة التي جاء الأمرُ بالتسبيح فيها زمنُ النهار وأطراف النهار ووقت الصُّبْح، والمراد: صلاة الفجر، والغُدُوُّ، والبُكرة، وقبل طلوع الشمس، وهذه الألفاظ تطلَق علىٰ زمن واحد وهو أوَّل النهار مِن طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس، والإشراق وهو: وقت شروق الشمس، والعَشِيُّ، ويطلق علىٰ الوقت مِن زوال الشمس إلىٰ غروبها، فيَدخل فيه وقتَا الظهر والعصر، ومِن ذلك صلاتَي الظهر والعصر، وقبل غروب الشمس، والأَصيل، ووقتُ الأَصِيل: بعد العصر إلىٰ غروب الشمس، والمساء، والليل وآناء الليل، وهو: أوَّل الليل مِن حين تغرب الشمس أو تدنو مِن الغروب إلىٰ أن يُظلم الليل، وإدبار النجوم، ووقت إدبار النجوم: هو وقت السحر قبيل النهار، وحين القيام، ويقصد به: الصلاة، سواء كانت فرضًا أو نفلًا،

وأدبار السجود، ويقصد به: بعد انتهاء الصلاة.

وفي مجيء الأمر بالتَّسبيح في القرآن الكريم في أزمنة مختلفة؛ إرشاد للعباد بإدامة التسبيح، فينطلق العبد يسبِّح خالقه ويحمَده في أوقات الليل والنهار جميعها، كما أشار ﷻ: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح: ٧ – ٨].

ولعلَّ الحكمة مِن مزيد تخصيص زمنَي الصباح والمساء بالتسبيح كثيرًا؛ لتكرُّرهما، ولِشرفهما؛ كونهما آيتَين عظيمتَين مِن آيات الله ﷻ، ولِسهولته فيهما، ولِيَعُمَّ الأمر بالتسبيح جميع الأوقات، ولهذا شُرعت أذكار الصباح والمساء عند وقت الصباح ووقت الغروب، أمَّا الحكمة مِن الأمر بالتسبيح بالليل؛ لأنه محلُّ السكون والنوم، فهو أشقُّ علىٰ النفوس، فالثواب فيه أعظم، كما أنَّه أجمع للقلب، وعليه فلِلذِّكر في الليل مزيَّة علىٰ غيره مِن الأوقات.

وفي ختام هذا المطلب أحسب أنَّ القارئ طوَّف في جنبات تسبيح الرسل عليهم السلام لربِّهم ﷻ، واتضحتْ له إجابة السؤال الثالث: ما أهمُّ القِيم التربوية المستنبطة مِن تسبيحهم عليهم السلام؟ وبهذا تكون جميع أسئلة الدراسة قد تكاملت إجاباتها، ولمْ يتبقَّ إلَّا إيضاح ما خرجت به الدراسة مِن نتائج وتوصيات تضمَّنتها خاتمة الدراسة، وهو ما سيجده القارئ الكريم في الإيراد التالي.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، أمَّا بعد:

فإنه بعد الجولة العطرة بين ثنايا موضوع (**تسبيح الرسل ﷺ في ضوء القرآن الكريم**)، مِن خلال استقراءٍ لعدد غفيرٍ من الآيات القرآنية، يمكِن استنباط النتائج الآتية:

* أجمع تعريف للتسبيح في الشرع، أنه: تنزيه الله ﷻ اعتقادًا وقولًا وعملًا عمَّا لا يليق بجنابه.

* نظائر التسبيح في القرآن الكريم هي: الحمد، والسلام، والتقديس، والتأويب، وتعالىٰ، وحاش لله.

* للتسبيح منزلة جليلة، وممَّا يدلُّ علىٰ فضله، أنَّه عبادة اعتقادية؛ لأنَّ حقيقته تنزيه الله ﷻ عن صفات النقص، وأنَّ الله ﷻ جعَله شِعارًا لرسُله وأنبيائه ﷺ، وأنَّ الله ﷻ أَمَر به عباده عامَّة ورسُله ﷺ خاصَّة أمرًا صريحًا في كتابه الكريم، كما سمَّىٰ الله ﷻ ذاته العليَّة بـ(السُّبُّوح)، إضافة إلىٰ كثرة ورود ألفاظه في القرآن الكريم، حيث وردت مادة (سَبَّح) في سبعة وثمانين موضعًا بتصاريفها المتعدِّدة، ناهيك عن اقترانه بألفاظ الذِّكر والثناء علىٰ الله ﷻ، كالحمد والذِّكر والإيمان والدعاء والاستغفار والصبر والتوكل، واقترانه -أيضًا- ببعض أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، فضلًا عن بيان القرآن الكريم لبعض ثمراته، ومنها أنَّ الله ﷻ جعَله زادًا للصابرين، كما جعَله أحد أسباب النجاة مِن المخاطر، كما يستفاد مِن قصة نجاة النبي يونس ﷺ.

* التسبيح عبادة تُشرَع في كلِّ وقت، لكنَّها تتأكد في الأوقات الفاضلة، وفي مجيء الأمر بالتَّسبيح في القرآن الكريم في أزمنة مختلفة؛ إرشاد للعباد بإدامة التسبيح في جميع الأوقات، وإيذانًا باختصاص بعض أزمنة التسبيح بمزيد مزيَّة علىٰ غيرها.

* اختصاص التسبيح بالله ﷻ وحده؛ فإنَّ المتأمِّل في آيات القرآن الكريم يَلحظ أنَّ التسبيح سواء جاء باللفظ أو بالاعتقاد حقٌّ خالص مِن حقوق الله ﷻ، لذا لا يجوز أن يُنعَت بها أحدٌ سواه أيًّا كان؛ وذلك لأنَّ لله ﷻ وحده صفات الكمال المطلَق.

* المتدبِّر في إطلاقات مصطلح التسبيح في القرآن الكريم، يجد أنه يكثر في الآيات الكريمة إطلاق التسبيح علىٰ الصلاة، وأنَّ التسبيح مِن المقامات التي لها صلةٌ بأسماء الله ﷻ، وتنوُّع تصاريف التسبيح في الكتاب الكريم، وأنَّ قول: (سبحان الله وبحمده) مِن أفضل صيغ التسبيح المأمور بها في آيات عديدة مِن القرآن الكريم.

* تنوُّع أساليب القرآن الكريم في عرْض تسبيح الرسل عليهم السلام لربهم ﷻ، فتارةً يأمرهم به، وتارة يوجِّههم إلىٰ أن يأمروا به أقوامهم، وتارة يذكُر تسبيح رسُله عليهم السلام لذاته العليَّة، وأخرىٰ يبيِّن فضائله وثمراته.

* التسبيح منهج الرسل عليهم السلام عمومًا، حيث لازمت عبادة التسبيح جميع المرسلين عليهم السلام، فكانوا أئمَّة في كثرة تسبيحهم للذات العليَّة بألسنتهم وقلوبهم وأفعالهم، وقد قصَّ الله ﷻ في القرآن الكريم مشاهد عديدة مِن تسبيح رسُله عليهم السلام، ومنهم نبيُّه زكريا وداود والمسيح عيسىٰ والكليم موسىٰ ونبيُّنا محمد عليهم الصلاة والسلام.

* الحكمة مِن تتابُع ألفاظ تسبيح الله ﷻ في القرآن الكريم؛ كي يرتاض لسان التَّالي علىٰ الذِّكر، ولِيتعلَّم الأدب مع الله ﷻ، فحريٌّ بالمؤمن أن يرطِّب لسانه بالتسبيح؛ لِينال الأجر العظيم مِن الله ﷻ.

وفي ضوء هذه النتائج، فإنِّي أوصي بما يأتي:

١- العودة إلىٰ المفهوم الأصيل للذِّكر عمومًا وللتسبيح خصوصًا؛ مِن خلال الجمع بين قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح.

٢- توجيه البحوث العلمية إلىٰ البحث في العبادات القلبية في القرآن الكريم، ودراسة أثرها في تنمية الشخصية.

وبعد؛ فهذا ما يسَّر الله ﷻ للباحث الوصول إليه في هذا البحث المختصر، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممَّن يسبِّحه كثيرًا ويذكُره كثيرًا، وصلوات الله وسلامُه علىٰ أشرف خلْقه وتاج رسُله محمد وعلىٰ آله وصحبه، والحمد لله ربِّ العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**.

٢- «**تهذيب اللغة**»، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠)، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

٣- «**الرسل والرسالات**»، الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي: (ط٦، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

٤- «**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**»، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦)، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، (ط٣، بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٥- «**النبوّات**»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (ط١، الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ٢/ ٧١٤.

٦- «**جامع المسائل**»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (ط١، مكة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ).

٧- «**مجموع الفتاوىٰ**»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٨- «**سنن الترمذي**»، الترمذي، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، (ط١، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

٩- «**فتح الباري شرح صحيح البخاري**»، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢)، (د. ط، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

١٠- «**مفاتيح الغيب**»، الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ)، (ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

١١- «**معاني القرآن وإعرابه**»، الزَّجَّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

١٢- «**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**»، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨): تخريج: الإمام الزيلعي، (ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

١٣- «**إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم**»، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، (د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت).

١٤- «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**»، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: ١٣٩٣هـ)، (د. ط، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

١٥- «**تسبيح الرسول محمد ﷺ دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم**»، شواهنة، حمزة عبد الله سعادة: بحث محكّم، (المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن)، مج (٦)، ع (١)، (١٤٤٢هـ).

١٦- «**تسبيح المؤمنين في ضوء القرآن الكريم**»، شواهنة، حمزة عبد الله سعادة: مقال بعنوان: ، مجلة البيان، ع (٣٨٨)، ٨/ ٨/ ٢٠١٩م.

١٧- «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**»، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ): تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخريج: أحمد محمد شاكر، (ط١، د. ن، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

١٨- «**التحرير والتنوير**»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ): (د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

١٩- «**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**»، عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: ١٣٨٨هـ)، (د. ط، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

٢٠- «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**»، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ): تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

٢١- «**شرح الأصول الخمسة**»، القاضي عبد الجبار، أحمد بن خليل بن عبد الله الهمذاني (ت: ٤١٥هـ)، (تحقيق: عبد الكريم عثمان، (ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٥م).

٢٢- «**الجامع لأحكام القرآن**»، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، (ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

٢٣- «**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**»، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٢٤- «**الفوائد**»، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ)، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

٢٥- «**تفسير القرآن العظيم**»، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٢٦- «**التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه**»، د. كندو، محمد بن إسحاق، (ط١، الرياض، دار المنهاج، ١٤٢٦هـ).

٢٧- «**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**»، النَّسَفِيُّ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، (ط١، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

References and Sources

1. The Holy Quran
2. (***Tahzeeb Al-Lughah***), Al-Azhari, Abu Mansour Mohammed bin Ahmed (Died: 370), investigated: Mohammed Awad Mereb, (1st edition, Beirut, Dar Ihiyau Al-Turth Al-Arabi, 2001 AD).
3. (***Messengers and Messages***), Al-Ashqar, Omar bin Suleiman bin Abdullah Al-Otaibi: (6th Edition, Kuwait, Dar Al-Nafaes for Publishing and Distribution, 1410 AH / 1989 AD).
4. (***Al-Jamei' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar m'm Omouri Rasulillah PBUH, wa-Sunanih wa Ayamih***), Al-Bukhari, Abu Abdullah Mohammed bin Ismail Al-Jaafi (Died: 256), investigation: Dr. Mustafa Dib Al-Bagha, (3rd Edition, Beirut, Dar Ibn Katheer, 1407 AH - 1987 AD).
5. (***Al-Nobowwat***), Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani (Died: 728 AH), investigation: Abdul Aziz bin Saleh Al-Tuwyan, (1st edition, Riyadh, Adwaa al-Salaf, 1420 AH / 2000 AD), 2/714.
6. (***Jamei Al-Masa'el***), Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani (Died: 728 AH), investigation: Mohammed Uzair Shams, supervised by: Bakr bin Abdullah Abu Zaid, (1st edition, Makkah, Dar Alam Al-Fawaed for Publishing and Distribution, 1422 AH).).
7. (***Majmou Al-Fatwa***), Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani (Died: 728 AH), investigated: Abdul Rahman bin Mohammed bin Qasim, (No edition number, Kingdom of Saudi Arabia, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an - 1416 AH / 1995 AD).
8. (***Sunan Al-Tirmidhi***), Al-Tirmidhi, Abu Issa Mohammed bin Issa bin Surah bin Musa (Died: 279 AH), investigation: Bashar Awad Maarouf, (1st Edition, Egypt, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore and Press Co., 1395 AH - 1975 AD).
9. (***Fath Al-Bari, Sharh Sahih Al-Bukhari***), Ibn Hajar, Abu Al-Fadl Ahmed

bin Ali Al-Asqalani (Died: 852) (No edition number, Beirut, Dar Al-Maarifah, 1379 AH).

10. (***Mafatihu Al-Ghaib***), Al-Razi, Abu Abdullah Fakhr Al-Din Mohammed Bin Omar (Died: 606 AH), (3rd Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage, 1420 AH).
11. (***Maani Al-quran wa Eraboh***), Al-Zajjaj, Abu Is'haq Ibrahim bin Al-Sari bin Sahl (Died: 311 AH), investigation: Abdul Jalil Abdo Shalabi, (1st Edition, Beirut, World of Books, 1408 AH - 1988 AD).
12. (***Al-Kashf a'n Haqaiqu Al-Tanzeel wa Eyoun Al-Aqaweel fi Wojoh Al-Tanzeel***), Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud Bin Omar (Died: 538): Investigated: Imam Al-Zaila'i, (3rd Edition, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH).
13. (***Guidance of Sound Mind to the Merits of the Holy Quran***), Abu Al-Saud, Mohammed bin Mohammed Al-Emadi (Died: 982 AH), (No edition number, Beirut, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, without publishing date).
14. (***Adwa Al-Bayan fi Edah A_Quran bil-Quran***), Al-Shanqiti, Mohammed Al-Amin bin Mohammed Al-Mukhtar bin Abdul Qader (Died: 1393 AH), (No edition number, Lebanon, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, 1415 AH - 1995 AD).
15. (***Prophet Mohammed's Tasbeeh, an objective study in View of the Holy Qur'an***), Shawahna, Hamza Abdullah Saadah: Arbitrary Research, (The Kingdom of Saudi Arabia, Journal of Sharia Sciences and Arabic Language, Princess Noura bint Abdul Rahman University), Vol. (6), Issue (1), (1442 AH).
16. (***Believers Tasbeeh in View of the Holy Qur'an***), Shawahna, Hamza Abdullah Saadah: entitled article: Al-Bayan Magazine, Issue (388), 8/8/2019 AD.
17. (***Jami' al-Bayan fi Tafseer Ayei Al-Quran***), Al-Tabari, Abu Jaafar Mohammed bin Jarir (Died: 310 AH): Investigation: Mahmoud Mohammed Shaker, and investigated by: Ahmed Mohammed Shaker, (1st edition, No Publisher, Al-Resala Foundation, 1420 AH / 2000 AD).
18. (***At'tahreer wa-Atanweer***), Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Mohammed bin Mohammed Al-Taher (Died: 1393 AH): (No edition number, Tunis, Tunisian Publishing House, 1984 AH).
19. (***The Indexed Dictionary of the Words of the Noble Qur'an***), Abdel-Baqi, Moham-

med Fouad (Died: 1388 AH), (1st Edition, Cairo, Dar Al-Hadith, 1422 AH - 2001 AD).

20. (***Al-Mohriru Al-Wajiz fi Tafseer Al-Kitab Al-Aziz***), Ibn Attia, Abu Mohammed Abdul Haq bin Ghaleb Al-Andalusi Al-Maharbi (Died: 542 AH): Investigation: Abdul Salam Abdul Shafi Mohammed, (1st Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Elmiyyah, 1422 AH).
21. (***Sharhu Al-Usoul Al-Khamsah***), Al-Qadi Abdul-Jabbar, Ahmed bin Khalil bin Abdullah Al-Hamadhani (Died: 415 AH), (Investigated by: Abdul Karim Othman, (1st edition, Cairo, Wahba Bookstore, 1965 AD).
22. (***Al-Janei Li-Ahkam Al-Quran***), Al-Qurtubi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Abi Bakr (Died: 671 AH) investigated by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Tafayesh, (2nd Edition, Cairo, Dar Al-Kutub Al-Masryah, 1384 AH - 1964 AD).
23. (***Madaraj Assalikeen baina Manazil Iyyaka Nabodu wa Iyyaka Nastaeen***), Ibn al-Qayyim, Mohammed ibn Abi Bakr ibn Ayyub (Died: 751 AH), Investigated by: Mohammed al-Mu'tasim Billah al-Baghdadi, (3rd Edition, Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi, 1416 AH - 1996 AD).
24. (***Al-Fawaed***), Ibn Al-Qayyim, Mohammed bin Abi Bakr bin Ayoub (Died: 751 AH), (2nd Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Elmiyya, 1393 AH / 1973 AD).
25. (***Tafseer Al-Quran Al-Azeem***), Ibn Katheer, Abu Al-Fidaa Ismail bin Omar Al-Dimashqi (Died: 774 AH), investigation: Sami bin Mohammed Salama, (2nd edition, Taibah Publishing and Distribution, 1420 AH / 1999 AD).
26. (***Tasbeeh in the Holy Quran and Sunna and Reply to Misconceptions***), Dr. Kendo, Mohammed bin Is'haq, (1st Edition, Riyadh, Dar Al-Minhaj, 1426 AH).
27. (***Madarik Attanzeel wa-Haqaiqu at-Tweel***), Al-Nasafi, Abu Al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud (Died: 710 AH), investigation: Youssef Ali Badawi, (1st edition, Beirut, Dar Al-Kalim Al-Tayyib, 1419 AH - 1998 AD).

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر





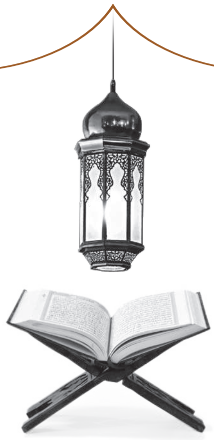
ملف تعريفي عن المجلة

باللغة الإنجليزية

مجلة تدبر

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022 Part One



Tadabbur Magazine

480 P, 17×24 cm

ISBN: 5883/ 1438

Date: 24/6/1438

ISSN : 7642- 1658

Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency

The magazine is authorized by the Ministry of Information , Saudi Arabia: 375

Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should be addressed to the Editor-in-Chief

Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji

Kingdom of Saudi Arabia
PO Box 7119
Medina 41462

info@tadabburmag.sa

+966 50 30 72 333

@tadabburmag

http://www.tadabburmag.sa

All contributions express their authors' views

Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur'an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

- **Mission**: To be researchers' first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- **Vision:** The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur'an and related areas, observing professional publishing international standards.
- **Aims:**

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur'an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur'an.
2. Qur'anic themes.
3. Objectives of the Qur'an.
4. Revelational Circumstances of the Qur'an
5. The inimitability of the Qur'an.
6. The superior excellence of the Qur'an style.
7. Teaching methods of in-depth understanding the Qur'an.
8. Deduction from the Qur'an.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur'an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur'an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur'an.

....
....

Consultative Committee

Rules and Conditions for Publication in the Tadabbur Magazine

Firstly: Nature of the Material published:

The magazine aims to provide researchers in all countries worldwide with an opportunity to publish their scientific outputs in the fields related to pondering over the Holy Qur'an, on condition that these outputs are based on originality, novelty, the ethics of scientific research, and scientific methodology.

The Magazine publishes materials that have not been published in the Arabic language before and and accepts the articles under any of the following categories:

- Authentic researches
- Abstracts of projects and distinct scientific papers
- Reports on scientific forums and conferences

Secondly: Scientific Procedures for submitting Researches:

1- The researches shall be in the fields of the Magazine.

2- An introduction shall be written to contain the subject of the research, its limits, objectives, methodology, procedures, and the research plan

3- Previous studies, if any, shall be referred to, and the researcher's scientific addition shall be submitted.

4- The research shall be divided into sections (subjects) according to the research plan, so that they seem to be interrelated and coherent.

5- The research shall be written and formulated in an elaborate scientific manner, free from any linguistic and grammatical errors, with special emphasis on scientific honesty and accuracy in documentation.

6- A conclusion shall be written to contain a comprehensive summary of the research as well as the main findings and recommendations thereof.

Thirdly: Technical Procedures for submitting Researches:

- The number of the research pages shall not be more than 50 pages, with an A4 size, including both the Arabic and English abstracts, and the references, and not be less than 25 pages.
- The Page margins shall be within 2 cm from the top, bottom, right, and left thereof, and line spacing shall be single.
- The size of the traditional Arabic font used for the Arabic language shall be 16 while it shall be 12 for both the marginal annotations and the abstract, and 11 for tables and figures.
- The Times New Roman font shall be used for the English language with a size of 12 and a size of 10 for the footnotes, the abstract, tables and figures.
- The Quranic verses shall be written according to the Electronic Muṣḥaf of King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, with a font size of 14, in plain color (non-boldfaced).

- The footnotes of each page shall be placed separately; the footnote numbering for each page shall be separate, and the footnotes shall be set automatically, not manually.
- The Research data shall be written in both Arabic and English languages and contain the research title, the researcher's name and other personal details, the contact information, and the titles of any scientific papers.
- The number of the abstract words shall not exceed 250 words, and the abstract shall include the following elements: the subject of the research, its objectives, and its methodology, with careful attention to its editing.
- Each abstract (both the Arabic and English ones) shall be followed by the key words expressing accurately the subject of the research, and the primary issues addressed, with a number no more than 6 words.
- The research shall be free from any linguistic, grammatical and spelling errors.
- Writing the footnote shall include (the title of the book, the name of the author, the part and page), in accordance with the scientific method applied in documenting Islamic studies and the Arabic language.

  An Example: Tongue of the Arabs, by Ibn Manẓūr (2/233)

As for the Quranic verses, they shall be referred to in the text only, along with the name of the chapter, followed by a colon (or two dots :), and then the verse number, for example [Women: 55].

Fourthly: How to document References:

The researcher shall document the references at the end of the research as follows:

- If the reference is a book, it shall be documented as follows: the title of the book, the author's last name (his nickname), then the first name and other names, the editor's name, if any, the edition, the publishing city, the publisher's name, and the year of publication.

  An Example: "Al Jāmi'e Aṣṣaḥīḥ" (Authentic Comprehensive Book)", At-Tirmidhī, Abu Issa, Muhammad bin Īssa, edited by Ahmed Mohamed Shaker et al. Ed. 2, Beirut, the Arab Heritage Revival House, 2004.

- If the reference is an unpublished scientific paper, it shall be documented as follows: the title of the paper, the last name of the researcher (the family name), then the first name and other names, the type of the thesis (a Master's or PhD thesis), then the place, the name of the college, the name of the university, and the year.

  An Example: "Ya'aqūb bin Shaybah As-Sadousi: His Impact and Approach to Discrediting and Endorsement", Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Master's Thesis, Saudi Arabia, the College of Education, King Saud University, 1418 AH.

- If the reference is an article drawn from a periodical, it shall be documented as follows: the title of the article, the author's last name (the family name), then the first name and other names, the name of the periodical, the place, the volume number (issue number), the year of publication, and the page (s).

An Example: "Imam Affān bin Muslim Aṣ-Ṣaffār and His Approach to Receiving, Performing and Criticizing," Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Qassim University Journal, Sharia Sciences, Qassim, volumes 3 and 1, 1431 AH, pages 35-85.

This is in addition to mentioning some abbreviations if they are not shown in the reference details, namely:

- The phrase "without the publisher's name" shall be abbreviated to n. p.
- The phrase "without edition number" shall be shortened to n. edt.
- The phrase "without date of publication" shall be abbreviated to n. d.

- References should be alphabetised.

Fifthly: Explaining the Path of the Research presented to the Magazine:

1- Sending the research to the Magazine website or e-mail shall be an assurance from the researcher that his piece of research has not been published before, that it is not or will not be submitted to any entity for publication until the Magazine has completed its arbitration proceedings.

2- The Editorial Board of the Magazine has the right to the preliminary examination of the research and to determining whether it is eligible for arbitration or rejecting it.

3- Informing the researcher of the summary of the arbitrators' reports, in order for him to modify his research according to it and to demonstrate his view regarding their claims that he does not accept, and the Board shall settle the dispute between them.

4- In case that the research is approved for publication, a message shall be sent to the researcher telling him that the research is accepted for publication, and if the research is not accepted for publication, a message should be sent offering the researcher an apology for that.

5- The researcher- after publishing his work in the Magazine - may publish it again six months after its publication.

6- In case the researcher sends his piece of research via the website or e-mail of the Magazine, this shall mean that he accepts the conditions for publication, and the Editorial Board is entitled to prioritize the researches to be published.

7- The opinions expressed in the researches published shall point to the viewpoints of the researchers only and shall not necessarily indicate the perspectives of the Magazine.

Table of Contents

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

Part One

TADABBUR MAGAZINE Index:



25 SR

1658-7642